

تأليف
كلاوس هيشن
(مع إسهام من فولكر هيشن فى الطبعة الثانية)

ترجمه وعلق عليه
الدكتور سعيد حسن بحيرى

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

الطبعـــة الأولى
(طبعة مؤسسة المختار الأولى)
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع	١٦٥٩٤ / ٢٠٠٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 52830 - 86 - 8

مؤسسة المختار
للنشـــر والتـوزيـــع

القاهرة : ٦٥ شارع النزهة - مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠١٥٨٣

هذه ترجمة لكتاب

Claus Heeschen

Grundfragen der Linguistik

mit einem Beitrag von Volker Heeschen

Verlag W. Kohlhammer

Stuttgart Berlin Köln Mainz

Achte Auflage 1994

إلى أســــــتاذىّ ...

إلى من ذلّلا لى هذا المســلك الصعب

إلى ...

أ . د / محمـود فهمـى حجــازى

أ . د / محمد عونى عبد الرءوف



فهرس المحتوى

الصفحة

توطئة

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا »

بدأت معرفتى بهذا الكتاب الذى أقدمه مترجماً إلى القارئ العربى فى الثمانينيات، مرحلة التحصيل النهم من معارف وعلوم كانت معرفتى بها من قبل ضعيفة أو لاتذكر ، وشعرت آنذاك بحال الباحثين الذين لم تنفتح أمامهم نوافذ المعرفة فى عالم لايكف عن البحث المستمر وتقديم كم ضخم من المعارف والمعلومات العامة والتخصصية التى يلزم على الباحث الحقيقى المطلع ، الذى له صلة وثيقة بهذه النوافذ المعرفية أن يعترف برغم المجهود الكبير الذى يبذله فى المتابعة والتحصيل والاستيعاب أن يقرر أنه يعجز كل العجز عن مسايرة هذا التقدم والصمود أمام ذلك السيل الجارف من الأفكار والتصورات والنظريات التى تطرح لأول مرة أو يعاد بعثها أو تطويرها . ولاتكف الأقلام عن وصف ذلك وصفاً لا مزيد عليه . وليست محاولتى هنا لنقل هذا المؤلف إلى اللغة العربية إلا للإسهام بجهد متواضع فى تمكين القارئ العربى من معرفة طرف من أطراف البحوث اللغوية من خلال تتبع نقدى فلسفى دقيق للأصول الفكرية التى بنيت عليها بعض المدارس اللغوية والقضايا المحورية التى طرحتها للدرس والمناقشة والتحليل.

ويلاحظ بوجه عام أن السمة الغالبة على المداخل إلى علم اللغة أنها تعرض للمسائل اللغوية عرضاً عاماً لا يتسم بالعمق ، فهى تحدد الخطوط العامة للمدارس اللغوية بوجه عام، ولاينفرد بعرض مفصل إلى حد ما إلا عدد قليل منها، مثل : موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب) لروبنز الذى ترجمه ترجمة قيمة د. أحمد عوض ، وصدر فى سلسلة عالم المعرفة الكويت ٢٢٧ / ١٩٩٧ ، وقام بسد فراغ كبير فى المكتبة اللغوية العربية ولكنه لم يتناول الدرس اللغوى الحديث إلا فى فصلين موجزين غاية الإيجاز، وهما الفصل السابع « علم اللغة التاريخى والمقارن فى القرن التاسع عشر» ، وفيه معلومات غزيرة يسرت لى تصور الأفكار فى الترجمة وتتبعها بدقة ، كما أنى أكملت اعتماداً عليها ما وجدته لازماً لإيضاح نص المؤلف فى بعض الهوامش ، وكذلك الفصل الثامن «علم اللغة فى القرن العشرين» الذى بدأ فيه بدى

سوسير ثم انتقل إلى تلاميذه ، وتناول بعض المدارس بشكل موسع وبخاصة البنيوية الأمريكية ، وبعض المدارس الأخرى بشكل عارض موجز للغاية . وكان هدفه الذى التزم بها التزاماً صارماً التأريخ لا العرض المفصل ومناقشة الأصول الفكرية التى تقوم عليها المدارس المختلفة . وبرغم ما فيه من معلومات قيمة دقيقة جداً وآراء متفردة للمؤلف وأحكام دقيقة على بعض الأفكار والاتجاهات والمناهج والعلاقات الحقيقية العميقة فيما بينها التى لايمكن أن تتكشف إلا لمن له باع طويل فى هذا المجال ، فإنها جاءت موجزة غاية الإيجاز . وهو على النقيض تماماً لما عولج فى هذا الكتاب، فقد تناول المؤلف القضايا الأساسية،بدأ من علم اللغة قبل دى سوسير إلى بداية الاتجاه البراجماتى المعاصر . وقد وجد أنه لايمكن قراءة دى سوسير وتحديد مكانته إلا بمعالجة المرحلة السابقة عليه وهى مرحلة النحاة الجدد، وتتسم معالجته بعمق مؤرخ لغوى مُنَظِّر وناقد وفيلسوف لايقتنع بالتشابهات الظاهرية بل ينفذ إلى أعماقها ليتحقق منها ، ويمكن للقارئ أن يدرك ذلك بنفسه حين يقرأ مناقشته للأفكار الرئيسة التى اعتمدت عليها نظريات النحاة الجدد ، ودى سوسير وهيلمسليف وبلومفيلد وتشومسكى ...الخ. فقد نجح فى تأصيل الأفكار وتتبع مساراتها بدقة وتحولاتها ، وعلاقاتها بعضها ببعض بالرجوع إلى هذه الأفكار فى أصولها فى النظريات الاجتماعية والفلسفية والنفسية والآلية والمنطقية ... الخ . وهذا ما يفسر لماذا اقتصر على بعض المدارس دون غيرها ، فقد كان لا يعنيه الحصر والعرض السطحى الخادع ، بل يعنيه فى المقام الأول إثبات العلاقة الحقيقية بين علم اللغة والعلوم المجاورة له التى أثرت نظرياتها فيه تأثيراً كبيراً ومناقشة مسألة استقلال علم اللغة فى هذا الإطار . ويمكن تبين ذلك النهج المتميز الذى اتبعه المؤلف فى تحليل قضايا علم اللغة باختيار قطاع واحد، وليكن أفكار النحاة الجدد ، ومقابلة معالجة روبنز مثلاً لها ومعالجة هيشن . إن البون بينهما شاسع لأنه بين مؤلف يعنى بالعرض ، ولذا فمعلوماته غزيرة متشعبة ومؤلف يعنى بالتحليل النقدى الفلسفى ، ولذا يختار الأفكار الجوهرية فى القضايا الأساسية فى كل مدرسة ويناقشها مناقشة مفصلة تحدد ماهيتها تحديداً دقيقة وتردها إلى أصولها وتثبت مواطن الجدة والإبداع والتفرد .

ويكفى مثالاً على ذلك أيضاً تلك المعالجة المفصلة لأفكار النحو المضمونى

لفايسجربر ، فهذه هى المرة الأولى التى تنقل فيها هذه الأفكار على هذا النحو المفصل إلى اللغة العربية . وكذلك معالجته المكثفة المعمقة للدور الذى أداه النحاة الجدد بوجه خاص ، إذ تؤكد عبارات المؤلف بشكل لاخفاء فيه إعجابه الشديد بهم – فى الفكر اللغوى ، وبخاصة قدرتهم المتميزة على استيعاب المبادئ الفكرية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر . وأحب هنا أن أتوقف عند رجل أثرت أفكاره فى تحديد مسار الفكر اللغوى منذ القرن الثامن عشر، نافذاً فى أصول النظرية التحويلية التوليدية، ألا وهو فيلهلم فون هومبولت (١٧٦٧ : ١٨٣٥م) الذى كان معنياً بشرح الجانب الإبداعى بشكل غير محدود للغة ، أى الجانب القواعدى والجانب المعجمى كليهما ، واللذين عن طريقهما يمكن أن نجعل الإمكانات المحدودة بالضرورة المتاحة لكل متكلم أن تستجيب لكل الحاجات التى يمكن أن يقابلها هذا المتكلم بوصفه فرداً أو عضوا فى أمة أو جماعة لغوية (راجع الباب الخامس عن النحو التوليدى) .

ولاينبغى أن ننسى أن فوسلر قد أكد – مثل هومبولت – على الجانب الفردى والإبداعى للمقدرة اللغوية للإنسان ، فكل التغيرات اللغوية تبدأ بالابتداعات فى عادات الفرد اللغوية ، وتلك الابتداعات التى سوف تحدث تغييراً معيناً فى اللغة تقوم بهذا عن طريق تقليد آخرين لها ، وبذلك تنشر نفسها . ولا يعنى ذلك أن ننكر دور أفكار هيجل وكانط وهردر وكثير من المعاصرين لهومبولت الذين صرح بتأثيرهم فى فكره، وهو الموقف الذى لم يتخذه – للأسف – من تأثروا به .

على أية حال فقد أكدت نظرية هومبولت على المقدرة اللغوية الإبداعية الكامنة فى مخ كل متكلم أو عقله ، واللغة يجب أن تتماثل مع القدرة الفعالة التى ينتج بها المتكلمون الأقوال وبها يفهمونها ، ولا تتماثل مع النتاج الملاحظ لأفعال الكلام والكتابة ، فهى حسب كلماته مقدرة (طاقة)(energeia, Tätigkeit, Erzeugung) إبداعية وليس مجرد نتاج (عمل) (ergon, Werk, Erzeugtes)*.

---

* النص الأصلى ، كما ورد فى كتاب هومبولت : «حول الدراسة اللغوية المقارنة فى علاقتها بالمراحل المختلفة للتطور اللغوى » ص ٤٣ ، ٤٤ : «وليس تنوع اللغات تنوعاً للأصوات والعلامات ، بل هو تنوع فى رؤى العالم ذاتها » . وتفصح اللغة فى ذلك عن وظيفتها ، فهى «ليست عملا (Ergon)، بل نشاطا (Energeia) ، وهى إنتاج «توليد» أكثر من كونها منتجة «مولدة » "(Erzeugtes) " .

وتبقى اللغة أقل تماثلاً مع النتجات الميتة لتحليل القواعديين. والمقدرة اللغوية عبارة عن جانب جوهرى من جوانب العقل الإنسانى ، وعلى النقيض لايمكن أن تنشأ اللغة نشأة بيئية تماماً ، واللغات – بطبيعة هذه المقدرة يمكنها التغير والتكيف حسبما تتطلب الظروف . وبهذا الشكل فقط يمكن أن تفسر الحقيقة (والسر) المحورية للغة ، فالمتكلمون يمكنهم أن يستخدموا إمكانات اللغة المحدودة المتاحة لهم استخداماً غير محدود فى أى وقت ، ولذلك فكيفما حلل المرء ووصف لغة معينة فسوف يبقى شئ ما من طبيعتها الأساسية لم يوصف، وهى نقطة ربما توجب على لغويى الوقت الحاضر الذين يعتمدون على هومبولت فى جانب من نظريتهم أن يتنبهوا إليها . (الموجز ص ٢٨٥) .

لقد كان هذا الجانب الخلاق الإبداعى فى اللغة واضحاً كل الوضوح لدى هومبولت ، بل إنه فاق وصفه عند ديكارت، وكان لوصله بالعقل أكبر تأثير على اللغويين الذين وقفوا ضد التصورات الميتافزيقية، وأكدوا على الجانب الآلى العقلى فى اللغة الذين يرون أن العقل الإنسانى هو وسيلة المعرفة، ومادام كذلك فثمة ثوابت فى كل اللغات ، على النظرية اللغوية أن تسعى فى معرفتها فى كل اللغات، وأطلق عليها الظواهر الكلية أو الشاملة أو العالمية التى تشترك فيها كل اللغات، ولا قيمة لدرس أشكال الأداء اللغوى فى حد ذاتها، أى أنه لايمكن للدرس اللغوى أن يتوقف عند الأداء ، بل عليه أن ينفذ منه للوصول إلى الكفاءة الكامنة فى العقل كما عبر عنها تشومسكى متأثراً بفكرة هو مبولت عن الشكل اللغوى الداخلى، تأثراً عميقاً. وعلى الرغم من أن المقدرة اللغوية عامة فإن هومبولت يتبع مبادئ تفكير هردر فى التأكيد على شخصية كل لغة مختلفة بوصفها خاصية مميزة للأمة أو الجماعة التى تتكلمها (هنا تبرز دعاوى القرن التاسع عشر القومية على الهوية اللغوية) . وهذا هو الجانب الآخر من النظرية، فلا يعنى البحث عن الكليات المشتركة بين كل اللغات إهمال خصوصيات كل لغة، وانفراد كل لغة بظواهر لاتماثلها فيها لغة أخرى .

لقد عبر هردر Herderعن آرائه عن اللغة بوضوح شديد ، وظلت أفكاره اللغوية بوجه خاص مؤثرة فى أجيال متلاحقة من الباحثين وبخاصة هو مبولت ،

لقد أكد هردر – كما يقول روبنز فى الموجز ص ٢٤٩ – على تلازم اللغة والتفكير، فاللغة هى أداة التفكير الإنسانى ومادته وصورته. والارتباط القوى بين اللغة والتفكير كان شيئاً مألوفاً فى الفلسفة منذ العصور القديمة ، ولكن الكتاب السابقين منذ أرسطو وحتى المود ستيين قد اعتبروا تبعية اللغة التراتبية لأسبقية التفكير والتجريد أمراً مسلماً به . وافتراض هردر للأصل المشترك والتطور المتوازى للاثنين معاً خلال مراحل متتابعة للنمو والنضج كان افتراضاً جديداً نوعاً ما ، كما قرر أنه مادامت اللغة والتفكير على اعتماد متبادل فإن أنماط التفكير والأدب الشعبى للشعوب المختلفة، يمكن فقط أن تفهم وتدرس بشكل صحيح من خلال لغاتها ذاتها .

وقد تهيأت الظروف لانتشار آرائه وأفكاره فى القرن التاسع عشر الذى ساده التأكيد على شخصية لغة الأمة وعلى أو اصرها القوية بالتفكير القومى والأدب القومى والترابط القومى. وتهمنا فى هذا المقام فكرة الأصل المشترك ، فلا توجد أسبقية للتفكير على اللغة، ولا أسبقية للغة على التفكير ، فكل منهما يعتمد فى وجوده على الآخر ، إن الاثنين لهما أصل مشترك، وقد أحرز الإنسان تقدمه فى كل منهما بخطوات متساوية مطوراً لملكة يملكها وحده ، بوصفه نوعاً متميزاً عن بقية المملكة الحيوانية كلها. وهذه الملكة التى يتميز بها الإنسان هى الملكة العقلية ، القدرة على التفكير واللغة. فالإنسان عند ديكارت يختلف عن الحيوان اختلافاً جوهرياً ، إنه ليس آلة ، ومن ثم لا يخضع للتفسير الآلى. صحيح أن كثيراً من الظواهر الجسمية عنده يمكن تفسيرها وفقاً لقوانين الميكانيكا والفسيولوجيا ، لكن هناك عالماً آخر لديه يتمثل فى النشاط العقلى يستحيل خضوعه لهذه القوانين .

وفى الحقيقة لقد أثر هردر فى تفكير هومبولت، ولكن كما تبين الأفكار التى قدمت لكل منهما أن ثمة فروقاً ظاهرة بينهما، لاتنفى التأثير، وإنما تؤكد الاختلاف فى الوقت نفسه. ولذا لانوافق روبنز على قوله : وربما كان سابير محقاً فى غزوه الكثير من أفكار هو مبولت المتميزة عن اللغة إلى استيحائه لأفكار هردر .

فإذا كان الأمر كذلك فإن كلا من أنصار نظريات وورف والقواعديين

التوليديين اليوم يمكنهم - كل فريق من ناحيته - أن يعثروا على صلات معينة تربطهم بهذا الفيلسوف المبدع فى مجال اللغة .

ونجد صدى هذه الأفكار الفطرية والقواعد العامة لدى الفيلسوف الانجليزى جيمس هاريس Harris الذى كان عليه - مثل كل القواعديين العموميين - أن يميز بين الفروق التركيبية الفردية للغات المعينة، وبين «تلك المبادئ الأساسية لها جميعاً». وقد دافع عن مفهوم الأفكار الفطرية فى مقابل الموقف الإمبريقى الإنجليزى السائد، ومع إصراره على القواعد العمومية، فقد عَدَّ أن مقدرة الإنسان على استنباط الأفكار العامة أو العمومية التى كانت الكلمات علامات لها كانت بالتأكيد منحة إلهية ... وفى التأكيد على أهمية العموميات فى استعمال اللغة يتفق هريس مع كوندلاك، وكذلك مع هردر الذى أثنى هاريس على عمله، فى ربط ملكة الكلام بملكة التجريد وإدراك الظواهر المتكررة والكيانات الدائمة التى تشبه إحداها الأخرى. وقد كان أثر هردر واضحاً كذلك فى مؤسسى علم اللغة التاريخى العلمى ، فلقد طبق جريم أفكار هردر عن العلاقة القوية بين الأمة ولغتها على البعد التاريخى للغة ، ناظراً فى الواقع إلى تحول الصوت الذى منحه اسمه باعتباره تأكيداً مبكراً للاستقلال من طرف أسلاف الشعب الألمانى وهى التفسيرات القومية للظواهر اللغوية التى ظل يحملها هو وف . شيرر W. Scherer أيضاً لجيلين بعد ذلك .

لقد انتقل هومبولت بهذا التفكير إلى مدى أبعد، محققاً المعادلة الصعبة فى الإبقاء على التوازن بين الفردية أو الخصوصية والكلية أو العمومية ، وتأثير هذا الأسلوب من التفكير حول اللغة لم يتم الشعور به فى حينه، وقد أشرنا إلى أنه بينما ينوه هومبولت بمعاصريه بشكل صريح، فلا يبدو أنهم قد استفادوا استفادة كبيرة من أفكاره . ولكن عدداً من الأفكار فى أعمال أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين يمكن إرجاعه إليه ... كما طورت المدرسة الجمالية والمدرسة المثالية مذهبه عن الشخصية والإبداعية والطاقة الكامنة فى كل لغة. وفى وقت أكثر حداثة ظهرت اتجاهات «همبولتية جديدة» ، فى أعمال فايسجربر وبرنتون وبواز وسابير وورف وتشومسكى ، حتى بلومفيلد فقد أعلن أن كتاب هومبولت عن تنوع بنية اللغة

الإنسانية Verschiedenheit * هو أول كتاب عظيم فى علم اللغة العام، برغم أنه لا الكتاب أو مؤلفه يتفق مطلقاً مع مبادئه التجريبية ، الآلية ، السلوكية .

لقد أعيد اكتشاف عدد من أفكار وبخاصة الجانب العميق فى البنية اللغوية ، إذ إن الأساس النطقى للكلام أمر مشترك عند كل الناس ، ولكن الصوت ليس له دور إلا بوصفه المادة السلبية للبنية العميقة للغة (innere Sprachform)، وهى عند هومبولت البنية الدلالية والقواعدية للغة معينة ، والتى تنتظم العناصر والأنماط والقواعد المفروضة على المادة الخام للكلام . وهى جزئياً أمر مشترك لدى كل الناس وقائم فى المؤهلات العقلية للإنسان . ولكن جزئياً أيضاً فإن الـ "innere Sprachform" المستقل لكل لغة يشكل هويتها الشكلية واختلافها عن كل اللغات الأخرى. هذا جانب متميز لهومبولت الذى اعترف تشومسكى نفسه فى كتابه «جوانب النظرية النحوية» بتأثره به ، يقول ص ٩ : إن فكرة أن اللغة تعتمد على نظام يحدد تفسير جملها الكثيرة غير المحددة ليست جديدة ، فقبل مائة عام كانت هذه الفكرة واضحة عند فيلهلم فون هومبولت فى المقدمة التى ألفها فى علم اللغة العام ، كما أن القول بأن النحو ينبغى أن يصف العملية التى تسهل ذلك كان مجال الاهتمام بالجانب الإبداعى (الخلاق) فى استعمال اللغة والإطار الفلسفى العقلى عن اللغة والفهم».

لقد أكد هومبولت تلك العلاقة بين اللغة التفكير كما فعل هردر، إذ إن لغة الشعب المعين وتفكيره يتعذر الفصل بينهما. بل ينتقل هومبولت بمفهوم هردر عن التطور المتوازى للتفكير واللغة لمدى أبعد « فلغة الناس هى روحهم وروحهم هى لغتهم** »، وكل لغة عبارة عن نتاج لماضيها ، وبعض اللغات تظهر تقدماً أكثر من غيرها بوصفها أدوات وصوراً للتفكير ... فالتفكير والإدراك يتحدان ويكونان قابلين

* هذا اختصار للاسم الكامل للكتاب ، وهو «حول اللغات الجاوية فى جزيرة جاوة . مدخل : حول تنوع البنية اللغوية الإنسانية وتأثيره على التطور الفكرى للجنس البشرى» .

** وردت هذه العبارة فى كتاب هومبولت : حول لغات جاوة ص ٤١ ، على نحو آخر ، ونصها هو"كأن اللغة المظهر الخارجى لروح الشعوب ، فلغتهم هى روحهم وروحهم هى لغتهم، ولايمكن للمرء أن يتصور عدم تطابقهما بشكل أقل من اللازم».

للتوصيل من خلال اللغة فحسب ، والتفكير واللغة يعتمد كل منهما على الآخر ، ويتعذر الفصل بينهما ، والكلمات ليست أوصافاً مفردة أو أسماء ، ولكنها فى نفس الوقت تشير لشئ معين وتضعه فى فئة متميزة من فئات التفكير. وتنتظم كلمات كل لغة فى كل منظم لدرجة أن نطق كلمة واحدة يفترض مسبقاً كل اللغة بوصفها بنية دلالية وقواعدية ... ولذلك فإن الاختلافات بين اللغات لاتتوقف فقط على أصوات الكلام المختلفة التى تستعملها تلك اللغات ، ولكنها تشتمل على اختلافات فى تفسير المتكلمين وفى فهمهم للعالم الذى يعيشون فيه (Weltansicht) الموجز ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

لقد أعاد اللغويون التوليديون الذين عنوا بالإبداعية غير المحدودة للغة المكانة التى كان يجدر بأفكار هومبولت عن اللغة أن تحتلها، وقد وجه اهتمام غير عادى إلى الأفكار الفلسفية التى اعتمدت عليها أفكاره عن اللغة وبخاصة نظرية كانط كما قلت، فهى وإن كانت فلسفية بحتة فقد قام بتكييفها لغوياً، ونظرية كانط عن الإدراك تتضمن الإحساسات الناشئة عن العالم الخارجى والتى تنظمها المقولات أو «البدهيات» التى يفرضها العقل، والتى أبرزها مقولات المكان والزمان والسببية ، وهذه النظرية كانت نظرية فلسفية كلية، وقد كيفها هومبولت نسبياً ولغوياً بجعل «البنية اللغوية العميقة "innere Sprachform" لكل لغة مسؤولاً عن تنظيم مادة الخبرة ووضعها فى فئات ، بحيث إن متكلمى اللغات المختلفة يعيشون جزئياً فى عوالم مختلفة، ولديهم أنظمة تفكير مختلفة ، ويمكن للمرء أن يشير إلى استعمال هومبولت للمصادر الثلاثة Fühlen , Denken, Anschauen (إدراك (؟) وتفكير وإحساس) فيما يتصل بعمل اللغة . الموجز ص ٢٢٨ . وأظن هذه النصوص قد قدمت صورة متكاملة عن الدور الرائد الذى اضطلع به هومبولت فى تاريخ الأفكار اللغوية والمبادئ الفلسفية التى نقلها من مجالها الفلسفى ووظفها توظيفاً لغوياً متفرداً . وينهى روبنز عرضه بتساؤل لايقل أهمية عما عرض من تساؤلات ، وهو ما الذى حال دون أن ينال هومبولت مكانة مثل مكانة دى سوسير فى تاريخ التفكير اللغوى الحديث ؟ ويحاول أن يقدم إجابة مقبولة لذلك، إذ يقول : كان ولهلم فون همبولت

واحدا من أكثر المفكرين عمقاً وأصالة فى المسائل اللغوية العامة فى القرن التاسع عشر ، وقد يتساءل المرء : ألم يكن من الممكن أن ينال مكانة مثل تلك التى نالها دى سوسير باعتباره أحد مؤسسى التفكير اللغوى الحديث . ويرجع علة عدم احتلاله مكانة دى سوسير، كما يرى، إلى أنه لو كان أسلوبه أقل إسهاباً ، وكانت أفكاره أكثر تحققاً وتمثيلاً مما كانت عليه وكانت أعماله الغزيرة معروفة أكثر ومقرؤه بشكل واسع لحقق هذه المكانة الجديرة أو اللائقة به.

وقد أدمج شلايشر فى نظريته العامة عن اللغة الأصل (Ursprache) ومعالجته للتنميط اللغوى كلا من أفكار القرن الثامن عشر وأفكار همبولت عن الأنماط اللغوية والأفكار السائدة فى القرن التاسع عشر حول الدراسة التاريخية المقارنة للأسر اللغوية، والأنماط الرئيسة الثلاثة ؛ النمط العازل والنمط الإلصاقى والنمط التصريفى تمثل بالنسبة لهومبولت تقدماً عاماً فى مجال التحقق الكامل للطاقة الكامنة للغة لـ (Vollkommenheit) الخاص بها . ولايمكن أن نغفل هنا دور النحاة الجدد فى تاريخ علم اللغة، فلم يكونوا بأقل من شلايشر فى كفاحهم من أجل تأسيس عملهم فى علم اللغة التاريخى المقارن فى إطار العلوم الطبيعية، ولكن فى الوقت الذى اتجه فيه شلايشر إلى البيولوجيا فإن النحاة الجدد اتجهوا إلى العلوم الفيزيائية الدقيقة . ودون الخوض فى تفاصيل الدور التاريخى لهذه الجماعة اللغوية نتوقف عند أفكار معينة أثرت فى تاريخ التفكير اللغوى تأثيراً كبيراً، ومن أهمها فكرة القوانين الصوتية التى تحكم تغيرات الأصوات ولا تعرف الشذوذ أو الاستثناء . فكل تغييرات الأصوات – حسب أوستهوف وبروجمان – تحدث بوصفها عملية ميكانيكية حسب قوانين لاتسمح بأى استثناء ausnahmlose Lautgesetze داخل نفس اللهجة وفى إطار فترة معينة من الزمن، ونفس الصوت فى المحيط الواحد سوف يتطور دائماً بطريقة واحدة ، ولكن التشكيل والابتداع القياسى لكلمات محددة بوصفها كيانات معجمية وقواعدية عبارة عن مكون عام للتغير اللغوى فى كل فترات التاريخ وماقبل التاريخ. ولايعنى سيادة مفهوم القانون الصوتى أن الاستثناءات غير موجودة، فقد سلموا بحدوث التطورات الشاذة ، ولكن ذلك لاينفى الإطراد أو غلبة الاطراد . وإلا فما معنى عبارة : إن تَحول الصوت عبارة عن ميل عام، ولايُتّبع فى كل

الأحوال ، . ولكن حتى الاستثناءات يمكن أن تفسر بشكل نظامى ، وقد بحث لها عن قاعدة، يقول فرنر : يجب أن تكون هناك قاعدة للاستثناءات عن القاعدة ، والقضية الوحيدة هى أن نكتشفها ، وهكذا فقد أرادوا للقانون أن يعم مثله مثل القانون الطبيعى . وكما لاحظنا فيما سبق وقوع علماء اللغة فى المراحل التاريخية المختلفة تحت تأثير خارجى يختلف من مرحلة إلى مرحلة، وهنا نفهم إعجاب المؤلف الشديد بالقواعديين الجدد، فقد آمنوا بقوة بعمومية القوانين الطبيعية . فإذا كان جريم ومعاصروه واقعين تحت تأثير الحركة الرومانسية، فقد تأثروا بالطابع التاريخى والقومى للعصر الرومانسى الذى عاشوا فيه . وقد نظر شلايشر إلى موضوعه – اللغة – بوصفه نظاماً من الأنظمة الطبيعية ، وعلى العالم أن يعالجه بمناهج العلم الطبيعى ، وهو نظام له مراحل نشأة ونضج وتدهور بشكل مستقل عن إرادة متكلمين أو وعيهم ، وكان نموذجه لعلم اللغة التاريخى فى البداية علم الأحياء ، وهو نفسه موقف بوب من اللغات الذى رأى وجوب النظر إليها بوصفها كائنات عضوية طبيعية تنشأ حسب قوانين محددة وتسير فى مراحل تطور، وتفنى فى النهاية. ثم حين ظهرت النظرية الدارونية وشاعت واطلع عليها وجدها تنسجم مع ماكتبه. أما القواعديون الجدد فقد أرادوا أن يجلعوا علم اللغة التاريخى علماً منضبطاً متوافقاً مع تلك العلوم الطبيعية . فقد شغلوا بالمادة والقوانين . وهكذا كان المؤلف محقاً إلى حد ما باحتفائه بالنحاة الجدد وبتأثيرهم، وبرغم ماوجه إلى بعض نظراتهم فإنهم – كما يقول روبنز فى الموجز ص ٣٠١ – قد تركوا بصمتهم على مرحلة من المراحل المهمة فعلياً فى تاريخ علم اللغة فى القرنين الماضيين، وكان تأثيرهم ثلاثى الأبعاد : فى التشجيع الذى منحته مقاربتهم للعلم اللغوى، وفى ردود الفعل المباشرة للذين صدموا بهم ، وفى ردود الفعل للأجيال المتأخرة.

أما بالنسبة للهوامش التى أضفتها إلى الكتاب ووضعتها مستقلة تتقدمها نجمة مشعة ، فقد أوجزت فيها غاية الإيجاز فلم أذكر فيها إلا مايحتاج إليه السياق، ولو تركت العنان لنفسى لتجاوزت الحد المنطقى، ولكنى حرصت على إثبات ما يكون توضيحاً للنص ، وقد اتخذت الإضافات أشكالاً مختلفة ؛ منها إضافات خاصة

بتوضيح المصطلحات وإضافات خاصة بتفصيل معلومات جاءت مختصرة فى المتن، ربما خفى على القارئ العلم بملابساتها، وإضافات خاصة بموقف بعض الدارسين من القضايا المطروحة ، وإضافات خاصة ببيان الأصول النظرية التى قامت عليها بعض المدارس، وأشار المؤلف إلى تحولات لها اعتماداً على معرفة اللغويين بها وبخاصة الأصول الفلسفية والاجتماعية والنفسية والمادية والعقلية والمنطقية ، وغير ذلك من الإضافات الضرورية فى رأيى لسبب بسيط للغاية، وهو أن علماء اللغة حين يتناولون القضايا اللغوية تتخلل تحليلاتهم إشارات كثيرة يظنون أن التفصيل فيها لاطائل تحته لأنها من المسلمات أو البدهيات ، وهى ليست كذلك بالنسبة للقارئ العربى . وأبسط مثال على ذلك مناقشة للفرضية التوليدية للكليات والفرضية الديكارتية المرتبطة بها عن الأفكار الفطرية من خلال الموقف الجيلى للعلماء الروس. ويحق للمرء أن يتساءل ما المراجع اللغوية العربية التى عرضت لهذه المسألة ولو بإيجاز ؟ ! ولذا أكدت فيما سبق الحاجة الملحة إلى تغطية هذه الجانب الغامض فى الدرس اللغوى الذى كان للعلماء الشرقيين إسهمات بالغة الأهمية فيه. وثمة أمر أخير أرى لزاماً على أن أذكره ، وهو أن هذا الكتاب الذى أقدم للقارئ العربى ترجمة كاملة له ، قد اعتمدت عليه دراسات لغوية سابقة، ولكن للأسف الشديد ما فعلته بالنصوص المقتبسة منه لاعلاقه له بالعلم مطلقاً ، فهل يجوز للباحث حين يرجع إلى نص أجنبى ليستفيد منه أن يأخذ جملاً ويترك أخرى أو أن يأخذ المعنى بالشبه وغير ذلك من أشكال تشويه النصوص العلمية، فلا تكون النتيجة ترجمة حرفية ولا ترجمة بالمعنى، وما إلى ذلك من الأسئلة التى تؤرق من يعتمد على الأعمال المترجمة فى معرفة معلومات موثوق بها واستخلاص نتائج منها.

على أية حال حاولت أن أقدم ترجمة عربية واضحة للكتاب ، برغم المشكلات التى واجهتنى فى مواضع كثيرة، لم أبخل فيها بجهد للتغلب عليها والاستعانة بخبرات أساتذتى الكرام وزملائى الفضلاء، فكثيراً ما قرأت عليهم بعض الفقرات للتأكد من أن القارئ العربى سوف يفهمها بعد ما بذلت من جهد فى إيضاحها، وبخاصة حين يلجأ المؤلف إلى تراكيب متميزة خاصة به تظهر مهارته

وتمكنه من لغته فيجعل التعبير عن المعنى الذى يمكن أداؤه ببساطة عسيراً فى تراكيبه ، وميل المؤلف إلى الجمل الفرعية والمعقدة والطويلة جلى للغاية . ولو كان يعالج مسائل عادية معروفة لكان الأمر هيناً ، ولكنه يتناول مسائل نظرية فلسفية أو نفسية أو اجتماعية هى فى حد ذاتها صعبة، لايحتاج إلى أن تتضاعف صعوبتها بوضعها فى تراكيب معقدة .

أخيراً حرصت كذلك على إثبات الصفحات المقابلة للترجمة فى النص الأصلى بوضع أرقامها فى الهامش جهة اليسار . وألحقت الكتاب بالمراجع التى رجع إليها المؤلف وقائمة بأهم المصطلحات الواردة فى النصوص، وليست موجودة فى نهاية الكتاب الأصلى.

وبعد ... فالفضل كل الفضل يرجع إلى المولى عز وجل الذى أعاننى على الانتهاء من العمل على الوجه الذى تمنيت له . وآمل أن يفيد القارئ العربى منه، كما أنى أطمع أن يمدنى بملاحظاته حتى يمكن أن أستدرك ما فاتنى فى طبعة قادمة بإذن الله ..

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ...

سعيد حسن بحيرى

القاهرة فى ٢٠٠٢/٥/٨م

مقدمة المؤلف

إذا ما قارن المرء بين الموقف الحالى لعلم اللغة فى ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية والموقف، كما تشكل فى النصف الثانى من الستينيات فإن ذلك يسفر عن بعض فروق واضحة. ففى بادى الأمر بدأ علم اللغة على استحياء منذ وقت قصير ٧ يأخذ وضعه الأكاديمى (المؤسسى) فى جامعات المانيا الغربية وبرلين الغربية، وهو مالا يعكس سوى وضع الاهتمام الذى كنه المرء له. وتبعاً لذلك كان عدد الذين ينعتون أنفسهم بأنهم لغويون ضئيلاً ، ووفقاً لذلك كان واضحاً أيضاً ، بأى شئ اشتغل ذلك الشخص الذى أطلق على نفسه لغوياً . «علم اللغة» ذلك كان مفهوم صراع (تحد) أ - كان موجهاً ضد «علم اللغة» ... التاريخى المحض القائم على إدراك مراحل اللغة الأقدم، وب - ضد علم اللغة غير الشكلى الملتزم بمناهج علمية عقلية . ودل الأخير على أن اللغوى أراد أن يتراجع أيضاً عن مدرسة فايسجربر، على الرغم من أن هذه المدرسة بلاشك تتميز بنظرة لغوية تزامنية (وصفية) .

كان علم اللغة مجالاً ضيق الحدود لنشاطات علمية . وقد سعى جاهداً وحيداً لإنشاء مناهج أكثر دقة وأكثر صرامة لإدراك البناء التركيبى الداخلى للغة من خلال تجريد واضح للسياقات الاجتماعية والنفسية الحقيقية التى تستخدم فيها اللغة. ويعى كل لغوى أن علمه ما يزال لم يحقق بأية حال الوضع الذى توفر له فيه محتوى من المناهج موثوق به ومقبول من كافة الجوانب واكتشاف مؤكد وإن كان محدوداً، معرفة ببنية اللغة . فكل منهج معرفة وكل مصطلح نظرى وكل مقولة عن اللغة لم تكن لتفهم إلا فى إطار المنهج الكلى لتلك المدرسة الخاصة فى علم اللغة، بحيث إنه كان من غير الممكن تقديم تعريف منظم ملزم على وجه الإجمال فى علم اللغة للفونيم والمورفيم ... الخ مثلاً . لم يوجد إلا فونيم داخل إطار فونولوجيا مدرسة براغ ، وفونيم داخل إطار البنيوية الأمريكية ... الخ . ولذا ربما كان من غير المعقول حقيقة بالنسبة للغوى أن يقدم «مدخلاً إلى علم اللغة» يطرح فيه مفاهيم أساسية ومعارف معينة عن بنية اللغة بشكل منظم ومستقل عن المدارس الخاصة فى علم اللغة البنيوى .

لقد تغير ذلك كله فى أثناء سنوات قلائل تغييراً شديداً إلى مفاجأة كبرى للغويين أنفسهم : إذ صار علم اللغة فى الوقت الحاضر المفهوم الجامع لكل الأنشطة البحثية الممكنة الموجهة إلى ما هو لغوى. ونشرت مداخل فى علم اللغة ذات طابع نظامى بقدر متزايد بوصفها كتباً تعليمية. وأخيراً يتوقع المرء من علم اللغة إجابات عن الأسئلة التى لها علاقة بدور اللغة فى سياق السلوك، أى عن أسئلة قد غض علم اللغة النظر عنها حتى الآن بشكل واضح فى بنائه للنماذج . وفى الوقت الحاضر جربت بنماذج ومفاهيم لغوية مجالات عدة (مسألة الحدود اللغوية، وتعليم اللغة ....الخ) وكان على اللغوى المسؤول أن يتساءل فى هذا الموقف الجديد، هل لنماذجه فى الحقيقة ذلك المدى الذى يتوقع منها فى الوقت الحالى على نحو ساذج فى الغالب، وهل من الممكن حقيقة أن يثمر المحتوى المفهومى والنظرى لعلم اللغة فى شكل تنظيمى دون أن يشار إلى تمسكه بمدارس محددة معزولة بعضها عن بعض بشكل أحادى فى الغالب، أى إلى أفقيته ونسبيته .

٨

إنى على اقتناع بأن المطالب الحالية من علم اللغة لايمكن أن توفى إلا حين يعاد توجيه ذلك العلم وتحويله أساساً من علم للبنية اللغوية إلى اتجاه علم لسلوك البشر المتحدثين . ولا يعنى ذلك – ربما يؤكد على ذلك هنا بشدة – أن رأيى أن علم اللغة الحالى لاصلة له بحل المهام القائمة حالياً جميعها، إنما يعنى ذلك فقط أنه يجب أن يحول تفسير نتائجه إلى إطار جديد، ويصلح أن يبحث بعناية، أى نواح وجوانب فى علم اللغة يمكن بهذا المعنى أن يستمر فى تطويرها، وأيها لايمكن أن يحدث لها ذلك. وهكذا يتوقف اللغوى على الأقل بشكل مؤقت أمام مهمة أن يبحث، ليس اللغة، وإنما علم اللغة، تاريخه، وجوانبه الخاص التى قد سعى من خلالها أن تفهم اللغة، وفروضه الأساسية فيما يتعلق بمشروعية هذه الجوانب، وموقعه ووظيفته من جهة نظرية العلم.

وفى هذا الكتاب أحاول أن أعرض تاريخ علم اللغة وأن أتفهم دورانه المستمر حول مسألة إلى أى مدى يعد علم اللغة علماً مستقلاً فى مقابل علوم السلوك، وبخاصة علم النفس. وفى رأيى أن المدارس المتضادة فى علم اللغة يمكن أن تقسم حسب موقفها من إشكالية الأسس هذه إلى معسكرين كبيرين : ما هو مادى آلى

(النحاة الجدد والبنيوية الأمريكية)، وماهو موجود على الأقل بالقرب من المثالية (البنيوية الأوربية لدى أتباع دى سوسير والنحو التوليدى) . لن أخفى أن ميولى، 9 برغم بضع تحفظات، إلى جانب الآليين لأن نهجهم يبدو لى أكثر قدرة على التطور وأكثر عقلانية وأقل انغلاقاً. وكان قصدى أن أعرض قيمة الطرائق الآلية وإشكالية الطرائق الأخرى فيما يختص بصلاحيتها لمحاولات الحل فى المجالات الحية فى الوقت الحاضر لعلم اللغة التطبيقى عرضاً أكثر تفصيلاً. ولكن لما كان ذلك يتطلب تحليلاً أكثر شمولاً وأشد تعمقاً فى الجزئيات مما بدا ممكنا ومجدياً فى إطار هذا الكتاب، وجب أن يتخلى عن ذلك ويمكن فى إضاءة موجزة فقط أن توضح بعض الجوانب التى يجب فى رأيى أن تلاحظ مع التطور المستمر لعلم اللغة. وتبدو لى الفروق بين كلا الاتجاهين المذكورين لعلم اللغة، كبيرة إلى حد أنى اتخذ مكرهاً كليهما معاً على أنهما علم اللغة البنيوى. وهكذا فحيث يستخدم هذا المصطلح فإنه فى العادة لايتصور إلا للاتجاهات ، المثالية ‹ وآمل أنه يمكن أن يعرف القارئ من السياق برغم غياب عناوين واضحة مانحن بصدده مباشرة .

مانزال ثمة حاجة ماسة إلى إيضاح تمهيدى أيضاً للعنوان : تركيبى "strukturell" أو بنيوى "strukturalistisch" : ففى الأساس يعد مصطلحا ،علم اللغة البنيوى ، و،علم اللغة ، مترادفين. فكلاهما عنيا الشئ ذاته بوصفهما مفهومين متصارعين. وهكذا فحين يعالج فى هذا الكتاب تاريخ أسس علم اللغة فإن ذلك يعنى أنه لاتقدم إلا تلك الاتجاهات فى علم اللغة التى تنظر إلى اللغة على أنها بنية يمكن إدراكها إدراكاً دقيقاً، ويمكن عرضها عرضاً شكلياً، وحين تجرى استثناءات من هذا (الباب الأول والمبحث الثانى من الباب الثالث)، فإن ذلك فقط لأن هذه الاستثناءات بينها وبين علم اللغة علاقة تقابل محددة واضحة.

ومما لاشك فيه أن الفضل يرجع إلى دى سوسير فى إدخال وجهة النظر البنيوية فى علم اللغة. وحتى إذا كانت البنيوية الأمريكية لم تحفل بدى سوسير إلا بشكل محدود فإنه قد وقف أقرب مايكون إلى أضعاف أضعافها على النقيض من ذلك، إذ كان دى سوسير بالنسبة لهم أول من وضع برنامجاً واضحاً للبنيوية. ولما كان النحو التوليدى فضلاً عن ذلك يرجع بوضوح للغاية إلى تصورات محددة لدى

سوسير فإنى لم تواتنى الشجاعة على تصنيف علم لغة دى سوسير خاصة تحت البنيوية الأمريكية .

١٠ إنى أحدد فى هذا الكتاب تاريخ علم اللغة بمساعدة الوثائق لكل مدرسة على حدة الأولى من جهة تاريخ العلم وما يمكن أن يقال كلاسيكية . ومن ثم لاينقل الانطباع بأن هذه المدارس قد حل بعضها محل بعضها الآخر إلى حد ما وبأن إحداها أيضاً قد أزاحت الأخرى. ففى الحقيقة قد استمرت المدارس إلى اليوم. وهكذا فإنى حين أقتصر على الصياغات الكلاسيكية فإن ذلك لأن الأمر لايدور هنا حقيقة إلا حول القضايا الأساسية. ويجلب هذا الاقتصار على القضايا الأساسية معه تنازلاً واسعاً عن عرض الطرائق الفنية فى علم اللغة. فلن يهتم هنا إلا بالمبادئ العامة التى تتطورت عنها هذه الطرائق. وعلى الرغم من ذلك فقد وضحت بعض هذه الطرائق من خلال أمثلة إضافية توضيحاً واسعاً إلى حد أن هذا الكتاب يعد كافياً بشكل جلى ومقروء أيضاً لأولئك الذين لم يكن لهم بعد أى احتكاك بعلم اللغة. وهكذا لن تشترط فى أى موضع تقنيات معرفية.

ومن فضل الكلام أن هذا الكتاب يمكن أن يدعى الكمال بأية حال من الأحوال، إذ ثمة بضع طرائق مهمة من المؤكد أنها لم ترد هنا إلا بشكل مقتضب للغاية أو أنها لم تذكر مطلقاً (على سبيل المثال مدرسة لندن). ولايتضمن ذلك أية أحكام عن هذه الطرائق. فمن جانب لم يكن ليتجنب تعسف معين فى مسألة الحذف، ومن جانب آخر تشغل هذه الطرائق أيضاً فيما يتعلق بالقضايا الأساسية فى علم اللغة المحدد معالمها فى هذا الكتاب، موقعاً خاصاً - وهو يصدق بخاصة على مدرسة لندن - بحيث لايمكن للمرء أن يتناولها بتقديم نقدى مجد إلا فى إطار علم لغة أعيد توجيهه وتحديده.

ويعد هذا الكتاب أيضاً غير مكتمل بمعنى أن القضايا الأساسية فى علم اللغة الموضحة هنا لها من جهتها أيضاً جذور بقضايا أساسية فى الطبيعة الأعم - وبنظرية العلم العامة وأخيراً بقيود العلم التاريخية والاجتماعية ذاتها. وربما وجب كذلك أن يكتب تاريخ علم اللغة فى هذا السياق الشمولى. ولايدعى هذا الكتاب ذلك، على الرغم من أن الحاجة إلى مثل هذه المخاطرة باتت ممكنة .

الباب الأول

علم اللغة قبل دي سوسير

النحاة الجدد



١ - علم اللغة قبل دي سوسير

النحاة الجدد

قيل فى المقدمة إنه لن يعالج فى هذا الكتاب إلا علم اللغوى البنيوى،أى علم اللغة بدءاً من تأسيسه على يد ف.دى سوسير. ومع ذلك لايمكن أن يتخلى عن تخطيط موجز لعلم اللغة غير البنيوى قبل دى سوسير مباشرة، لأنه يمكن للمرء أن يحكم على مؤلَّف دى سوسير حكماً أفضل حين يعرف عن أية تيارات علمية وجب أن ينفصل عنها ، ولكنه من جهة أخرى يُكّمل ل. بلومفيلد، المؤسس الحقيقى للمدرسة البنيوية الأمريكية إرث النحاة الجدد* من جهات عدة. وفى الحقيقة يعد نهج بلومفيلد ذا قرابة بقواعد النحاة الجدد أكثر بكثير من قرابته لبنيوية دى سوسير، بحيث إنه قد صار عرض موجز لقواعد النحاة الجدد لهذا السبب أمراً ضرورياً.

لقد كان علم اللغة فى القرن التاسع عشر متطابقاً إلى حد بعيد مع الدراسات الهندوجرمانية، أى أن علم اللغة يطابق مع جهود تحديد (رسم) تطور اللغات الهندوجرمانية، وتلك اللغة الأساسية المفترضة التى يلزم أن تكون كل اللغات الهندو أوربية قد اشتقت منها، وإعادة بنائها قدر المستطاع. وقد عين ذلك بلاشك مضمون الأنشطة العلمية للنحاة الجدد التى كانت مؤثرة منذ السبعينيات (فى القرن التاسع عشر تقريباً) . ومع ذلك يتناقض الإطار النظرى اللغوى والمنهجى العام الذى أجرى النحاة الجدد بحوثهم داخله، مع التصورات النظرية العامة السائرة لدى اللغويين السابقين.

ويفهم تحت «النحاة الجدد» مجموعة من العلماء الذين درسوا جميعهم تقريباً

* يختلف الباحثون حول ترجمة "Junggrammatiker"، فمنهم يصر على أنها النحويون الشبان أو النحاة الشبان أو القواعديون الشبان أو القواعديون الجدد أو النحاة الجدد وفقهاء اللغة الجدد وفى الحقيقة كلها تكاد تكون مترادفة، ولكنى اخترت المصطلح قبل الأخير لأنه الأكثر شيوعاً فى المؤلفات اللغوية وعلى ألسنة الباحثين، وحتى يمكننى إضافة قواعد إلى المصطلح حين يتطلب النص ذلك.

فى ليبزج* (ولذا يشار اليهم فى الغالب أيضاً بمدرسة ليبزج) وشرعوا – بتشجيع طيب من أستاذهم شيرر Scherer– بدءاً من منتصف السبعينيات (من القرن التاسع عشر)** أن يبثوا آراءهم الجديدة والتى كانت آنذاك ثورية بشكل مطلق فى بعض بيانات كانت قصيرة فى الحقيقة ولكنها بسبب جدلهم المتدفق، ذات تأثير شديد الوضوح. وقد صاغ علماء اللغة القدامى الذين هوجموا مصطلح «النحاة الجدد» . وقد كان يعنى فى الحقيقة الزراية والاحتقار. ومع ذلك تلقاه نحاة ليبزج بصدر رحب، ١٢ وحملوه على الدوام بفخر لابأس به. أين تكمن الآن هذه الجدة وما أزعج إلى حدما الجيل الأقدم فى آراء النحاة الجدد بشكل واضح ؟

يرتبط قبل أى شئ التنفيذ الصارم للمعايير المحكمة لعلمية العلوم الطبيعية الوضعية الدقيقة بإزالة جذرية لكل التصورات الميتافزيقية عن اللغة والتطور اللغوى. فقد حل محل التصورات الفلسفية المثالية العقلية التوجيه الصارم إلى مجالات حقائق يمكن ملاحظتها، ويهدف الشعار المشهور لـ هـ . باول (H.Paul) إلى ذلك : امض مع التجريدات، وذلك يوجب بوصفها معايير لأعمال علمية – بشكل مطلق ومفترضة فى حد ذاتها – أنها لم تؤثر إلا فى الوقت الحاضر، غير أنها قد أثرت آنذاك أيضاً بطريقة يسيرة عجيبة – ولكن باول ذاته قد انقلب على فهم هذا الشعار بتحوله إلى شكلى مطلق، ووضح فى هامش ضجر ماذا كان يعنى به فى الحقيقة .

قد أساء ميستلى (Misteli) فى مجلة علم نفس الشعوب، عدد ١٣ص ٣٨٥، فهمى بطريقة عجيبة إلى حد أنه قصد أنى لا أريد أن أعرف أية تجريدات موضوعية، بينما لم أقصد بداهة إلا أنه ينبغى ألا توضع أية تجريدات معوقة بين عين الملاحظة والأشياء الحقيقية، تمنعه من إدراك السياق السببى بين هذه الأخيرة. ومن ثم تكون الفائدة التى يمنحنى إياها عن قيمة التجريد، زائدة عن الحاجة مثل

* من أهمهم بروجمان وأوستهوف ودلبروك وبراونه وسيفرز وباول وليسكين. وكان أول من اطلق عليهم هذا الاسم هو عالم الدراسات الألمانية تسارنكه F. Zarncke لأنهم كانوا ينتمون إلى علماء اللغة من الجيل الجديد، هذا بالإضافة إلى أنهم صغار السن كما كان يطلق عليهم أحياناً مدرسة لايبزج.

** كان لتشجيع أستاذهم شيرر (٨٤١ – ١٨٨٦) أثره الكبير فى انتشار آرائهم الجديدة الثورية فى ذلك الوقت.

ملاحظته النقدية عن أنى مازلت مستمراً فى عمل تجريدات أكثر من آخرين (هـ. باول ١٩٦٦، ص١١).

انتقد النحاة الجدد بوجه خاص هذه الفرضية المنهجية العامة للملاحظة «المحضة» فى آرائهم حول موضوع علمهم – اللغة. فقد اندست بين هذا الموضوع والعلماء الملاحظين فى المراحل السابقة ألوان من التصورات المفترضة ميتافزيقياً : وهو ماصار واضحاً بشكل خاص لدى أ. شلايشر (A. Schleicher) : فقد نقل أ. شلايشر بإلهام من أوجه التقدم فى علم الأحياء بشكل ساذج ودون تمهيد دروس دارون عن اللغة التى عدها كائناً حياً ، الذى – ظن أنه خرج عن الانسان المتحدث ما يسير حياته الخاصة بنفسه. فقد تسربت مجموعة الاستعارات البيولوجية إلى وصف تطور اللغات. وتبعاً لها فإن للغات شبيبتها (طفولتها) ونضوجها (شبابها) وهرمها. وتعتورها تحولات، وتتناسل وتتدهور ... الخ. وقد أدت هذه النظرة الغربية للغة إلى نموذج شلايشر المشهور لشجرة الأصل (النسب) بالنسبة لتطور المحيط اللغوى الهندوأوربى – لم تكن أوجه التشخيص البيولوجية هو الوحيدة التى كانت شائعة آنذاك. فقد أثرت دروس شتاينهال (Steinhal) تأثيراً كبيراً أيضاً، وهو الذى كان قد فصل فى عمله عن نفسية الشعوب، إلى حد بعيد، روح الشعب، التى كمنت فيه ضمن غيرها اللغة أيضاً بوصفها عنصراً، عن « أرواح مفردة » معينة وجعلها مستقلة. قاوم النحاة الجدد هذه الميثولوجيات (Mythologismen) بعنف، وطالبوا بالتوجه إلى وصف « أشياء موجودة حقيقة » (باول ١٩٦٦، ص١١). ولكن ذلك لم يعد ممكناً الآن أن يكون للغات فى حد ذاتها، بل الإنسان المتكلم أو أفعال نشاطه الكلامى الممكن ملاحظتها بشكل محدد : «إن الموضوع الحقيقى للباحث اللغوى على الأرجح هو كل منطوقات النشاط الكلامى لكل الأفراد فى تأثيرهم المتبادل بعضهم فى بعض». فالمركبات الصوتية التى تكلمها أى فرد أو سمعها أو تصورها مع التصورات المترابطة معها، التى كانت المركبات الصوتية رموزها، وهى كل العلاقات المتنوعة، التى توغلت عناصرها اللغوية فى أرواح الأفراد، تدخل فى تاريخ اللغة، ويجب فى الحقيقية أن تكون كلها معروفة حتى نتمكن من فهم تام للتطور ،

١٣

(باول ١٩٦٦ ، ص٢٤) وينتج عن ذلك موقفان لايمكن أن ينساهما علم اللغة البنيوى فى القرن العشرين للنحاة الجدد.

١ - ليس هناك مطلقاً لغة تكاد تكون موحدة لدى كل أفراد جماعة لغوية معينة، أى مثل إلى حد ما اللغة الألمانية أو الانجليزية أو الفرنسية، ولكن مجرد لغات فردية فقط، إذ ينظر إلى اللغة فى الحقيقة على أنها ضفائر من روابط متضامة مكوناتها الأكثر جوهرية هى ترابطات بين تصورات صوتية وتصورات دلالية. ولايمكن لتلك التصورات وترابطاتها أن توجد هكذا معينة وواقعية إلا فى رءوس الأفراد ، فكل العمليات النفسية تتم فى العقول الفردية وليس فى أى مكان آخر، (باول ١٩٦٦ ، ص ١١)، فمفاهيم مثل ، اللغة الألمانية ، والتى ينتظر تفسيرها من علماء اللغة العلانية بوجه عام ليست شيئاً آخر غير تجريدات وأكثر سوءاً ، افتراضات ، (بودوين دى كورتيناى) . والآن من جهة أخرى لايمكن تجاهل حقيقة أن الأفراد فى جماعة معينة يمكن أن يتفاهم بعضهم مع بعض ويتواصل بعضهم ببعض. ولإيضاح ذلك لم تكن ثمة حاجة للنحاة الجدد لافتراض لغة جمعية Kollektivsprache ، . ويورد هـ . باول بدلاً من ذلك تصور Sprach usus ، العرف اللغوى ، *، فأفراد أية جماعة يوجدون فى تأثير متبادل مستمر، ويؤثر بعضهم فى بعض دون توقف، فى أفعال معينة وبخاصة فى أفعال الكلام . ومن خلال هذا التأثير المتبادل، ينشأ من اللغات الفردية الكثيرة نوع من المتوسط المشترك، حد أدنى معين كاف فى التصورات المشتركة، وهو العرف (der Usus) . ومن البدهى ألا يعزى لهذا العرف أى وجود حقيقى مستقل. إنه ليس إلا مقولة مجردة يجمع اللغوى تحتها المركبات التصورية المتساوية الفردية المفردة على وجه الخصوص، ولكن طريقة ورودها الحقيقية الوحيدة لسابق عهدها لاتكمن معللة إلا فى رءوس الأفراد. وفضلاً عن ذلك يجب على المرء أن يحترز أيضاً من تحويل مفهوم التأثير المتبادل ، إلى مفهوم أسطورى ،. فالأمر لايتعلق بأية حال من الأحوال بتأثير متبادل بين تصورات فرد ما

١٤

* لمصطلح (Usus) عدة معان، منها : الاستعمال، التقليد، العادة ، العرف، الأصل ... وقد اخترت منها ما يناسب المقام، انظر ما يلى أيضاً .

وتصورات فرد آخر، إذ لاتوجد العلاقات بين التصورات إلا في الروح المفردة. فحركة الأرواح فيما بينها ليست إلا وسيطاً غير مباشر بطريق نفسي (باول ١٩٦٦ص١٢، التنويه من المؤلف). يجب بادى الأمر أن يرتبط تصور ما بشئ مادى، أى في حالة اللغة بصوت، وبمساعدة هذا فقط يمكن أن يؤثر فرد أ في فرد ب. وإذا أثار الصوت الذى أنتجه فرد أ لدى فرد ب التصور ذاته أو على الأقل تصوراً مشابهاً بشكل كاف، فإنه يمكن أن يتحدث عن فعل إخبارى لغوى ناجح.

٢- الموقف الثانى، الذى ينتج عن الوصف أعلاه لموضوع علم اللغة هو ما يسمى التاريخية Historismus، فالنظرة التاريخية للغة وحدها لها الحق أن تنعت بالعلمية، ولذلك حمله عنوان كتاب هـ. باول أيضا بشكل دال « مبادىء تاريخ اللغة». لعل نموذج الوصف العلمى للغة ما هو التسجيل الخالى من التغيرات لكل الأفعال الكلامية لكل أفراد جماعة معينة من البداية التاريخية لها حتى الوقت الحاضر، ولعل وظيفة العالم قد اقتصرت هنا بشكل واضح على وظيفة شريط تسجيل عالمى. وربما ظلم النحاة الجدد فى ذلك، فربما لم يوثق فى هذا التصورغير المعقول ثقة عمياء وتجوهل، فقد وجه هذا البرنامج بوصفه مبالغة مضادة - جدلية ضد تلك التصورات الأخرى من عمل علم لغوى. وفى الحقيقة لايغيب عن باول بأية حال مفهوم التفسير العلمى. فالتفسير يعنى لديه عرض واقعة بوصفها مؤثرة فى واقعة أخرى تقوم بوظيفة علة لها، ويعنى ذلك إدراج واقعة ملاحظة تحت قانون عام. ولايجوز أن يثقل هذا التفسير السببى بمفاهيم نظرية فحسب، تعد حسب باول تجريدات فقط، ولاتعرض تبعاً له إلا بشكل غير ضرورى بين الأشياء والملاحظ. ولا يستغنى وصف وصفى (سمى بعد ذلك synchrone « تزامنى ») للغة، أى وصف للغة بوصفها موجودة فى حال معينة يفترض أنها ثابتة (مثل اللغة الألمانية الحالية) - ذلك الشكل من الوصف لايستغنى عن تجريدات. ولذا يجب أن تفسر كلمة معينة أوردت بوصفها عنصراً لقسم من أقسام الكلمة (مثل «بيت» بوصفها اسماً). وربما كان ذلك تجريداً. وليس من الصعوبة معرفة كيف عُدّ هنا لدى النحاة الجدد مبدأ التفسير العلمى بمفهوم الوضعية الأصلية شديد الآلية. ولكن يجب أن يراعى أخيراً أن هذه الآلية الصارمة قد أدت للمرة الأولى وظيفتها المفيدة للغاية فى قذف كل طرائق

١٥

التفسير الميتافزيقية – المثالية الممكنة لوقائع لغوية. وتُتبع طرائق التفسير هذه، تقريباً حين يستنبط أ. شلايشر حقائق لغوية من قوة بيولوجية كامنة فى اللغة أو حين يفسر «علماء نفس الشعوب» هذه الحقائق بأنها نتيجة روح الشعب القومية – نظرة لغوية مثالية لم يتغلب عليها بأية حال حتى أيامنا هذه. ولايستطيع باول الآن أن يتصور أى تفسير علمى، أى آلى آخر غير التفسير التاريخى وحده : فالواقعة اللغوية تفسر على أنها نتاج تغير (gesetzmässiger Wandel)* لواقعة مبكرة. ويعد اكتشاف ذلك التغير الحتمى (التحول المقنن) للغة هو الوظيفة المحورية الحقيقية لعالم اللغة. ومما يميز ذلك الموقف الأساسى الآلى هنا فضلاً عن ذلك أن النحاة الجدد لم يعنوا إلا بقوانين التغير الصوتى (Lautwandel) تقريباً، أى بقوانين التغير فى الصيغ اللغوية الظاهرية الممكن ملاحظتها مباشرة . أما تغير المعنى فقد بدا لهم أقل اطرادا ومتأثراً بعوامل لايمكن ضبطها تأثراً شديداً، إلى حد أنهم استبعدوا الاشتغال بذلك ليس نظرياً فى الحقيقة بل إنهم قد عبروا عن ميولهم ضد ذلك فى صورة إهمال.

وربما يجدر أن نتوقف قليلاً عند مفهوم النحاة الجدد للقانون الصوتى، إذ ارتبطت كل أشكال الجدل حول النحاة الجدد قبل أى شئ بهذا المفهوم، ووهو فضلاً عن ذلك ليس كأى مصطلح آخر قد اختص بإيضاح تحديد مبادئ النحاة الجدد من خلاله.

١٦ فى ١٨٧٦ صاغ أ. لسكين (A. Leskien) للمرة الأولى الشعار الذى صار مشهوراً – معروفاً وهو «لا استثناء (لاشذوذ) فى القوانين الصوتية (Ausnahmslosigkeit der Lautgesetze)» ، أى ينبغى أن يعزى الوضع الثابت المماثل لأوجه الحتمية (الاطراد) للتغير الصوتى اللغوى كما يعزى إلى قوانين العلوم الطبيعية الوضعية. وهكذا إذا قُرِّر أن صوت (X) فى إطار قيود المعنية فى وقت معين

---

* يعنى ذلك أيضاً أنه تغير مطرد، مقنن أى يحدث وفق قوانين ملزمة لاتعرف الشذوذ وهو ما جعل الباحثين يترجمون اللاستثناء باللاشذوذ ولكنى أميل إلى الأول، وهو مفهوم مهم جداً لدى النحاة الجدد.

من تاريخ اللغة قد تحول إلى صوت (Y)، فانه يفترض أن هذه العملية فى كل مكان قد تمت فى كل مفردات اللغة المعنية فى ذلك الوقت مادامت هذه القيود قد توفرت. وربما يكون التغير الحركى الأساسى فى الألمانية الفصحى القديمة قانوناً نمطياً لذلك:

تتحول a إلى ä قبل i فى المقطع التالى .

ومن الواضح هنا أن العمليات الصوتية تتصور على أنها مستقلة عن المعانى أساساً ، وهو مايبين مرة أخرى فقدان ثقة النحاة الجدد المذكور فيما سبق فى إمكانية الإدراك العلمى للمعنى .

إن « الاستثناءات » التى لايمكن إنكارها فى تاريخ اللغة، أى الحالات الموجودة التى لاتقبل الجدل من المفردات التى لم يتم فيها تغير صوتى معين، على الرغم من أن القيود بالإضافة إلى ذلك قد توفرت، والحالات المعكوسة التى تم فيها تغير صوتى معين، على الرغم من أن القيود لم تتوفر، لم يعد فى استطاع النحاة الجدد أن يتركوها هكذا لأنها ببساطة استثناءات، بل وجب عليهم أن يفسروها من خلال ميل سار بشكل مضاد للقوانين الصوتية، ولكنه مطرد (حتمى) أيضاً. ويقصد بذلك القياس (Analogie) . فالكلمات تسجل حقاً فى رءوس المتكلمين المفردين ترابطات معينة مع كلمات أخرى، وهكذا تتشكل مجموعات من التصورات التى يمكن أن تتضام مرة أخرى فى « كائنات حية » كلية من التصورات. وهو مايحدث بداهة أيضاً بشكل غير تعسفى وعارض، بل وفق قوانين نفسية محكمة. وهكذا يمكن أن تربط كلمة أو ضميمة أ ، وُفِّيت فيها القيود جـ لتغير صوتى ل ، ربطاً محكماً مع كلمة أو ضميمة ب، لاتكون فيها القيود جـ هى هى. ويمكن بحسب ثقل كلتا الكلمتين أو الضميمتين أن يحدث الآن ألا توجد (القيود) ل فى أ قياساً على ب أو أن توجد (القيود) ل فى ب قياساً على أ.

ثمة دلالة قصوى للتعليلات التى قدمها النحاة الجدد لفرضهم عن اللا استثناء فى القواعد الصوتية. يحاول باول أن يستنبط اللا استثناء من أوجه اطراد (حتميات)

١٧ نفسية عامة، إذ توجد ترابطات متضامة فى دماغ الفرد، وتوجد تأثيرات متبادلة للأفراد بعضهم فى بعض . ولم تكن هذه المحاولة فى زمنه بعيدة عن الاقناع، ففى الحقيقية كانت التعليلات كما تتردد مراراً لدى أو ستهوف / بروجمان Osthoff Brugmann (١٨٧٨) شديدة التمييز لنحو النحاة الجدد : فاللاستثناء يعد فرضاً علمياً بدهياً. وإذا حوفظ على الاعتقاد العلمى النظرى – الإنسانى فى مرونة الأشياء الإنسانية واستقلالها وعدم إمكانية تكريرها. فإن ذلك يعنى فى الوقت ذاته أن هذه الأشياء لاتمكن وصفها وصفاً علمياً. ولكن إذا ما أريد عدم الحفاظ على هذه الأخيرات فانه لايبقى لأحد شئ غير أن ينطلق من صلاحية الإدراك الحتمى (المطرد)، إذا ما أريد عدم الوقوع من جديد فى التعسف (الجزافية)* والذاتية. وهكذا يحل هنا محل بدهية تجريبية، بدهية نظرية علمية يعبر من خلالها الاعتقاد الكامل للنحاة الجدد فى إمكانية إدراك العالم بطريق علم آلى وضعى. ومن السابق أن يشار إلى أنه فى تاريخ علم اللغة البنيوى الحديث قد أجريت هذه العملية – أى محاولة استنباط مقولات عن اللغة من بدهية نظرية علمية – مرات عدة، حيث يربط النحاة الجدد إلى حد ما بالجلوسماتية (Glossematik)** التى تختلف فى غير ذلك اختلافاً بينا (انظر الباب الثالث، المبحث الثالث) .

وفى هذا السياق يجب أن يوضح بشكل موجز، كيف رأى النحاة الجدد بوجه عام العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس. ولايعنى الميل إلى استنباط مبدأ اللاستثناء بالأحرى من اعتبارات نظرية علمية أكثر من تأسيسه على معطيات نفسية حقيقية، بأية حال من الأحوال أن النحاة الجدد يعدون علم اللغة مستقلاً عن علم النفس. فعلى العكس من ذلك إن اللغة بوصفها نشاطاً للإنسان كانت بالنسبة لهم شيئاً نفسياً دائماً.

---

* يعنى مصطلح Willkür التحكم، التعسف، التسلط، ويضاف إلى ذلك ما اكتسبه المصطلح بعد ذلك، وبخاصة حين لحقت به بعض اللواحق فصار Willkürlichkeit " من دلالات العشوائية والجزافية، مصطلحاً مقابلاً للمصطلح المستخدم فى وصف اللغة عند دى سوسير arbitrār و Arbitrārität

** ترجم هذا المصطلح إلى المنظومية وعلم الرياضيات اللغوى والتحليل شبه الرياضى والغلوسيمية .. الخ وهو من مشتق من الكلمة اليونانية (Glossa) بمعنى كلمة أو لغة، ولكنى آثرت الإبقاء على تعريب حرفى لأسباب كثيرة .

وقد رأى كل النحاة الجدد أيضاً أن علة التغير اللغوى الحقيقى (حتى إن لم يوجد له اطراد) فى معطيات نفسية. وفى أى شئ يحدث فى نفس الفرد، بحيث ينحرف فى نشاطه اللغوى عن العرف. ويمكن أن يفرض مايشبه التأثير المتبادل بين الأفراد فى إطار ظروف خاصة هذا الانحراف بحيث ينشأ عرف جديد فى الجماعة اللغوية. ولما كانت آخر الآمر ترجع كل العمليات اللغوية بذلك إلى عمليات نفسية فقد شكل إذن علم النفس أيضاً، علم الأسس، الأعلى العام (هـ. باول) لعلم اللغة، وتعد القوانين الخاصة بالعلة والتأثير بالنسبة للتغير اللغوى قوانين نفسية محضة. ولكن لم يعن ١٨ النحاة الجدد بالقانون الصوتى على الإطلاق قانون العلة - التأثير هذا ولكن مجرد تقرير التغير الحتمى من عرف إلى عرف إلى حد أن مصطلح، قانون صوتى، فى الحقيقة لم يكن جد محظوظ. وطالما يقتصر علم اللغة على هذا الوصف للحقائق فإنه لايحتاج إلى أن يراعى أية افتراضات نفسية خاصة. ويقول دلبروك (Delbrück) أيضاً فيما يتصل بنظريتين نفسيتين متضادتين (١٩٠١، ص٤٤)، يرى المرء أنه بالنسبة للعملى يمكن أن يتعايش مع كلتا النظرتين،. ولكن - ويجب أن يركز على ذلك مرة أخرى - ذلك لايعنى رفضاً لعلم النفس باعتبار أنه علم إطار أو علم مبادئ (قارن بالإضافة إلى ذلك أيضاً الباب الخاص ببلومفيلد). هنا ننهى عرض نحو النحاة الجدد. وسوف نأتى فى الأبواب التالية كذلك إلى الحديث عن بعض نقاط مهمة، مثل تقريباً ما يسمى بمذهب الذرية* أو المذهب الذرى (Atomismus) فى نحو النحاة الجدد. ويمكن هنا أن يشار كذلك إلى أن النحاة الجدد لم يكونوا فى الحقيقة عقولاً منظرة، فقد روجوا لنظرياتهم التى ماتزال إلى اليوم أيضاً غير واقعية بأية حال عن اللغة وعلم اللغة فى مقدمات مقتضية وموجزة فى الغالب، ومنها تعد مقدمة أو ستهوف - بروجمان التى سبق ذكرها هى الأشهر. وقد كتب هـ. باول فقط كتاباً كاملاً عن، مبادىء التاريخ اللغوى،. ولكن خلاف ذلك ركز النحاة الجدد كلية فى إطار برنامجهم عن علم اللغة بوصفه علماً وضعياً كامل قواهم على أن يجمعوا

---

* مذهب يرجع كل شئ إلى الذرة أو يرى أن الكون كله مكون من ذرات.

فى دقة بالغة كما ضخماً من المواد اللغوية عن تطور اللغات الهندواوربية وأن يصبوه فى كتب ذات ضخامة جديرة بالدهشة (انظر : المؤلف التاريخى (الرائع) لبروجمان / دلبـروك : Brugmann / Delbrück > Grundriss der Vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen). «الأساس فى النحو المقارن للغات الهندوأوربية»..

لم يشهد علم اللغة مطلقاً مرة أخرى مثل ذلك الانفجار الخاص بمعرفة الحقائق، وربما لايمكن أن يقارن إلا بالإدراك الواسع الشامل للغات هنود (أمريكا) فى العشرينيات والثلاثينيات فى أمريكا على يد البنيويين الأمريكيين. ويتميز سائر علم اللغة البنيوى فى القرن العشرين بالأحرى باستخلاص جوانب جديدة أعيد من خلالها ، مراجعة ، ماهو مشهور أكثر من استخلاص مجالات جديدة للمواد اللغوية . ولذلك يتحدث هارتمان Hartmann (١٩٧٠) مصيباً عن « تنظير » اللغة.

١٩ بيد أن بالرغم من كل شئ يصعب أن ينكر أن النحاة الجدد فى نظرياتهم، وإن كانت تبدو موجزة من جهة الكم وغريبة، قد تناولوا فى الواقع كل النقاط التى ما تزال إلى اليوم أيضاً تدور حولها الأفكار الأساسية فى علم اللغة [1].

الباب الثاني

فردينان دي سوسير

٢ - فردينان دى سوسير

٢ - ملحوظات تمهيدية

٢٠ لم يكن من المستطاع أن يحافظ البرنامج الصارم للنحاة الجدد لمدة طويلة بلاريب على صلاحية عامة. لقد هزت نتائج البحث اللهجى وجغرافيا اللهجات التى يرتبط ظهورها باسم اللغوى الفرنسى جيليرو (Gilliéron) ، الاعتقاد فى اللا استثناء فى القوانين الصوتية، وأضعفت بذلك الأساس الحقيقى للنحاة الجدد. وشُرِع أيضاً بوجه خاص فى نقد موسع للتضييق غير العادى للرؤية التى نُظِر إلى اللغة فى إطارها. فقد ظهرت بدءاً من مستهل القرن الجديد (يقصد العشرين) تيارات كثيرة مثالية - جديدة بشكل واضح فى الغالب، حاولت أن تزيل ذلك التضييق بتضمين قضايا علم اللغة فى قضايا جمالية أو ثقافية - اجتماعية . ومن البدهى أن يقال أى شئ ضد ذلك التضمين، ولكن الأساس المثالى - التأملى لهذه الطرائق قد نكص بدقة عن التقدم الذى كان قد حققه النحاة الجدد بشعارهم الحاد جدلياً ، استمر مع كل أشكال التجريد ، : فقد تسللت من جديد بين الملاحظ العلمى والمواد اللغوية أحكام ميتافزيقية مسبقة، عدت فيها اللغة نتيجة لتلك الأبنية وعلامة عليها ، وهى على سبيل المثال «الثقافات القومية» ، و « أرواح الشعب » وما أشبه.

وكان اللغوى (الفرنسى اللغة) من جنيف فردينان دى سوسير أول من تغلب على النحاة الجدد، كما يقال، على أرضهم ، وذلك بخروجه من نهجهم الخاص، أى أن هذه الغلبة لم تكن مرتبطة بتنازل كامل عن الجوانب الوضعية فى برنامج نحو النحاة الجدد وانتكاس فى مثالية تأملية واضحة للغاية ، بل يمكن أن يقال مسبقاً أن كثيراً مما فى مذهب دى سوسير يبدو لى أيضاً مثالياً بوجه عام .

وعلى الرغم من ذلك لايجب أن يسلم بأن دى سوسير قد احتل بالنسبة للنقاش حول أسس علم اللغة، مواقع لم يعد من الممكن تجاهلها ، ويحاورها بعد قليل أيضاً ذلك الذى يحاول فى الوقت الحاضر أن يتناول علم اللغة على نحو مخالف لما لدى دى سوسير.

فقد تلقى دى سوسير تعليمه العلمى الأساسى فى السبعينيات من القرن الماضى فى ليبزج، أى قلب مركز النحاة الجدد. ولهذا اختصت أعماله المنشورة فى أثناء حياته إلى حد بعيد بمسائل كلاسيكية فى الدراسات الهندوجرمانية، مع أنه يعلن فيها ٢١ ولاسيما فى عمل يرجع إلى سنة ١٨٧٩ عن نهج خاص يتخطى نحو النحاة الجدد. ففى الفترة بين ١٨٩٠ و ١٩٠٠ وجب على دى سوسير مع ذلك داخلياً (ولكن من الجدير بالملاحظة أن ذلك ليس فى نشريات مطلقاً) أن يقلع عن مذاهب النحاة الجدد، وأن يبحث فى صورة مرهقة للنفس إلى حد ما - حسب شهادة علماء التراجم - عن إطار جـــديد لعلم اللغـــة. وفى السنوات ١٩٠٦/١٩٠٧ و١٩٠٨/١٩٠٩ و ١٩١٠/١٩١١ ألقى فى جامعة جنيف محاضرات عن قضايا «علم اللغة العام» (حول سيرته انظر ضمن غيره مونين ١٩٦٨). ومن إملاءات هذه المحاضرات ومذكرات سامعيه آنذاك جمع الزميلان أو تلميذا دى سوسير ت. باللى (Ch Bally) و أ. سيشهاى (A.Sechehaye) بالاشتراك مع أ. ريد لنجر (A. Riedlinger) كتاب «محاضرات فى علم اللغة العام < Cours de linguistique generale > *، الذى نشروه سنة ١٩١٦ مؤلفاً باسم دى سوسير بعد وقت قصير من وفاته. وبدءاً من الطبعة الثانية سنة (١٩٢٢) لقى الكتاب انتشاراً عظيماً ، وترجم فى وقت قصير إلى كل اللغات الأوربية تقريباً . وكما لايتوقع شئ آخر بالنظر إلى طبيعة نشوء «المحاضرات» فقد برزت بضع شكوك حول صحة فقرات كثيرة واستدلالات، وقد فصلها بحث دى سوسير المكثف . وفى الحقيقة يستطيع كل واحد فى الوقت الحاضر أن يقتنع من خلال محاضرات جودل (Godel) سنة (١٩٥٧) ودراسة النشرة النقدية للمحاضرات لانجلر (Engler) سنة (١٩٦٨) أيضاً، بأن باللى وسيشهاى قد هذبا تعارضات كثيرة فى أفكار دى سوسير دون أن يوفقا فى ذلك فى الحقيقة توفيقاً كاملاً. فقد قوّيا بوجه خاص الميل الاجتماعى لدى سوسير وفق رؤاهم الخاصة بشكل

---

* ترجم هذا الكتاب إلى العربية خمس ترجمات متتابعة بينها اختلافات كبيرة لأسباب كثيرة لايتسع المجال هنا لذكرها، أهمها الترجمة التونسية لمحمد شاويش ومحمد عجينة بإشراف القرمادى بعنوان : دروس فى الألسنية العامة، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥م.

غـيـر لائق. وتعـد هذه القـضـايا الفـيلولوجـيـة خـارج العلم الدى سـوسـيـرى «Saussurologie» غير مهمة على الاطلاق. ما يهمنا هنا هو نهج دى سوسير، إلى أى حد وكيف صار شكله معروفاً وأثر فى علم اللغة، ويعنى هذا كيف كان ذلك فى نص موثق للمحاضرات (ولذلك أسمح لنفسى أيضاً فى هذا الكتاب مخالفاً كل الأعراف الفيلولوجية، بأن أقتبس من ترجمة هـ. لومل (H. Lommel) المعروفة والمنتشرة فى المانيا).

سوف «أعرض فيما يلى بادى الأمر الجوانب المهمة فى المحاضرات،* ثم ألخصها وأخيراً أخضعها لتقويم نقدى.

٢ - ٢ كتاب «محاضرات في علم اللغة العام»

٢٢

تسود الفقرات التمهيدية بلا استثناء نغمة أن علم اللغة ليس كافياً حتى الآن لتحديد موضوعه ومن ثم على بتأسيس عمله الخاص. فقد وصف كما يقال لغات دون معرفة ما اللغة. وفى إثر بداية الباب الثانى عزى إلى علم اللغة أيضاً واحدة من مهامه الأساسية «أن يحدد حدوده وأن يعرف نفسه بذاته» (ص ٧). ولم يكن من المقبول لدى دى سوسير أن يتخذ الكلام الانسانى فى عمومه (langage) موضع علم اللغة، لأن الأمر يدور فى ذلك حول شئ غير متجانس إلى حد بعيد للغاية، كم مضطرب من أشياء متباينة» (ص١٠)، يشترك فيه تبعاً لذلك عدد كبير من العلوم الأخرى أيضاً، – علم النفس، وعلم الانسان والنحو المعيارى وفقه اللغة (الفيلولوجيا).. الخ». ومن ثم رفض ضمنياً تحديد باول الذى سبق ذكره لموضوع علم اللغة بأنه «كل منطوقات النشاط الكلامى لكافة الأفراد». ويصح أن يعثر على وجهة نظر تُخْرِج من «الكم المضطرب» نظاماً فيه، وتُمَكِّن فى الوقت ذاته علم اللغة أن ينتقى من فوضى الكلام الإنسانى موضوعه، موضوعه الخاص فقط. والآن تسرى الجملة الفاصلة: يجب على المرء أن يقصد من البداية مجال اللغة، وأن يعدها (يقر بأنها) معياراً لكل المنطوقات الأخرى للكلام الإنسانى». وهنا أدخل مصطلح «اللغة» (langue) مصطلحاً خاصاً، يوضح من خلال المقابلة المشهورة بين اللغة والكلام

* يستخدم المؤلف لفظ «المحاضرات» اختصاراً لاسم كتاب دى سوسير المطول، ولابأس أن نسايره فى ذلك

، parole ، (، Sprechen،) . وقد كانت معروفة للنحاة الجدد مشكلة أن مجموع النشاطات الكلامية المفردة المعينة، التي لايمكن تكريرها أو منطوقات الأفراد منفردين (= الكلام) لاتحدد، اللغة الألمانية ، مثلاً . وقد وضحوا فقط، كما بُيِّنَ في الباب الأول، اللغة بأنها افتراض مفهومي، و إشتغلوا – بدلاً من الاشتغال به – بالعرف والتواضع (القاسم المشترك) الآلي الذي تشكل بين الأفراد . غير أنه بالنسبة لدى سوسير لم تعد اللغة مجرد مفهوم، بل شئ (مادى) . بيد أنه هناك فارق أكثر أهمية عن النحاة الجدد، وهو أن دى سوسير يُحَوِّل نوعاً ما العلاقة بين اللغة والنشاطات الكلامية . فاللغة ليست محصلة الكلام بل هى شرط للكلام، إذ إنه دون الوجود الموضوعى والحقيقى للنظام القاعدى (= اللغة) لايكون الكلام ممكناً . وقد عدت العلاقة بين اللغة والكلام فيما بعد في علم اللغة علاقة تحقيق ٢٣ (Realisierungsverhältnis) في الغالب : فاللغة «تتحقق» في الكلام . غير أن استعمال (إضافة) علاقة كهذه يجعل اللغة مستقلة منطقياً عن حالات تحقيقها، أى عن الكلام . ويمكن تبعاً لذلك من خلال النتيجة الأخيرة أن توجد لغة بوجه عام حتى لو لم تحقق مرة واحدة في نشاط كلامى . ويعمل دى سوسير حسابه لهذا الاستقلال للغة بوصف اللغة بأنها مفترضة (virtuell)* أو محتملة (potentiell) في مقابل الكلام بأنه حقيقى ومادى(materiell) .

ويمكن للمرء أن يحول تفسير هذه الاستدلالات بشكل أكثر لطفاً ، ويقول أنه لم يقصد بذلك شيئاً آخر سوى أنه يوجد في النشاطات الكلامية المعينة الكثيرة شئ عام ينقى بواسطة تجريد علمى ويوضع تحت مفهوم ، اللغة ، . غير أن هذا التفسير ليس ممكناً، إذ إنه بالنسبة لدى سوسير – كما ذكر فيما سبق – لاتعد اللغة مفهوماً ، بل شئ معين . ولكن أى وجود مادى يمكن أن يكون لنظام غير مادى و محتمل بشكل محض؟ هنا يرجع دى سوسير إلى استدلالات اجتماعية (حول مسألة إلى أى مدى نقلت هذه (الاستدلالات) عن اميل دور كايم (E.Durkheim) ، انظر مايلى).

* ترجم هذا المصطلح إلى عملى وفعلى وواقعى ، وكل ذلك يتضارب مع وصف الكلام بأنه حقيقى فلا فرق بينهما إذن، ولكنى أرجح أن القصد هو مفترض أو مقدر حتى يتفق مع المصطلح الآخر (محتمل أو ممكن أو جائز) في مقابل الوصف السابق للكلام.

إن اللغة توجد بوصفها مؤسسة اجتماعية، يمكن أن توصف فى علاقتها بأفراد مجتمع ما، تكون فيه تلك المؤسسة سارية، على النحو التالى :

« إن اللغة ليست وظيفة للشخص المتكلم، بل إنها نتاج يكبل (يقيد) الفرد على نحو سلبى ....» (ص١٦).

« تكمن اللغة فى الجماعة اللغوية فى شكل مجموعة من الانطباعات، التى أودعت فى كل عقل، مثل المعجم تقريباً، وزعت كل أمثلتها بينهم توزيعا عادلاً تماماً، بين الأفراد ... ومن ثم فهى شئ موجود فى كل واحد منهم ولكنها موحدة بينهم فى الوقت نفسه، ومستقلة عن إرادة المستودعين ..» (ص٢٣).

« هى جزء اجتماعى من الكلام الإنسانى ومستقلة عن الفرد الذى لايستطيع أن يبتدعها ولا أن يشكلها لنفسه فقط ...» (ص١٦) .

ثمة وجهات نظر ثلاثة تكمن فى هذه الفقرات :

١ – اللغة فى مقابل الأفراد شئ خارجى، ولذا فكما أن اللغة ليست محصلة من النشاطات الكلامية فإنها أيضاً ليست محصلة من أنظمة فردية كثيرة قابعة بشكل مادى فى أدمغة الأفراد. فهى بوصفها شيئاً اجتماعياً موجودة خارج هذه (الأنظمة) ومستقلة عنها. (وهكذا) يكون التعارض مع النحاة الجدد جلياً. ٢٤

٢ – يتولد من المؤسسة الاجتماعية، اللغة، إلزام على الأفراد : فالأفراد لايمكنهم أن يبنوا أنظمتهم اللغوية مستقلين من تلقاء ذاتهم. بل يجب أن يتطبعوا بالنظام الخارجى بشكل سلبى وأعزل (فيما بعد يتحدث – ليس فى علم اللغة فحسب – عن عملية إخفاء صفة ذاتية (Internalizierung)*.

٣ – إن « أوجه طبع» ما هو اجتماعى لدى كثير من الأفراد فى كل مرة

---

* تحدد هذه العملية بأنها تقبل مجموعات من المعايير صالحة لشخص معين (Die Internalisation) أيضاً، وتعرب إلى كلمة واحدة مثل تأصيل وتذويت وتمثل (مصطلحاً اجتماعياً نفسياً) يعنى أيضاً : عملية تشرب الطفل للقاعدة اللغوية، الأمر الذى يفضى فى نهاية الأمر إلى قدرته على فهمها واستخدامها.

متطابق تماماً، فهى ، نسخ ، كربونية . وبذلك تضاف إلى المحمولين اللذين يفهمان على أنهما ثنائية، الخاصين باللغة والكلام أعنى مفترضاً وحقيقياً، ثنائية أخرى هى اجتماعى - فردى. لأنه فى الكلام، فى نشاط كلامى مفرد يمكن أن يضيف الإنسان جوانب فردية كثيرة. (طبقته الصوتية الخاصة، وحالته اللحظية، ومشاعره تجاه الموضوع الذى يتحدث عنه ... الخ) . فله أن يجرى فى كلامه إضافات لغوية غير مستقلة عنه وعن إرادته محددة للغاية.

فإذا افترضنا مثلاً أن فرداً ألمانياً أ، رأى منذ قليل عنكبوتاً، ويريد أن يشير إلى شخص ثان موجود ب بأنه أى الثانى يود أن يبعد هذه الحشرة القبيحة فإن لـ أ أن يختار ضمن مايختار بين التعبيرات التالية :

(أ) هناك يوجد عنكبوت (يتحدث بتنغيم الفَزِع)

(ب) ب ، من فضلك ابعد هذه الحشرة هناك

(٣) ياإلهى، هناك مرة أخرى عنكبوت ... الخ ... الخ.

بيد أنه مالايحق للفرد هو على سبيل المثال مايلى : يجب أن يقال «عنكبوت» وليس «عنكبو» ، و «حشرة» ، وليس «حشو» ، و «قد» وليس «فد» ، و «توجد» وليس «يوجدون»*. إن ذلك قد سنه له بشكل إلزامى نظام اجتماعى، اللغة. وإذا خولفت هذه الأحكام فإنه يجب أن يحسب حساب الجزاءات (مثل عدم تحقق الفهم) .

وتتضمن ثنائية اجتماعى - فردى إذن ثنائية ضرورى/ جوهرى - حر / عارض (قارن ص ١٦) . وفتح دى سوسير بإعلانه عن اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية باب تحويل علم اللغة أى العلم الخاص باللغة المعينة (langue) إلى علم مضاد لعلم النفس. فقد أقر النحاة الجدد (من قبل) أن اللغة أساساً هى «وظيفة الأشخاص المتكلمين، أى أنها وظيفة نفسية، ومن ثم خضعوا مختارين لعلم النفس، حين وجدوا أيضاً فى وصف (وليس تفسير (!) انظر ماسبق) التغير الصوتى مجالاً صغيراً خاصاً

---

* حاولت أن أبين قصد المؤلف بأبنية قريبة مما أوردها المؤلف.

للاستقلال Autonomie*. ويفرق دى سوسير خلافاً لما سبق - مقتفياً هنا
على الأقل أثر كلمات دور كايم - ما هو اجتماعى عما هو نفسى ويشرح ما هو ٢٥
اجتماعى بأنه أساساً خاصية جديدة، ينظر إليها تبعاً لذلك على أنها لاتفسح مجالاً
لطرائق الإدراك النفسية، إذ إن الخاصة الاجتماعية - بناءً على مجموع ما سبق
تماماً - ليست محصلة لنفسية - فردية، بل شرطاً لها. وعلى الرغم من ذلك يعنى
هذا البتة أن اللغة ليست واقعية من الناحية النفسية أو العصبية لأنه يوجد حقاً فى كل
عقل فردى نسخة من اللغة، دون وجودها لايستطيع الإنسان أن يتحدث مطلقاً.
وهكذا فقد صدرت اللغة فى البداية عن الإنسان بوصفها حقيقة اجتماعية جديدة
ولكنها أسقطت عليه مرة أخرى بوصفها نسخة لكلامه أو شرطاً له. غير أنه بذلك
لايتحدد علم اللغة بوصفه علماً مستقلاً فى مقابل علم النفس أو علم النفس اللغوى بل
يتقدم عليهما: يبحث علم اللغة خارج (وراء) كل النفسيات الخاصية الاجتماعية
بينما يبحث علم النفس اللغوى وفق مفهومه العمليات والشروط النفسية التى تعد اللغة
الاجتماعية، واحدة منها وأكثرها جوهرية، للإنسان المتكلم. وهكذا فكما أن اللغة
ليست وظيفة للإنسان المتكلم، بل شرط له فإن علم اللغة شرط لعلم النفس اللغوى.
والآن يبدو من المعقول أن يحد علم اللغة، بوصفه علم مؤسسة اجتماعية عن علم
النفس، بل ويندرج فى علم الاجتماع، وهو مايعنى أنه (علم اللغة) متصل
بموضوعه (علم الاجتماع): فاللغة ينظر إليها فى سياقها مع مؤسسات اجتماعية
أخرى. ويسرد دى سوسير فى الفصل الخامس من تمهيد «المحاضرات» سلسلة من
المشكلات المهمة المتصلة بذلك: علاقة اللغة بالتاريخ السياسى، وعلاقة اللغة بمراحل
التعليم فى المجتمع المعين، وبشكل موجز مشكلات تضمين اللغة فى النظام
الاجتماعى للجماعة المتحدثة بها، غير أنه ترد بعد ذلك خاتمة مفاجئة، بلا حافز

---

* يحسن أن يضاف إلى هذا المصطلح كلمة «ذاتى» إذا لم يفهم من الاستقلال أو الاستقلالية الحكم الذاتى، لأن التغير الصوتى يعد لدى النحاة الجدد كما أشير من قبل autonomus مستقل بذاته، مستقل ذاتياً ... الخ.

وجدلية :«وهى أن معرفة كل هذه الظروف لاغنى لعلم للغة عنها على الإطلاق «(ص٢٦). وقد عنى ذلك تماماً بهذا المفهوم (ص١٧) : « علم اللغة لايمكنه أن يستغنى عن العناصر الأخرى فى الكلام الإنسانى فحسب، بل لايكون ممكناً على الإطلاق إلا حين لاتمزج به هذه العناصر الأخرى » . وقد علل هذا الاستقلال لعلم اللغة أيضاً ، فى مقابل العلوم الاجتماعية، بجوهر اللغة ذاتها، أى باستقلالها عن الحياة الاجتماعية للمجتمع *.

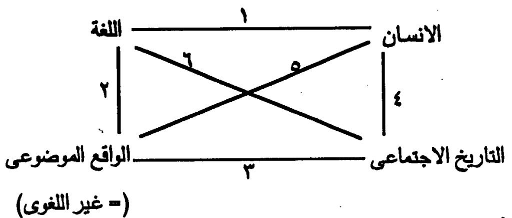
٢٦ لم يعد دى سوسير يحاول أن يجعل هذا التصور المذهل أكثر اجتماعية بل بالتنازل عن كل تحفيز تجريبى، يحاول أن يجعله مقبولاً من خلال المقارنات والصور فقط : وبالنسبة للعبة الشطرنج فى حد ذاتها لاوزن كلية لأن تكون قد وصلت إلى أوربا من إيران أو من غيرها، وهل هى أشكال من خشب أو من أى مادة أخرى، وأى تقدير تمتعت به مجتمع معين ... الخ الخ . فالشئ الأساسى بالنسبة للعبة هو بنيتها القاعدية الداخلية (inneres Regelgefüge) وحدها. وكذا هى الحال مع اللغة أيضاً .

وبذلك قد أشار إلى مبدأ، يوضح فيما يلى تحديداً دقيقاً وهو مبدأ النظرة الباطنية (الداخلية immanent) للغة على أنها مجرد شكل وبنية. وقبل أن ننتقل إلى ذلك يمكن أن يشار كذلك إلى جانب يمكن أن يرى أيضاً فى إطاره المبدأ الباطنى (الداخلى Immanenzprinzip) **. ويمكن أن يستقر باللغة فى علم الإنسان العام (على الأقل) فى مستطيل العلاقات التالى :

---

* يعد هذا المفهوم فى غاية الأهمية، إذ لايعنى القول بأن اللغة خاصية اجتماعية أنها تخضع فى درسها لعلم الاجتماع، لأن جوهر اللغة ذاتها مستقل عن الحياة الاجتماعية . ولذا فعلم اللغة مستقل عن علم الاجتماع، ووصف الاستقلال بمصطلحى Unabhänigkeit, Autonomie .

** حولت الاسم إلى صفة فى الترجمة وذلك لأن الاسم «الباطنية / الداخلية » لن يكون دالاً وسيثير تصورات غير محمودة فضلاً عن كونها غير مقصودة ، ولا يتناسب أن يترجم أيضاً إلى المحايثة الملازمة، التأصل، الجوهرية، الحلول ، الذاتية ... لأنها فى رأيى تخرج به عند مدلوله، ولكن للقارئ مطلق الحرية فى أن يختار منها ما يشاء يراه أكثر مناسبة للمقام.



(= غير اللغوى)

قُطِعت علاقات اللغة بالإنسان وتاريخه الاجتماعى (١،٦) - كما بُيِّن - لدى سوسير. والآن ماهى الحال مع ربط اللغة - بالواقع الموضوعى (٢) ؟ من المؤكد أن اللغة لاتبلغ إلا بالواقع الموضوعى بوجه خاص عبر الانسان المتكلم (١-٥) ومرتبطة بتاريخه (٦-٣) . ولكن على الرغم من ذلك ليس من المجدى وضع الخط (٢) ، لأن اللغة على كل حال وسيلة ، وبمساعدتها يحقق المرء تواصله بالعالم الخارجى. وليس ذلك شأن الكلام وحده، أى أفعال التواصل اللغوية المعينة فحسب، بل توجد لذلك قواعد إلزامية (ملزمة) اجتماعياً بوجه عام، أى قواعد تابعة للغة :

فليس للفرد الألمانى أ الذى عنده خوف من العناكب مثلاً بأية حال أن يقول «هناك توجد منضدة »، حين يريد أن يوعز إلى ب ألا يبعد شيئاً، بل حشرة معينة.

الآن تقطع هذه العلاقة أيضاً لدى دى سوسير، بحيث تبقى اللغة الآن مجرد وحدة كلية (كاملة) مكتفية بذاتها self - sufficient Totality (كما هى الحال فيما بعد لدى هيلمسليف) . وينجز هذا القطع أيضاً مع المبدأ الداخلى ومبدأ البنية المتحدث عنهما الآن.

إن اللغة بشكل أكثر جلاءً نظام من العلامات. وحسب مفهوم موغل فى القدم تعد العلامة شيئاً يمكن إدراكه حسياً، يرمز إلى شئ آخر (aliquid statt pro a liquo) . وبالنسبة للعلاقة اللغوية ينتج عن ذلك بشكل مباشر تصور أنه يوجد اسم، صوت، يرمز إلى شئ - تصور يجده المرء من قبل لدى أفلاطون، بل إنه موجود بشكل ضمنى فى الكتاب المقدس أيضاً : خلق الإله الأشياء ، استعرضها، أعطاها

أسماءها. وعلى العكس من ذلك وضع دى سوسير مفهوم أن العلامة اللغوية ترابط بين صورة صوت (الصورة السمعية) وتصور (مفهوم). وقد عمم هذا التحديد للعلامة على الإطلاق : فالعلامة ترابط بين المشير (الدال signifiant) والمشار إليه (المدلول Signifié). وذلك يعنى اختلافاً فى نقطتين عن المفهوم القديم :

١ - أن العلامة اللغوية لاعلاقة لها بالصوت الحقيقى - المعين (المحسوس) (بوصفه واقعة فيزيائية) ولا بالأشياء الحقيقية (الواقعية) فصورة الصوت والتصور يبدوان أيضاً شيئاً فيزيائياً ، أى صور للصوت والأشياء فى عقل الإنسان، غير أن هذا الفهم ذا الطابع النفسى قد نقض فيما بعد (انظر مبحث القيمة)، ولذا فإنه لن يتمسك هنا قبل أى شئ إلا بما هو غير علاقة لغوية أى غير الربط بين الصوت والشئ.

٢ - لا تتشكل العلامة إلا بالربط بين الدال aliquid، والمدلول ، alique ، فكلاهما - المشير والمشار إليه - جزءا العلامة (اللغوية) بحيث إن العلامة لاتشير إلى شئ خارج ذاتها.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين المشير والمشار إليه ، فقد فرق ت. بيرس (Ch.S.Peirce)، المؤسس الحقيقى لنظرية العلامات الحديثة، وفى الحقيقة بدا أن دى سوسير كان لايعرف عنها شيئاً، فرق بين ثلاثة إمكانات لها (حيث ذكر بيرس فى واقع الأمر - مقتنياً أثر الاستعمال اللغوى العادى - العلامة الدالة ، وليس الربط بين المشير والمشار إليه أولاً) :

١ - للعلامة علاقة سببية بالمشار إليه (مثال ذلك : الحمى علامة على المرض، فالأخير سبب الأول) وتسمى هذه العلامات المؤشرات (Indices).

٢ - العلامة تصور (تنقل) المشار إليه (مثال ذلك : تصور خريطة الشوارع الأوضاع الحقيقية للشوارع) . وتسمى هذه العلامات الأيقونات (Ikone).

٣ - فإذا لم تكن الحال ١ ولا ٢، فإن العلامة ترمز تبعاً للعرف إلى المشار إليه

٣ – فإذا لم تكن الحال ١ ولا ٢، فإن العلامة ترمز تبعاً للعرف إلى المشار إليه ٢٨ (مثال ذلك : الأخضر فى إشارة المرور يشير إلى « السماح بالسير ») . ويطلق على هذه العلامات الرموز (Symbole) . (يستخدم دى سوسير اصطلاحات أخرى، غير أنه من الناحية الموضوعية لايعنى شيئاً آخر غير ذلك) .

فإذا كانت الحال هى الثالثة فان دى سوسير يطلق على العلاقة بين المشير (=العلامة فى الاستعمال اللغوى العادى !) والمشار إليه «اعتباطية ، جزافة arbiträr, beliebig * والجزافية هى الصفة الدائمة للعلامة اللغوية : ولاتوجد خاصية للصورة الصوتية سببتها خواص التصور أو صورتها .

توجد سلسلة من العلامات فى كل لغة التى لاتعد جزافية ومن ثم أوردت برضى شاهداً ضد افتراض العشوائية Arbitraritäts - hypothese وهى ما تسمى المحاكاة الصوتية أو الأصوات المحاكية للطبيعة (Onomatopoetika)(مثل فى الألمانية كيكريكى وواو واو ... الخ)** غير أن هذه عددها قليل إلى الحد الذى لايمكن عدها من المحتوى المحورى الحقيقى للعلامات اللغوية . وقد وضحت الصفة «جزافية» فيما بعد فى المحاضرات تحديداً أدق بأنها» ليست مخفزة «» ويعنى ذلك : أنه لاتوجد قاعدة لغوية يمكن بناءً عليها أن تستنتج خواص التصور من خواص الصورة الصوتية والعكس بالعكس. ولذا يرى أنه يجب أن يقيد بيسر مبدأ الاعتباطية، إذ توجد فى كل لغة علامات كثيرة ، محفزة نسبياً « أيضاً (انظر الجزء الثانى من الفصل السادس، مبحث ٣:١ الاعتباطية الكاملة والاعتباطية النسبية) .

---

* يعد هذا المفهوم من أهم مفاهيم نظريات دى سوسير، وقد غلبت ترجمة اعتباطية العلامة على العشوائية والجزافية .. ولابأس من استعمالها بشكل مترادف كما تستعمل مفردات مختلفة فى اللغات الأوربية للدلالة على هذا المعنى.

** انظر تفصيل مناقشة د. مدكور لاعتراضات دى سوسير على الفكرة المضادة للجزافية لديه (وهى أن أصل اللغات كلها من الأصوات المسموعات) وبخاصة الاعتراض الأول وهو أن الكلمات المحاكية للأصوات تدل على أن الدالة ليست دائماً جزافية، أى أن مبانيها الصوتية توحى بارتباط معين بين اللفظ والمعنى، والاعتراض الثانى خاص بالصيحات الانفعالية، وهى تعبيرات تمليها الطبيعة. اللغة بين العقل والمغامرة ص ٩٩ ومابعدها ، وجهود اللغويين العرب فى هذه القضية من ص ٥٤ وما بعدها.

ويقصد بذلك المركبات العلاماتية التى تكون أجزاء منها جزافية حقاً، ولكن المشار إليه فى هذا المركب يمكن استنتاجه بناءً على قواعد اللغة (langue) (انظر حول إشكالية المركبات العلاماتية، جودل ١٩٦٦) .

مثال ذلك : لا يستنتج من الصورة الصوتية الألمانية ثلاثة، ولا من الصورة الألمانية .. عشرة ، التصور ذاته لـ ٣ أو ١٠ ، فهذه الترابطات قد أقيمت عرفياً. ولكن إذا كانت هذه التركيبات معرفة فإن يمكن بناء على قواعد اللغة الألمانية أن يستنتج أن المشار إليه فى المركب ثلاثة عشر هو ١٣ ، فالربط بين ثلاثة عشر و ١٣ إذن محفز نسبياً.

سوف نعود إلى الإشكالية الكلية لمبدأ الاعتباطية مرة أخرى، ويمكن قبل أى شئ ألا نذكر إلا نقطتين أخريين فى سياق مفهوم العلامة:

١ - إن الاعتباطية هى فى الوقت نفسه سبب لتغاير العلامة ولعدم تغايرها أيضاً. فإذا تغيرت علامة فى أثناء التاريخ اللغوى لها من خلال عوارض ذات مرة فإنه لايوجد بالنسبة للجماعة اللغوية بسبب الاعتباطية أى سبب لمقاومة التغير ، بل بسبب الاعتباطية خاصة لايوجد أى سبب أيضاً لدى الجماعة اللغوية لأن ترغب فى تغيير علامات قائمة. فإذا حدثت مثل هذه العمليات الواعية المخططة فى اللغة فإنه يمكن ألا تعلل تعليلاً عقلياً من جانب اللغة بسبب اعتباطيتها. ولا ينجز تعليلها إلا بقيود الكلام (مثل إمكانية نطق أكثر راحة، ومفهومية أفضل ...الخ) . ويعد ذلك أحد الأمثلة الكلاسيكية على كيفية انفصال علم اللغة من خلال اتخاذه فقط لمواقف مستند إلى اللغة عن الاشتغال بمهام لغوية عملية (مثل التخطيط اللغوى بالذات) . فتوقع إسهامات فى حل مهام خاصة بالتخطيط اللغوى من قبل علم اللغة، غير عقلية (منطقية) من البداية.

٢٩

٢ - وضع دى سوسير فرضية علم عام للعلامات ودوره فى الحياة الاجتماعية، أى علم العلامات (Semiologie) . إن علم اللغة بوصفه علماً لنظام

خاص من العلامات يمكن أن يندرج تحت هذا العلم ، أى علم العلامات*، ويفقد معه على الأقل استقلاله . لم يوجد علم العلامات فى زمن دى سوسير، ولكن فيما بعد تُصُورت اللغة على الأقل فى أغلب اتجاهات علم العلامات على أنها نظام العلامات المحورى الحقيقى فى الحياة الإنسانية، وعدت كل أنظمة العلامات الأخرى مستنبطة منها (انظر مثلاً بنفنيست Benveniste،١٩٦٩) . وبذلك صار علم اللغة مرة أخرى النواة المركزية لعلم العلامات، واستعاد استقلاله مرة أخرى كاملاً .

الآن كيف يمكن أن تحدد العلامات بأنها الوحدات الأساسية للغة :

خصصت لهذه القضية الفصول (١-٤) من الجزء الثانى من «المحاضرات» (عنوان علم اللغة التزامنى (الوصفى)) . ويعنى تعرف العلامة فى الوقت نفسه أن تحدد حقيقتها المحسوسة، واقعها هويتها. ومن الأهمية بمكان بادى الأمر أن تطرح تصورات دى سوسير عن تحديد العلامة.

١ - تصورات تقليدية : رفضت تصنيفات علم اللغة التقليدى «أسماء، وصفات وأفعال .. الخ**» ، لأنها تقوم على اعتبارات منطقية - فلسفية ، وتدعمها رؤى فلسفية عن الجوهر والشئ .. الخ وليس الواقع اللغوى نفسه . وقد وجدت «أشكال تجريد» غير لغوية تسللت أمام اللغة. وبهذا الرفض لهذه الفصائل الغريبة التى لاتناسب اللغة يوجد تواصل لنحو النحاة الجدد على أرضه. أما الفارق فليس سوى أنه بالنسبة لدى سوسير كانت الفصائل النفسية للغة أيضاً غير مناسبة، بينما أقر النحاة الجدد أن اللغة مباشرة ظاهرة نفسية.

* يترجم هذا المصطلح إلى علم العلامات كما ورد فى المتن وعلم السيمياء والسيمولوجيا وعلم الرموز والسيميوطيقا متداخلاً مع المصطلح الأحدث Semiotics. وهو علم يدرس جميع أنواع العلامات (الرموز) بما فيها العلامات (الرموز) اللغوية وهو مكون من seme (سيم) وهى أصغر وحدة لغوية حقيقية ذات معنى أو من الكلمة اليونانية semeion ، أى العلامة واللاحقة Logy من logos وتعنى الكلمة أصلاً ثم العلم بعد ذلك.

** على الرغم من الاعتراضات الكثيرة التى وجهتها المدارس اللغوية المختلفة لهذه التصنيفات ، فقد عادت الاتجاهات الحديثة فى التحليل النحوى إلى الاعتماد عليها أو على تصنيفات مشتقة منها أو معدلة لها أو إضافات تصورية واصطلاحية وغير ذلك من الأساليب التى تؤكد على رسوخ هذه التصنيفات رسوخ المقولات والمفاهيم النحوية فى النحو العربى.

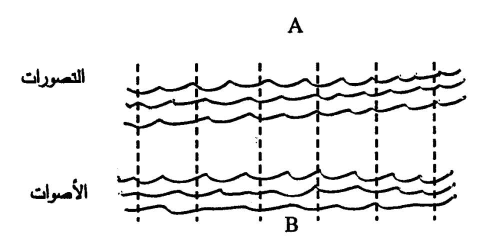
٢ – الكلمة : الكلمة، وضحت هذه كثيراً جداً بشكل حدسى بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية أيضاً، لاتتطابق مع مفهوم العلامات، لأنه يتضمن فى بضع مفردات تصورات أو عدة تصورات (مثل : < schmerz- lich > (مؤلم) مكونة من اسم «ألم» ولاحق الوصف lich) ، أو Mensch - heit إنسانية) مكونة من اسم (إنسان) ولاحقة اسمية دالة على النسبة (heit)، أو كلمة أيضاً < gab > (أعطى) أيضاً (أعطى) مكونة من (< geb > جذر الفعل + < زمن الماضى >)، حول إشكالية هذه الإضافات انظر جودل ١٩٦٦) . وبذلك يبدأ تقليد لغوى، بعدت تبعا له الكلمة بوجه عام عن علم اللغة (قارن أيضاً مارتينيه Martinet ١٩٧١، ص١٠٣ – ١٠٦) . حتى فى الأعمال الموجهة ظاهراتياً مثل أعمال رايشلنج Reich-ling(١٩٣٥)، إذ تعتقد فى الواقع كل الاتجاهات اللغوية أنها تنجز (عملها) بشكل أفضل دون مفهوم الكلمة. ويحل محلها فى الغالب المورفيم ، Morphem (الوحدة الصرفية الوظيفية) ، بوصفه أصغر وحدة لغوية لها معنى، وهو فى هذا الشكل ليس شيئاً آخر غير علامة دى سوسير (حول تحديد آخر للمورفيم، انظر الباب الرابع المبحث الثانى) .

٣ – تحديد العلامة بناءً على مادة العلامة : لم تقدم بشكل مباشر للملاحظة إلا معلومات الكلام (parole)، حيث تتحقق اللغة (langue) فى أصوات محسوسة (أو علامات كتابية) وفى موضوعات معينة تلحق بالأصوات . فهل يستطيع المرء أن يحدد وحدات اللغة على أساس هذه المواد (الجواهر)* المتجلية فى الكلام ؟ هذا غير ممكن أيضاً، لأن الأمر يدور فعلاً مع الاستعمالات المختلفة للعلامة الألمانية «عنكبوت» مثلاً ، فى الأفعال الكلامية المختلفة فى كل مرة حول وقائع صوتية فيزيائية مختلفة، تتصل فى كلٍّ بأمثلة معينة مختلفة للعنكبوت. وحتى حين تكون هذه الوقائع الصوتية وهذه الحشرات المفردة متشابهة تماماً فإنه يصعب أن يقال

---

* يرتبط مفهوم مادة (Substanz) بمفهوم جوهر فى الفلسفة (Stoff, Materie, Material) ، الغالب، غير المتغير، الجوهر الباقى لشئ ما، العلة الحقيقة ، فى مقابل ← Akzidens (عارض)، وتعنى أيضاً المضمون الحقيقى، والجوهرى والمهم ... الخ.

باللغة . ولا يمكن للمرء أن يتخلص من هذا المأزق أيضاً حين يقول مثلاً إن الأمر يدور فى الحقيقة فى كل مرة حول عناكب معينة مختلفة ، بل كان «التصور» (concept) فى كل حال استعمال مفردة هو ذاته. إذن يصح هنا أن يزال سوء فهم لمصطلح دى سوسير (تصور) يمكن أن يكون قد سببته الترجمة الألمانية «Vorstellung» *. فالتصورات حول العالم والأشياء على نحو ما تشكلت فى عقل كل فرد، تعد شيئاً نفسياً. ولكن التصور بوصفه جزءاً من العلامة، أى بوصفه وحدة للغة، لايوجد إلا للعلامة، ومستقل عن كتل التصور النفسية. فهذه (التصورات) تعد من جانب اللغة كتلة غير شكلية غير متفرعة، مثلما تعد المادة الصوتية شئ مختلطاً - غير شكلى، كما يقال ، تشويش / فوضى (Abrakadabra)، ليس فيه من نفسه ٣١ شيء لغوى فى حد ذاته. ولا تتفرع كلتا الكتلتين غير الشكليتين إلا من خلال اللغة، ففى ذلك تترابط هذه الأجزاء المبهمة المفردة للتصور مع أجزاء مبهمة مفردة للأصوات لتصير علامات :



* على الرغم من استخدم كلمة «تصور» بالألمانية (Vorstellung) للتعبير عن مصطلح (concept)، ومابينهما من فروق لايدركها إلا من كانت له خلفية عن تطور استخدام هذا المفهوم فإنه أدق من ترجمته إلى فكرة فى العربية، وأنها كتلة مبهمة الشكل غامضة الملامح كما فى الترجمة العربية ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، فأضاع قيمة المقابلة كما يوضح الرسم بين التصور المبهم الغامض والصوت المادة التى لاتقل عنه غموضاً وإبهاماً لتشكيل العلامة اللغوية .

ومع هذه الأجـزاء تخلق اللغـة ، شكلاً ، وليس ، مـادة ، . والتـصـورات والأصوات أجـزاء من عـلامـات اللغة فى مـقـابل لاشئ مـوجـود من قـبل (قـارن ص١٤٣)، وتبعاً لذلك لايمكنها فى حد ذاتها أيضاً أن تقدم أساس تحديد للعلامات اللغوية، إذ ربما كان مثل ذلك التحديد دائرياً . وفى الأساس لايعد ذلك شيئاً آخر عن الاستمرار فى عرض فكرة أن الكلام يشترط اللغة، فعند استعمال تلك العلاقة ليس من الممكن للتعريف تحديد وحدات اللغة انطلاقاً من وحدات الكلام. و لنوجز ذلك باختـصـار : إن الوحدات اللغوية لايمكن تحديدها عبر مفاهيم ذات أساس فلسفى واجتماعى أو نفسى أو خلاف ذلك من مفاهيم ذات أساس غير لغوى، ولا بالاستناد إلى أساسها المادى التحتى. وبذلك لاتبقى إلا إمكانية واحدة أيضاً وهى : أنها يجب أن تحدد انطلاقاً من نظامها الخاص، أى من خلال علاقتها بعضها ببعض.

وقد وضح ذلك أيضاً من خلال مثال لعبة الشطرنج مرة أخرى ، فما الذى جعل حصاناً أن يكون كذلك مثلاً ؟ من الواضح أنه ليس مادته (إذ يتساوى إذا ما كان من الخشب أو العاج أو الصلصال أو الحديد ... الخ) وليس شكله المحدد أيضاً (إذا كان يضيع فى أثناء لعبة لسوء الحظ فإنه يمكن أن يحل محله زر (من الأزرار) مثلاً فى حال أخرى جزافية) ، ومن المؤكد أنه ليس التصورات أيضاً التى هى لدى كل فرد من الناس عنه بل فقط علاقاته المحددة من نظام اللعبة بالأشكال الأخرى أى اعتباره* أو قيمته (Valeur) .

على النحو نفسه لاتوجد الوحدة اللغوية إلا فى النظام ومن خلاله فهو الذى يجمعها فى التشكيل مع الوحدات الأخرى. ولكن ماكنه العلاقات التى تسرى بين الوحدات.

يصيـر ذلك أشـد وضـوحـاً حين يظل المرء بادى الأمـر على مـسـتـوى الدال ٣٢

---

* لايرجع الاعتبار هنا (Geltung) إلى الهيئة أو الشكل الخارجى، بل يدل ربطه بمفهوم القيمة (Wert)، على أنه يعلى به القدر الذى يتحقق له من استعماله أو استخدامه فى حركات معينة، تحددها قواعد لعبة الشطرنج ، تميزه عن بقية أشكال اللعبة، وتحدد علاقته بها .

(signifiant). فبسبب اعتباطية العلامة لاوزن لأن يبدو مشير معين ايجابياً ومحسوساً. ويعد الفاصل الوحيد لتشكيل النظام أن لايتطابق مع المشيرات الأخرى، أن يظل مفترقاً عنها. مثال ذلك : إن الأمر الحاسم وحده لهوية الدال الألمانى = fiš = < fisch > سمكة هو أنه مختلف عن (tiš, riš, feš, fuš, fit ... الخ) وبعبارة أخرى إن العلاقات التى توجد بين وحدات اللغة، هى بسبب الاعتباطية مجرد علاقات اختلاف وتناقض. فالسمة الأكثر تحديداً لها [أى للوحدات] هى أنها شئ مختلف عن (أشياء) الوحدات الأخرى (ص١٣٩)*. هى وحدات سلبية، ومن ثم لاتوجد فى اللغة إلا وحدات مختلفة ، دون عناصر مفردة إيجابية ، (ص١٤٣). وينقل الشئ نفسه إلى جانب المدلول (siginfié) أيضاً .

فلكى يحدد التصور ، أحمر ، يجب أن توضع حدود بين هذا التصور والتصورات الأخرى المجاورة ، أخضر، أزرق، بنى ، الخ. ويصير واضحاً هنا أن كل الوحدات اللغوية لايمكن أن تكون دائماً إلا وحدات خاصة باللغة لأن نظام العلاقات التى تقع فيه تختلف من لغة إلى أخرى. مثال ذلك : الصوت الألمانى t يتقابل مع d,p,k,f ... الخ، ولكن ليس مع Θ (صوت الثاء فى اليونانية)، لأن ذلك الصوت لايوجد فى الألمانية مطلقاً، وعلى العكس من ذلك يتقابل صوت t فى الانجليزية كثيراً مع Θ (قارن thorn (شجر الزعرور) – torn(ممزق). إذن صوت (t) فى الألمانية و (t) فى الإنجليزية برغم تساويهما المادى هما شيئان مختلفان، لأنهما يقعان فى نظامين علاقيين مختلفين. ، فاللغة شكل وليست مادة ، (ص ١٤٦).

هذا التحديد للوحدات اللغوية القائم على علاقات اختلاف داخلية فقط أى تحديد باطنى (immanente) ممكن أن يجرى على محورين؛ المحور الأفقى (النحوى) والمحور الجدولى (الصرفى). (قارن الجزء الثانى، الباب الخامس علاقات

---

* اضطررت أن أضيف كلمة «أشياء» إلى النص حتى تتضح المقابلة المادية للعلامة، أى بين «شئ» (علامة) و«أشياء» (علامات أخرى). وينبغى أن لاينفصل ذلك عن مفهوم «العلاقة» ، إذ لاتتحدد – آخر الأمر – الوحدة اللغوية المكونة من شئ وعلاقة إلا داخل نظام العلاقات اللغوية .

أفقية (نحوية) وترابطية (صرفية)). ويفهم تحت وحدة نحوية (Syntagma) تتابع عناصر لغوية عدة (مثل t,i,š ـــ tiš (= tischومنضدة))، ويشكل الوحدة الصرفية (paradigma) عنصران أو عدة عناصر، حين يستغنى ورود عنصر فى موقع محدد فى الوحدة النحوية عن ورود العناصر الأخرى (مثلاً يستغنى ورود t فى tiš عن ورود f)* (يتحدث دى سوسير عن ، مترابط "assoziativ" أكثر من حديثه ،صرفى، (جدولى)، ويحدد ذلك فى الحقيقة بشكل مناقض لبرنامجه الخاص على نحو أدخل إلى التحديد النفسى، (ولذا) أقدم هنا رؤية أصفى نوعاً ما لـ ،صرفى، على نحو ما حاول هيلمسليف أو ولس (Wells) أيضاً سنة ١٩٤٧ أن يقدماها).

ويمكن على أساس علاقات الاختلاف الأفقية (النحوية) والجدولية (الصرفية) الأساسية أن تجرى تصنيفات، وأخيراً يمكن أن يقام تدرج كامل من الأقسام التى لاتتعلق جذورها بوصفها فصائل وصفية إلا بواقع اللغة ذاته، ويمكن بذلك أن تحل محل فصائل الإدراك القديمة ذات الجذور الفلسفية، مثل الاسم والفعل ... الخ. ولم ينجز دى سوسير ذاته التعمق فى النظام اللغوى الجديد للفصائل، إذ لايرجع علم اللغة الفضل إليه إلا فى البرنامج العام لنظرة لغوية بنيوية باطنية مستقلة. ٣٣

وفى ختام هذا الطور من خلال ،المحاضرات، ثمة بعض ملحوظات أخرى حول مايعد فى كثير من الأحيان أكبر إنجاز لدى سوسير، مثل الفصل بين النظرة اللغوية التعاقبية (diachronisch) ، التاريخية والنظرة اللغوية التزامنية (synchronisch) ،الوصفية، .لقد عد النحاة الجدد حقاً النظرة اللغوية التاريخية (التعاقبية) وحدها هى النظرة العملية . الآن ينحى دى سوسير النظر إلى اللغة فى حال معينة عن أن تكون مشروعة لتلك النظرة. ومن المحتمل أن القارئ قد لاحظ أن

---

* يعنى ذلك أن دخول f محل t يكون وحدة صرفية أخرى (أى تتكون الوحدة ((fiš (= Fisch سمكة)) بدلا من الوحدة (tiš (= Tisch (منضدة) وفى العربية يمكن أن تتكون وحدات صرفية مختلفة بتغير صوت واحد منها (مثل : نام صام، عام ، قام ، هام ...) وقد كان المؤلف محقاً فى الإشارة إلى استخدام دى سوسير "assoziativ" مشترك، مترابط، متضام ... أكثر من "Paradigmatisch" .

المفهوم الكامل للقيمة والنظام لايكون ممكناً إلا حين يدرك النظام اللغوى بوصفه موجوداً فى ثبات معين، لأن تحديد العلاقات الداخلية يشترط أن العناصر المترابطة عقلياً موجودة على الأقل بمفهوم مثالى فى الوقت ذاته «تزامنياً». فإذا لوحظت موجودة فى تحول دائم ، فإنه تتغير باستمرار علاقاتها بعضها ببعض أيضاً - وربما لايكون تحديدها الغامض بناء على هذه العلاقات ممكناً. وتبدو لنا مشروعية Legitimität نظرة وصفية للغة فى الوقت الحاضر أمراً بدهياً إلى حد أننى لن أفصل تعليل دى سوسير لها تفصيلاً أكثر دقة*.

وفى الحقيقة لم ينفصل دى سوسير فى النظرة اللغوية التعاقبية ذاتها عن النحاة الجدد مطلقاً. فقد انطلق التغير اللغوى بالنسبة له أيضاً من الفرد، وقد كانت التغيرات الصوتية بالنسبة له أيضاً وقائع مفردة ذرية، لاتشكل فيما بينها أى نظام، اقتضاها بشكل مقيد نظام ما. ويمكن تلخيص موقف دى سوسير من التعاقبية (Diachronie) فى ثلاث عبارات مقتضبة :

١ - التغيراللغوى شئ معزول (واقعة مفردة، منطلقة من الفرد).

٢ - التغير اللغوى شئ عارض (لاتحكمه قوانين لغوية داخلية نظامية).

٣ - التغير اللغوى شئ مقوض (يقوض ضمن غيره النظام الوصفى القائم).

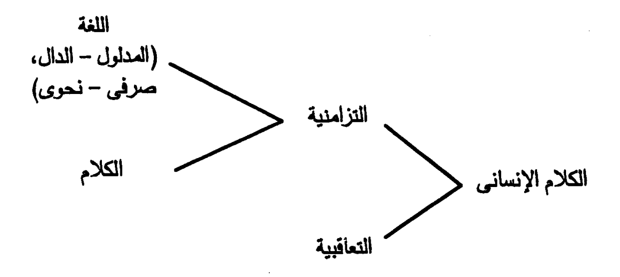
٣٤ ويجب أن تختلف مجموعة مفاهيم علم اللغة التعاقبى على أساس العلاقات المختلفة للغاية فى نوعها فى التعاقبية اللغوية، اختلافاً جذرياً عن مجموعة مفاهيم علم اللغة التزامنى - الأمر يدور حول علمين مختلفين.

وهكذا فقد تعمق دى سوسير فى الأكوام المضطربة المذكورة فيما سبق

---

* يتضح من كلام المؤلف أنه قد صارت معرفة المنهج الوصفى بدهية لايحتاج إلى الخوض فيها. وربما يجوز لنا أن يستنتج من ذلك شغفه أو ميله إلى النحاة الجدد ومناهجهم وتصوراتهم. ولكن تاريخ اللغة يؤكد أن علم اللغة الوصفى قد حقق شيوعاً بل وغلبة فى المدراس اللغوية الأخرى بعد دى سوسير، ومازال له حتى الآن أنصار يدافعون عنه ولايستخدمون غيره فى تحليلاتهم اللغوية لإيمانهم العميق بحيدته وموضوعيته ...

للكلمات من خلال اجتزاءات ثنائية عدة وإبراز وجهة النظر العليا لنظام اللغة، وشكل علم اللغة بوصفه علماً كامل الاستقلال .



« ... إن النظر فى اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها هو الموضوع الوحيد الحقيقى لعلم اللغة » (ص٢٧٩).

٢ - ٣ جدل حول مبدأ الاعتباطية

كما بُيِّن - كانت فكرة جزافية العلامة هى قطب الرحى الحقيقى لتصور اللغة بأنها بنية شكلية من علاقات مختلفة. ومن ثم لايوجد شئ أنسب لإيجاز مقتضب لمفاهيم دى سوسير الأساسية من تحديد الخلاف حول مبدأ الجزافية. ويصعب أن نتجاهل المراجع حول ذلك، ولذا فإنى لاأستطيع هنا أن أقدم التفاصيل ، بل الخطوط العامة فقط، التى سارت المناقشة على امتدادها.

الاعتباطية – والمؤسسة الاجتماعية *: قبل أى شئ أشار بنفنيست (١٩٣٩) إلى أن مبدأ الاعتباطية يتعارض مع مفهوم اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية. فالسمة الجوهرية للمؤسسة الاجتماعية كانت الإلزام الذى يتجه منها إلى البشر. فمن

* الفكرة المحورية هنا أن المؤسسة الاجتماعية soziale Institution تعنى انتماء أفراد معينين إلى جماعة لغوية معينة، يتواضعون على استخدام علامة ما لمعنى محدد بشكل ملزم، ويصبح استخدام علامة أخرى لذلك المعنى خروج عن الجماعة اللغوية أى المواضعة، ومن ثم يكون فى ذلك الاتفاق تعارض مع الجزافية .

الضرورى بشكل مطلق لتابع للجماعة اللغوية الألمانية مثلاً أن يقصد بالعلامة Ochse ، (ثور) ثوراً على سبيل المثال ولايستطيع أن يستخدم بشكل جزافى العلامة الفرنسية boeuf. ولايخفى أن الاعتراض الذى يمكن أن يقدم من موقف دى سوسير ضد ذلك هو : العلامة ضرورية للإنسان المتكلم، ولكن اللغة ، ليست وظيفة للشخص المتكلم ، . فالعلاقة ليست محفزة من النظام الداخلى للغة. (حول محاولة التوفيق بين المفهوم الاجتماعى ومفهوم النظام، انظر فراى Frei ١٩٥٢).

٣٥

إن الإجابة على بنفنيست، كما قدمها. «تلاميذ» دى سوسير سيشهاى وباللى وفراى (١٩٤٠/١٩٤١) تبدو لى فى الواقع على النقيض . فهى لاتشبه كلام دى سوسير.فقد قدم أن بين العلامة والثور بوصفة حيواناً حقيقياً توجد علاقة جزافية، أى علاقة ليست مصورة - طبيعية، وهو ما يمكن أن يمنع من خلال أن اللغات المختلفة فعلاً تسمى الحيوان نفسه باسم مختلف. وحتى دى سوسير أيضاً فى بداية «المحاضرات» ذاتها قد جادل على النحو ذاته ، بل عارض ذلك المنطق الداخلى لتصوره، إذ عدت هذا العلاقة بين دال وشئ علاقة جزافية. فالشئ ليس مدلول علامة؛ المدلول مجرد قيمة اجتماعية، لايمكن أن تتحقق إلا أفعال الكلام بوصفها معنى محدداً، أى بوصفها وسماً لموضوعات مقصودة معينة (دلالة - معنى Signification)* (قارن جودل ١٩٦٦ أو بورجر Burger (١٩٦١) وباللى ١٩٤٠). بيد أن دى سوسير لم يشر بصراحة إلى العلاقات بين الدال والدلالة ، بل العلاقات بين الدال والمدلول (عليه) بأنها اعتباطية.

الاعتباطية - وخاصية النظام : الآن ننتقل إلى مفهوم العلامات بوصفها قيماً فى نظام ما، تتعارض مع مبدأ الاعتباطية . لنتذكر صورة الكتلتين غير الشكليتين

* يستخدم للدال والمدلول والدلالة أكثر من مصطلح، نجمعها هنا حتى لايحدث خلط لدى القارئ : فالدال هو (signifier = significant = signifiant = الكلمة المنطوقة أو المكتوبة التى تدل على الشئ أو المفهوم أو الشخص) والمدلول (عليه) هو (signfied = significatum (referent) signifié - الشخص أو الشئ أو المفهوم الموجود خارج اللغة والذى يشير إليه الكلمة)، والدلالة (المعنى) (Meaning = signification = significance - المعنى الذى تنقله الكلمة والذى يعبر عن العلاقة بين الدال (أى الكلمة) والمدلول (عليه) أى الشئ أو الشخص أو المفهوم خارج اللغة. أما - semiotics significas فهو علم العلامات (الرموز) ، يبحث فى العلامات (الرموز) اللغوية وغير اللغوية .

اللتين تفرعتا من اللغة : ابتداء التكوين اللغوى، لايصير الصوت دالاً والتصور النفسى المحض مدلولاً (عليه) إلا من خلال إلحاق متبادل للأجزاء الغامضة فى كلتا الكتلتين غير الشكليتين . فالمشير والمشار إليه لايتشكلان إلا بشكل متبادل فهما مرتبطان بعضهما ببعض لايمكن فصلهما. وقد أجرى دى سوسير نفسه مقارنة بورقة، حيث لايمكن فصل وجهها عن ظهرها بعضهما عن بعض. وليس اعتباطياً أى جزء تصورى ربط بأى جزء صوتى، إذ لاتتحدد الأجزاء فعلاً إلا بوضع حد لها مع الأجزاء المجاورة لها : فقد تغير زحزحة جزء وحيد فقط أيضاً النظام المميز بأكمله. ولا ينقذ مبدأ الاعتباطية إلا حين يوسع بقدر ما يمكن أن يحدث انطباعاً متناقضاً : ففى الحقيقة تعد كل العلاقات الباطنية اللغوية ضرورية (أى العلاقات بين المدلول عليه والدال أيضاً)، ولكن بنية اللغة تعد بوجه عام بنية اعتباطية فى مقابل بنية الواقع. فالأخيرة لاتنعكس فى الأولى بأية حال. إن اللغة محض شكل فارغ «كاف بذاته»، يمكن بمساعدته أن يتصل المرء حقاً فى أفعال كلامية معينة بالواقع، ولكنه فى حد ذاته مستقل عن الواقع. ٣٦

الخاصة الأيقونية للغة : اتخذ ياكوبسون (١٩٦٦) بوجه خاص موقفاً من الاستقلال العام للغة عن الواقع، وأشار إلى أن اللغة تجرى فى المجالات الجوهرية مصورة للواقع : فمثلاً صيغة الجمع للأسماء فى كل اللغات تقريباً أطول من صيغة المفرد، فهو إذن يصور ماهو واقعى إلى حد بعيد، أو فى القول المأثور المشهور للقيصر («veni, vidi,vici» أتيت، رأيت، انتصرت) يصور بدقة المجرى الزمنى الحقيقى للوقائع*. ولكن هذا المثال يبين نقطة ضعيفة فى حجاج ياكوبسون : فهذا الترتيب للمفردات لم يسنه نظام اللغة (إذ كان يمكن أن يقال أيضاً : «انتصرت،

* لاشك أن اللغويين العرب القدامى وبخاصة الخليل وابن جنى والرازى وابن سيده وعلماء الأصول والفلاسفة لهم مواقف وآراء لاتقل قيمة عن الآراء التى يطرحها المؤلف هنا فى هذا الموضوع وبخاصة دراساتهم فى العلاقة بين الرموز والدلالة والزمن والدلالة والارتباط بين الكلمة وماتشير إليه فى محاور دلالة الجرس وتداخل الحروف لتداخل المعانى والمعانى المتلاقية والاشتقاق الأكبر وغيرها من المباحث المهمة للغاية انظر بوجه خاص كتاب د. مندور «اللغة بين العقل والمغامرة وبخاصة عن عبقرية اللغة .

بعد ما رأيت، بعدما أتيت) . بل هو مسألة أسلوب ليست لها علاقة بالكلام ولا باللغة .. (انظر مالمبرج Malmberg ١٩٧١) .

يبدو لى أن مبدأ الاعتباطية (الموسع) لايمكن هزه طالما أبقى المرء على موقف اللغة . فقط حين تُرْبط اللغة مرة أخرى بالإنسان المتكلم يمكن أن يحل محل الاعتباطية وظيفية العلامة (انظر كذلك الباب الثالث مبحث ١ - ٢) .

٢ - ٤ موقف ونقد

لم ينفذ دى سوسير بإدخاله المبادئ الثلاثة الاستقلالية . والداخلية* والنظام، فى اللغة فى الواقع إلا شيئاً حدد فى مستهل القرن (العشرين) بشكل عام للغاية،إعادة الوعى بالعلوم،(قارن ترنكا Trnka ١٩٦٦أ) . يجب أن ترى فكرة النظام فى سياق الانفصال العام عن مذهب الوضعية الأصلية «القديمة» (Urpositismus)**: فقد أراد فى خوفه من التجريدات الضابطة للنظر أن يقر ذلك على المواد وحدها على نحو ماعرضت، ويعنى ذلك أن يسجل ببساطة المواد بوصفها حقائق مفردة دون رابط نظامى داخلى (يُقارن تحديد باول لموضوع علم اللغة) . ويذكر مبدأ الاستقلالية والداخلية بالتحرر من علم النفس، على نحو ماحاول هو سرل (Husserl) . فبدلا من قصر كل الظواهر على ماهو نفسى، ينبغى أن يرجع ذلك نفسه إلى أبنية معنوية موضوعية . وقد تمت هذه العملية فى تجاور لصيق بعلم اللغة - كما وضح من قبل - ٣٧ على سبيل المثال فى علم الاجتماع . فقد افترض ا . دوركايم أن شرح ماهو اجتماعى يكون من خلال ماهو اجتماعى (أى ليس من خلال ماهو نفسى) . ويقع دى سوسير أيضاً على هذا الخط تماماً بنهجه فى إيضاح العناصر انطلاقاً من علاقاتها الداخلية

---

* غلب على هذا المصطلح إطلاق مصطلح المحايثة والصفة محايث، بمعنى ضمنى داخلى، جوهرى ملازم... ولكن لايجد هذا الاستعمال قبولاً لدى عدد من الباحثين.

** لقد كان لهذا المذهب أثر كبير فى الدراسات السامية، فقد قامت تحليلات نولدكه بوجه خاص، الذى كان يعتنق هذا المذهب على مبادئ واضحة للغاية للوضعية، ومما لاشك فيه أن ذلك كان بتأثير واضح من العلماء الذى اشتغلوا بدراسات حول اللغات الهندوجرمانية.

فقط أى ملازماً للظاهرة (phanomeninhärent)* (قارن هارتمان Hartmann ١٩٦١).

ومن الواضح كذلك ماقد استبشعه النحاة الجدد فى مفهوم دى سوسير للنظام. فاللغة ليست بنية علمية، وربما لم تكن إلا محصلة لوصف منظم للمواد (وهذه دائماً مواد الكلام) ، بل إن هذا النظام اللغوى يصلح أن يكون بنية موضوعية. لاتوجد بصورة واقعية للغاية فى المواد ولكن عبر المواد. ولعله قد تسلل بذلك بالنسبة للنحاة الجدد فرضية أو تجريد مفترض جديد بين الملاحظ والمواد وهو فقط أنه ربما لم يوجد هذه المرة افتراض بيولوجى أو أى افتراض غريب غيره، بل افتراض لغوى مستخرج منها. فهو ليس ناتجاً عن المواد، ذاتها، بل زحزح بشكل بدهى عن هذه المواد. وربما كان النحاة الجدد قد رضوا بإشارة إلى أن المرء يجب ألا يستنبط مبدأ النظام ومبدأ البنية من استثناءات حول الجوهر الحقيقى للغة، بل يمكن أن يستنتجا بشغف أيضاً من اعتبارات منهجية فى العلم. وبعبارة أخرى فالأمر لايدور حول إذا ماكانت اللغة شكلاً أو بنية أو اذا ماكانت مستقلة عن الإنسان المتكلم والعالم الحقيقى، بل حول إذا ما نريد فى وصفنا أن نعرضها على هذا النحو. ربما لم تكن اللغة شيئاً جديداً، بل جانب مجرد، يعاد رؤية شئ قديم فى إطاره، أى المجال الذى يمكن ملاحظته للنشاطات الكلامية. وفى رأيى أنه ربما لم يكن هناك ابتداءً شئ يعترض مثل ذلك الإجراء التجريدى طالما روعى أن ذلك الإجراء قد وجب أن تشرعه الأهمية والصلة العملية لنتائجه العلمية.

بيد أنه الآن يتبين بوضوح تام من «المحاضرات» برغم الفقرات المتناقضة

---

* الظاهراتية phenomenology نشأت الظاهراتية فى كتابات ادموند هوسرل E.Husserl الفيلسوف الألمانى، والذى تتخذ فلسفته نقطة انطلاقها من صورة العالم فى وعى الإنسان ، ومن ثم فهى تنفى إمكانية النظر إلى العالم باعتباره كياناً مستقلاً عن الوعى البشرى، وتسعى إلى الوصول إلى الواقع المجسد من خلال خبرتنا به . ويعتبر هوسرل أن الوعى هو وعى بشئ مافى كل حالة، أى أنه يتجه إلى الخارج لا إلى الداخل حتى ولو كان موجهاً إلى شئ متخيل - انظر لمزيد من التفصيل المصطلحات الأدبية الحديثة ، د. محمد عنانى ، لونجمان ص ٧٠وما بعدها.

بشكل واضح (٢) في ص ٩ أن دى سوسير يفترض وجوداً حقيقياً وإن كان غير مادى للنظام اللغوى وأنه يستنبط نظرته اللغوية البنيوية من خواص واقعية ظنية للغة*. وكان من نتيجة هذا الموقف الواقعى تخليص علم اللغة من سياق قضايا خاصة بعلم الاجتماع وعلم السلوك مع تقديم متزامن لعلم اللغة على علم السلوك ٣٨ اللغوى. ولكن ماهو أكثر أهمية هو: أنه من خلال هذه الواقعة لم تضبط النظرة إلى مواد وحقائق السلوك اللغوى فحسب، بل تحولت عن تلك بشكل منظم؛ إذ عدت اللغة مستقلة حقاً عن السلوك اللغوى، ولايحتاج اللغوى عند وصفه للغة أيضاً أن يعتمد على بحوث تجريبية صارمة عن حقائق السلوك اللغوى. غير أنه من جهة أخرى لما كانت اللغة شيئاً لايمكن ملاحظته أيضاً فإنه يتساءل: علام يمكن أن يعتمد اللغوى تجريبياً آخر الأمر. وفى نهاية طريق طويل لعلم اللغة هذا «الواقعى»، سوف يراد الرجوع إلى المؤسسات (انظر الباب الخامس). وهو مايمكن الآن أن يوضح أن استعمال النظام اللغوى بوصفه موضوعاً حقيقياً فى مقابل السلوك اللغوى، ليس مجرد إنجاز مضاد فلسفى بقى فى غير ذلك بلا عواقب بالنسبة للتطور العملى لعلم اللغة. على العكس من ذلك فقد جلب معه نتائج عظيمة بالنسبة لتأسيس علم اللغة بوصفه علم تجربة (اختبار) إيجابى، غير تأملى.

إذا لزم أن يكون فرض الوجود الواقعى للغة واستقلالها الحقيقى عن الإنسان الذى يسلك سلوكاً لغويا أكثر من عقيدة دينية، فيجب أن يورد تحفيز لذلك داخل الإطار التجريبى، وإن كان غير مباشر أيضاً – ويبحث دى سوسير عن هذا الإطار – كما ذكر من قبل – فى علم اجتماع دور كايم. لنختبر الآن: إلى أى مدى دُعِّم علم لغة دى سوسير بذلك فى واقع الأمر. نبه دوروتسفكى "Doroszewski" (١٩٣٣)

* استخدم المؤلف هنا صفة دالة على الوهم، وذلك يتناقض أساساً مع ما اتسم به علم اللغة من واقعية وتجريبية وموضوعية وغير ذلك على يد دى سوسير مما وفر له استقلاله عن العلوم المتاخمة وارتفاعه إلى مصاف العلوم الطبيعية التجريبية التى تقوم على درس وقائع مادية ملموسة، وتنتهى إلى نتائج دقيقة وتقنين صارم للظواهر ويكون للتجريد فيها دور محدود.

العالم اللغوى إلى أن خصائص اللغة تتطابق تطابقاً تماماً مع ماعزاه دور كايم بوجه عام إلى واقعة إجتماعية (fait sozial) بأنه مميز . وفى كتاب (...Règles القواعد (١٨٩٥) (يقتبس هنا من الترجمة الألمانية سنة ١٩٧٠) حدد دور كايم الواقعة الاجتماعية، وهى ماكانت بالنسبة له على الأخص تصورات تصديق جمعية سارية فى مجتمع معين، على النحو التالى : « الواقعة الاجتماعية هى كل نوع محدد للفعل بشكل أو بآخر، له القدرة على ممارسة إلزام خارجى على الأفراد، أو أيضاً يظهر بوجه عام فى محيط مجتمع راهن، حيث له حياة خاصة مستقلة عن منطوقات أفراده » (› القواعد ‹ وص١١٤) .

إن التوازى مع دى سوسير ظاهر، وعلى نحو مواز كذلك - يصل إلى حد الصياغات الحرفية تقريباً - إصرار دور كايم على الكيفية الجديدة أساساً والمختلفة لما ٣٩ هو اجتماعى فى مقابل معطيات نفسية للفرد ، وعدم إمكانية رجوع ما هو اجتماعى إلى ما هو فردى. لا أستطيع هنا أن أخوض فى نقد دور كايم الاجتماعى الذى يعيب على دور كايم بوجه خاص فصلة الآلى غير المنطقى (الجدلى) لما هو اجتماعى عما هو فردى وجعل ماهو اجتماعى مفترضاً. وقد حاول ر. كونج p. Konig فى مقدمة الترجمة المذكورة أن يدحض نقده. ولكن الآن من الأهمية بمكان فى سياقنا وحده

* قد قرر دور كايم عدة مرات - وربما وافقه فى هذا معاصراه (سوسير وفريد) أن حقله المعرفى يقوم على أساسا «الحقيقة الموضوعية للوقائع الاجتماعية». وفى إيجاز، لن يكون من الممكن قيام علم الاجتماع وعلم اللغة وعلم النفس التحليلى، إلا إذا أخذ المرء المعانى المتصلة بالأشياء والأفعال فى المجتمع، والمميزة بين هذه الأشياء والأفعال ، بوصفها حقيقة أصلية ، أى بوصفها وقائع تحتاج إلى شرح. ولما كانت المعانى نتاجاً اجتماعياً وجب أن يقوم الشرح على أسس اجتماعية. ويبدو الأمر كما لو أن سوسير وفريد ودوركايم تساءلوا : ما الذى يجعل التجربة الفردية ممكنة؟ ما الذى يمكن الناس، رجالاً ونساءً، من أن يعملوا مستخدمين الأشياء والافعال المتلبسة بالمعنى ؟ وما الذى يمكنهم من أن يتوصلوا ويتصرفوا على نحو ينضح بالمعنى ؟ . وكانت الإجابة التى سلموا بها تشير إلى المؤسسات الاجتماعية، التى هى الشروط اللازمة للتجربة، وإن كانت ألوان النشاط اليسرى هى التى شكلت هذه المؤسسات ، فلكى يفهم المرء التجربة الفردية كان لزاماً عليه أن يدرس المعايير الاجتماعية التى تجعل هذه التجربة ممكنة. (جوناثان كلر، فرديناند دى سوسير ترجمة د. عز الدين اسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ص ١٣٥، ١٣٦.

الحقيقة القائلة إنه وإن كان ليس ضد دوركايم بقدر ماكان حتماً ضد دى سوسير وأتباعه المباشرين يعد مأخذ المادية (تحويل المجرد إلى مادى) مجازاً إجازة كاملة. ويمكن أن يكون ذلك واضحاً من خلال ثلاثة فروق بارزة بين دورسوسير ودوركايم:

١ - بالنسبة لدوركايم يدور الأمر مع تعريف الواقعة حول ، تعريف أولى ، (القواعد ص٩٨) . وهكذا فربما كانت بنية جدله المنهجى على النحو التالى: لهذه الواقعة أو تلك على نحو يمكن ملاحظته خاصيتا «الإلزام» والظاهر الخارجى Exteriorität*، وهكذا فإن تلك واقعة مهمة لعلم الاجتماع، أى واقعة اجتماعية. وكما بينا فيما سبق يجرى الأمر لدى سوسير على نحو معاكس تماماً : اللغة واقعة اجتماعية، أى أنه لها خاصيتا «الإلزام» و «الظاهر الخارجى» . وقد أجرى بشكل بدهى لدى دى سوسير تصنيف اللغة على أنها واقعة اجتماعية، على خلاف مقاصده المنهجية.

٢ - فى صفحة ١١٠ ومابعدها من كتاب «القواعد» يبين دوركايم على نحو غاية فى الإيضاح، كيف يكون ماهو اجتماعى بالنسبة له، وله كيفية أخرى غير ماهو فردى، إذ إنه من المعروف أنه يمكن أن تبلغ عن طرق سلوك استاتيكية أرقام الميلاد أو الزواج أو الموت المميزة لمجتمع ما. هذه الأرقام هى بالضبط الوقائع الاجتماعية التى يجرب بها عالم الاجتماع. ولكنها لاتقول أى شئ مطلقاً عن أرقام الميلاد أو الزواج أو الموت.

« لما كانت تضم كل الحالات الفردية بلاتمييز فى كل رقم من هذه الأرقام» فإنه تبرز العلاقات الفردية التى يمكن أن تشترك فى إنجازها بشكل متبادل، ولا تسهم بشئ فى النتيجة النهائية - فما تعبر عنه الأرقام هو على الأرجح حال معينة للروح الجمعية» .

* مصطلح قديم أعيد استعماله من جديد بمعنى ماهو ظاهرى، خارجى، والجانب الخارجى، الظاهر، والسطح ... الخ. ويعرف كذلك لدى فوكو كما ذكر د. عنانى فى المصطلحات ص٢٨ =exteriority المظاهر الخارجية، إذ يشير المصطلح إلى مذهب فوكو فى رفض الغوص إلى الجوهر والاعتماد على المظار الخارجية واحتمالاتها. وهذا فى رأيى هو جوهر استعماله الاكتفاء بالظاهر دون الغوص إلى الباطن.

يقترب ماهو اجتماعى - إذا ماأراد المرء به قطاعاً استاتيكيا من خلال الحالات الفردية - يتعلق باللغة - فى الحقيقة من العرف النحوى للنحاة الجدد أكثر من اللغة لدى دى سوسير التى لاتعد حقاً بشكل واضح محصلة للنشاطات الكلامية الفردية. ومن ثم فإنه يمكن بالنسبة لدور كايم ألايكون ماهو فردى ببساطة أيضاً نسخة؛ صورة لما هو اجتماعى لدى الأفراد. وربما كان ذلك لدى كل الأفراد متطابقاً ٤٠ تماماً، ولكن نجد هذا التصور الآلى - المبسط بالضبط لدى دى سوسير (انظر مقارنة المعجم).

٣ - بالنسبة للدور كايم تعد الوقائع الاجتماعية (faits sociaux) تصورات ومعايير جمعية، تُقعِّد الفعل وسلوك أعضاء جماعة معينة، وربما كانت اللغة بمفهوم هذا المنطق بوصفها واقعة اجتماعية مجموع المعايير التى توجه نشاطات الكلام -pa role - Akte. من البدهى أنه قد تبع ذلك أيضاً المعايير والقواعد، التى تتصل بالمادة اللغوية: كيف يجب أن ينطق هذا الصوت أو ذاك. كيف يجب أن أتصل بهذا الموضوع أو ذاك لغوياً، كيف يجب أن أتكلم بسرعة وبصوت عال، وبذلك يمكن للمرء أن يفهمنى الخ. ليس للغة بمفهوم دى سوسير علاقة بكل هذه الأشياء، ولكنها على كل حال تقعد البناء النحوى، البنية النحوية للمنطوقات فى الكلام. ويمكن أن يفهم هنا بشكل مباشر أن علم اللغة البنيوى يصير من علم للغة إلى علم للقواعد على الإطلاق. لنستخلص هذه الحقيقة، وهى أن دى سوسير لم يستنبط تصوراته المتعلقة باللغة بأية حال ضرورة من علم اجتماع دور كايم، بل على الأرجح قد اقتطفت نبذ محددة من دور كايم بمعزل عن (سياقاتها) وعرضت من طرف واحد. فهى لم تطعم النهج اللغوى إلا على نحو استدلالى a posteriori*، وشكلت زخرفة، وليس

* يعنى هذا المصطلح «استدلالى» أنه قائم على دراسة الوقائع المتفرقة والحالات الخاصة بغية استخلاص المبادئ العامة منها. وهو من مصطلحات المنطق الشائعة الاستخدام فى الكتابة العملية. وإذا وصفت به قضية، كان يعنى ذلك أن إدراك صدقها لايكون بالاستناد إلى الخبرة والبينة التجريبية وهو عكس مصطلح استنتاجى apriori.

عمل الإطار الضرورى لعلم لغة دى سوسير. والمقولة الواقعية وهى أن اللغة شكل جزافى وبنية جزافية مستقلة عن الإنسان لايمكن أن تحفز بالرجوع إلى علم الاجتماع .

وهكذا هل نهج دى سوسير ومن ثم كل علم اللغة الذى تبعه بنى على ميثولوجيا ميتافزيقية غير معللة، ولذلك تودع فصول تاريخ العلم؟ أظن أنه فى النهج كله برغم كل شئ تكمن مقدمات يمكن البدء بها تجريبياً وزيادتها بجدية حتى إذا كان علم لغة دى سوسير لم يوضحها : وسوف أفصل ذلك فى الباب الرابع المبحث الرابع تفصيلاً أكثر دقة .

٢ - ٥ مدرسة جنيف

فى الواقع يعد كل اللغويين البنيويين المحدثين (ماعدا البلومفيلديين) تلاميذ «دى سوسير» . أما أتباعه المباشرون والأكثر قرباً منه فى ذلك فهم لغويو ماسميت مدرسة جنيف. فأعمال هذه المدرسة الذى قدم فيها المجلد الجامع لجودل (١٩٦٩) ٤١ نظرة عميقة طيبة، اختصت فى جزء كبير منها بلون من الشرح التقليدى لدى سوسير، وتحدث أحياناً بنغمتها الحماسية أمام «المعلم» أثراً كوميدياً بسيطاً *.

وبغض النظر عن ذلك، فقد تابعت بوجه خاص الجانب الاجتماعى لدى دى سوسير. وعناوين مثل "Pour une Sociologie du langage" من أجل علم اجتماع للغة (لغوى) (كوهين ١٩٥٦) تتحدث بلغة بليغة. وكذلك أعمال مييه A.Meillet وفندريس Vendryès قد تطبعت بطابع هذا الميل. ولم يكن للنهج السيوسيولوجى مع ذلك داخل علم اللغة البنيوى أية تأثيرات باستثناء المراجع

---

* من العسير تقبل هذا الرأى من المؤلف الذى يتضمن نوعاً من السخرية بلغة تلاميذ دى سوسير تجاه أستاذهم، وتكفى لدحض هذا الرأى مراجعة دقيقة لآراء مييه الذى بدأ البحث اللغوى قبل دى سوسير ولكنه تأثر به تأثراً شديداً (انظر علم اللغة فى القرن العشرين، لجورج مونان، ترجمة، نجيب غزاوى (ص ٣٧ومابعدها) وكذلك كتاب فندريس « اللغة» الذى يعد من أوائل المؤلفات التى ترجمت إلى العربية ، نشره القصاص والدواخلى ١٩٥٠م.

الفرنسية أو مراجع البلدان الناطقة بالفرنسية. ولذا ليس من المصادفة فى شئ أنه نادراً ما استشعر لغوى بأن الأمر يدخل فى نطاق تخصصه، حين ركز ليفى شتراوس على الأنثروبولوجيا البنيوية * الخاصة به من خلال رجوعه الواضح إلى مناهج لغوية (انظر ١٩٥٨) .

** الواقع أن إفادة شتراوس من علماء اللغة المحدثين وعلى رأسهم دى سوسير وياكبسون، كانت إفادة مباشرة، فما توصل إليه هؤلاء من نظم لغوية اتخذه شتراوس أساساً للتحليل ولقد صرح شتراوس بما كان لعلماء اللغة هؤلاء من فضل على الأنثربولوجية، انظر تفصيل هذا التأثر بأسس دى سوسير فى كتاب فن القص، د. نبيلة ابراهيم مكتب غريب من ص ٢١ وبخاصة من ٣٤ إلى ٤٥ .

الباب الثالث

البنيوية الأوربية



٣ - البنيوية الأوربية

٤٢ أطرح ثلاث مدارس ممثلة للبنيوية الأوربية : مدرسة براغ، وفايسجربر وبحث المضمون، والجلوسماتية . ويجيز ذلك تعليل بسيط، إذ أنكر على كلتا المدرستين الأوليين فى بعض المواضع وصف « بنيوية» مطلقاً . وفى الحقيقة يضاف إلى مدرسة براغ مكون – يسمى الوظيفية، التى فجرت فى نقاط كثيرة الإطار البنيوى، ولم يطمح فايسجربر مطلقاً إلى شكلية عليا وتحويل طرق البحث والنماذج إلى وجهة رياضية نهائية Mathematizität*، التى تعد دون غيرها سمة مميزة للبنيوية . وعلى النقيض من ذلك ليست الشكلية Formalität هى السمة الفارقة للبنيوية الأوربية، بل أوجه الميل التى وضحت فى الباب السابق عن دى سوسير، للاستقلال اللغوى الذى اشتق من استقلال وهمى للغة، والنظرة الداخلية (الباطنية) للنظام . ويعد هذان الميلان وإن كانا فى إطار ايدلوجى آخر – كاملين لدى فايسجربر، بحيث بدا لى من السائغ أن أسجل هنا بحثاً عن فايسجربر – يمكن أن يخرج هذا البحث فى مكان آخر أيضاً إلى حد بعيد للغاية عما يفهمه المرء اليوم فى المعتاد عن البنيوية .

وأخيراً لم تذهب وظيفية براغ بعيدا مطلقاً إلى حد أن التصورات العامة لدى سوسير قد قلبت فى الحقيقة (رأساً على عقب) . فمن الممكن أن يلاحظ بناءً على اهتمام غير عادى مباشر. أين عثرت الوظيفية على حدودها البنيوية، بحيث إنه قد بدا لى صحيحاً بناء على هذا السبب أن أعالج الوظيفة تحت عنوان واضح للمبحث (المبحث الثانى فى هذا الباب) .

فضلاً عن ذلك استكمل علماء براغ ول. فايسجربر نهجهم بشكل مثالى من

---

* يعنى هذا المصطلح إما المعالجة والبحث بمناهج رياضة، أو استخدام مناهج رياضية فى البحث العلمى، أو الميل إلى تقديم عمليات الواقع والعلم وبخاصة المنطق فى صياغات رياضية أو اتخاذ النهج الرياضى البحث فى طريقة البحث وبناء النماذج كما سيبين بعد قليل فى نظرية «الجلوسماتية» بوجه خاص. ويعنى ذلك باختصار إما استخدام مناهج رياضية أو اتباع النهج الرياضى فى البحث .

حيث فصل علماء براغ النهج البنيوى بوجه خاص على مستوى الدال من خلال بحثهم الفونولوجى وفصل فايسجربر نهجه البنيوى هذا بوجه خاص على مستوى المدلول (عليه) من خلال أفكاره عن حالات الكلمة.

٣ - ١ مدرسة براغ

يفهم تحت حلقة براغ تنظيم غير محكم من اللغويين الأوربيين الذين تصدرهم سنة ١٩٢٦م اللغوى البراغى ف. ماتسيوس V.Mathesius وفيها اتحد عدد كبير من اللغويين الذين كان لديهم إلى حد ما ثقافات وخلفيات لغوية غاية فى الاختلاف بحيث لايتعجب المرء إذا لم تصل مدرسة براغ إلى برنامج صارم وملزم للجميع، بل ظلت متسمة فى الغالب بعدم تجانس قوى فى طرائقها. أما ماجمع هؤلاء اللغويين مع ذلك اتجاهات مماثلة معينة لاهتماماتهم، فيمكن أن يذكر من بينها بوجه خاص الاهتمام بالقضايا الفونولوجية. وفضلاً عن ذلك حاولوا جميعاً على نحو ما أن يؤلفوا بين النظرة اللغوية البنيوية والنظرة اللغوية الوظيفية. ويجب أن يؤكد على ذلك لأنى سوى أعرض هنا هذين الميلين على أنهما متعارضان ويناقض كل منهما الآخر مناقضة شديدة، وهو مايمكن إذن ألا يتطابق على الأقل مع المقاصد الذاتية للبراغيين أنفسهم.

٤٣

كانت الفترة الكلاسيكية لحلقة براغ هى فترتها من ١٩٢٩ حتى ١٩٣٩، ففى ذلك الوقت أصدروا مجلتهم Travaux du Cercle Linguistique de Prague «أعمال حلقة براغ اللغوية». ويعطى التفاوت * صورة معبرة عن الإنتاجية الضخمة للحلقة. وبسبب الاحتلال النازى وهرب هؤلاء الباحثين البارزين مثل ياكوبسون Jakobson توقفت الحلقة مدة طويلة. ومع ذلك نجح اللغويون التشيكوسلوفاكيون فى تنظيم حلقة جديدة بعد الحرب، وفى الإضافة بشكل مثمر إلى إرثهم «الكلاسيكى» وقد توجت جهودهم بإصدار مجلة جديدة للنشر بدءاً من ١٩٦٦ وهى "Travaux Lin-"

* يعطى مصطلح «التفاوت» التباعد، الاختلاف، التفرق التشتت، التشعب... انطباعاً سلبياً، ولكنى أميل إلى الأخذ بالأثر الإيجابى لأعمال هذه المدرسة التى تطرقت إلى موضوعات شتى على نحو يثير الدهشة والإعجاب.

guistiques de Prague – (أعمال براغ اللغوية) . (انظر موجزاً حول تطور مدرسة براغ فاشيك Vachek (١٩٦٦)، وحول تطورهم بعد الحرب انظر بوجه خاص دانش/فاشيك Daneš / Vachek ١٩٦٦ وفاشيك ١٩٦٦م. وينقل كل من الأنثروبولوجيين فاشيك ١٩٦٧ وجرافين ١٩٦٤، نظرة عامة رائعة عن أعمال الفترة «الكلاسيكية»)*.

٣ - ١ - ١ علم الأصوات البنيوي :

الفونولوجيا

حين تقدم هنا الفونولوجيا مثالاً للمكون البنيوى لنهج براغ فإن ذلك لايعنى أن البراغيين لم يحاولوا أن يدخلوا فى الفونولوجيا أيضاً وجهة نظر وظيفية. إن الأمر فى ذلك السياق على النحو التالى – سواء أكان ذلك عرضياً أو غير عرضى– أنه قد سعى لتأسيس الفونولوجيا بوجه خاص أولئك الأتباع للحلقة الذين ركزوا على المكون البنيوى تركيزاً شديداً، وهم المهاجرون الروس : كرسيفسكى وياكوبسون وتروبتسكوى ، (قارن بنش وفاشيك ١٩٧١)، وقد أوجز الأخير فى كتابه " Grundzügen der Phonologie أسس الفونولوجيا، نشر سنة ١٩٣٩ (يذكر هنا اختصاراً تروبتسكوى ١٩٦٧م (تاريخ طبعة جديدة لكتاب))، الذى حال موت المؤلف دون إتمامه بصورة نهائية، أفكاره حول الفونولوجيا. ولايعد « الأسس » وثيقة كلاسيكية لعلم اللغة فحسب، بل هو كتاب يمكن أن يوصى به إلى اليوم باعتباره مدخلاً لكل من يعنى بنظرة عميقة فى تجسيد برنامج دى سوسير الذى ظل عاماً بالفعل . وسوف نلتزم فيما يلى التزاماً كاملاً بـ « الأسس » .

٤٤

* والنظرية اللغوية التى أنجزها تروبتسكوى ورفاقه من مدرسة براغ واضعين فى الاعتبار التحليل الفونولوجى أساساً قد أدت إلى عدد من التطورات عظيمة الأهمية وتحليل الوحدات اللغوية فى صورة مجموعة من الملامح المميزة الذى مده ياكوبسون إلى بالفعل إلى الصرف، قد طبقه أيضاً فى التحليل القواعدى عموماً ، وهو الآن تحليلى مركزى إلى حد بعيد فى القواعد التوليدية – التحويلية. انظر مزيداً من التفصيل فى الترجمة القيمة التى قدمها د. أحمد عوض لكتاب روبنز : موجز تاريخ علم اللغة من ص ٣٢٥ وما بعدها.

ينقل تروبتسكوى ثنائيتى دى سوسير: اللغة (البنية اللغوية) : والكلام (النشاط الكلامى) والدال والمدلول عليه. فعلم المشير (الدال) هو بوجه عام علم الأصوات. غير أن ذلك ينقسم وفق الموقف التى يتخذه المرء هل هو موقف اللغة أم موقف الكلام، إلى علم الأصوات Phonetik وعلم الأصوات الوظيفى (الفونولوجيا_Phonology) ويعد علم الأصوات (= علم أصوات النشاط الكلامى) هو ، علم الجانب المادى (من أصوات) الكلام الإنسانى، ، بينما يعنى علم الأصوات الوظيفى ، بما يؤديه الصوت من وظيفة محددة فى البنية اللغوية ، (تروبتسكوى ١٩٦٧، ص ١٤)*. ومع هذه التحديدات تدخل ثنائية ثالثة لدى سوسير وهى ثنائية الشكل : المادة، فالبنية اللغوية شئ شكلى غير مادى، بينما الكلام بوصفه شيئاً واقعياً هو فى الغالب شئ مادى (ومن ثم فعلم الأصوات هو علم الجانب المادى ....).

الآن ما هى الوظيفة المتعلقة بالبنية اللغوى التى تؤديها الأصوات ؟ يجب هنا ابتداءً أن تضاف فكرة قد أشرت إليها فقط فى الباب الثانى وهى : أن المشير كلٌ موحد لايمكن تحليله، بل إنه قد بنى من جهة من عناصر صغرى لاتدل ذاتها على شئ (أى أنها ليست علامات حقيقية).

ويطلق عليها بوجه عام أصوات اللغة. وتسمى غالباً لتمييزها عن العلامات بالعلامات الإشارية.[٣] ويتكون المشير دائماً من ترتيب أفقى لهذه العلامات الإشارية : وتنظم فى اللغة الصوتية على امتداد محور الزمن، وفى اللغة المكتوبة الألفبائية على امتداد الخط المكانى (حيث تعد اللغة الكتوبة فى الحقيقة ثانوية عادة، غير أن ذلك بخلاف الجلوسماتية، انظر الباب الثالث المبحث الثالث). والآن على علم الأصوات الوظيفى (الفونولوجيا) أن يحدد هذه العناصر الإشارية بناء على موقعها

* ومدرسة براغ كانت مجموعة من العلماء التشكيين والعلماء الآخريين بمن فيهم رومان ياكوبسون الذين التفوا مذهبياً حول الأمير نيكولاى تروبتسكوى Nikoli Trubetzkoy الذى كان أستاذاً فى فيينا ٣٢ - ١٩٣٨م. وقد كان أول تطور مهم فى الواقع فى تطور نظرية الفونيم (أول من استخدمه دى كورتناى من الكلمة الروسية fonema) كان فى أعمال مدرسة براغ فى العشرينيات والثلاثينيات .

وإنجازها فى النظام اللغوى، بينما يبحث علم الأصوات (الفوناتيك) تحققها المادى ، الفيزيائى فى الفعل الكلامى.

٤٥ إن إنجاز الأصوات اللغوية ووظيفتها هو الذى يفرقها عن المشيرات المشكلة لها ويكفل لها تحديدها المتبادل. وهكذا يحد الصوت الانفجارى الحنجرى الألمانى (ʔ) كلا الدالين am و Ohr فى الوحدة النحوية (am ʔ o: r) بعضها عن بعض، إذ يُعلِّم كما يقال اختلافهما. ومن جهة أخرى يكفل إمكانية اختلاف كلا الدالين Ohr (أذن) وUhr (ساعة) من تقابل بين u,o ويفهم الأخير تحت مصطلح ، الوظيفة المعنوية – الفارقة بين الأصوات ،وهو ما لايوجد له بوجه خاص مصطلح أكثر توفيقا*، إذ لاتتميز من خلال الأصوات المعانى (المدلولات)، بل الدوال الحاملة للمعنى (قارن شوميان Šaumjan ١٩٦٨) . ولم يقصد ،بالمعنى، لدى تروبتسكوى فى البداية إلا المعنى الثقافى (العقلى) ، أى دلالة علامة ما فيما يتعلق بكل الكيفيات التعبيرية والأسلوبية .

ويطلق على وظيفة الأصوات المميزة لهذا المعنى الثقافى distinktive funktion (الوظيفة الفارقة) . والحق أنه فى الفونولوجيا ينبغى أساساً أن تلاحظ كل وظائف أصوات اللغة، ولكن تعد الوظيفة الفارقة هى فى الحقيقة الوظيفة المحورية للأصوات بحيث لم يطور نموذج الفونولوجيا ابتداءً إلا بمراعاة الوظيفة الفارقة**.

، يشترط مفهوم التفريق مفهوم الخلاف، المقابلة ، (١٩٩٧ ،ص ٣٠) وهكذا يكون المفهوم الأساسى المحورى هو مفهوم ، المقابلة الصوتية، . ويطلق على المقابلات الصوتية التى يمكن أن تميز المعنى فى اللغة المدروسة مقابلات صوتية أو وثيقة الصلة فونولوجيا أو مقابلات فارقة. ويطلق على عنصر تلك المقابلة

* قد استعمل دى سوسير الكلمة الفرنسية phonème، برغم أن ذلك كان بوجه عام بمعنى الصوت الكلامى بوصفه واقعة صوتية، ولكن نظرية البنائية فى اللغة فى تطبيقها فى الفونولوجيا قد صاغت بوضوح كبير مفهوم التمييز الفونونيمى باعتباره واسطة العقد فى الفونولوجيا. ، موجز تاريخ علم اللغة ص٣٢٤.

** فى العشرينيات كان وضع الفونيم بوصفه وحدة لغوية أو بوصفه طائفة من الأصوات، محل جدل ، فقد نظر إليه بشكل مختلف باعتباره وجوداً entity (كيانا) نفسياً أو وجوداً فسيولوجياً أو وجوداً مبهماً (مفارقا) أو مجرد أداة مبتكرة للوصف. الموجز ص ٣٢٥.

phonologische Einheit * وعلى سبيل المثال (: by و : mä) هما وحدتان فونولوجيتان فى الألمانية، مثلما تبين ثنائية : > Bühne < by : nə (مسرح) و nə : mä = > Mähne (عُرْف) . وتتكون هاتان الوحدتان من جهتهما تارة أخرى من وحدات فونولوجية أصغر، وهو ما توضحه الثنائيات التالية :

: by = : b,y ، قارن ، Bühne ، (مسرح) : ،Sühne ، (تكفير) >Bühne < (مسرح) و ، Bohne، (فاصوليا) .

: mä= : m,ä، قارن : >Mähne< (عُـــرْف) : ،Wähne ، (ظــن) و>Mähne< (عُرْف) و ، mahne ، (عِظّ) .

إذن يتحقق الإخبار عن وثاقة الصلة الفونولوجية بالمقابلات الصوتية، كما تبين الأمثلة، من خلال منهج الاستبدال: يحل المرء محل وحدة وحدة آخرى، ويختبر هل ينشأ من خلال ذلك فارق دلالى** . وقد كانت هذه هي الحال فى كل الأمثلة السابقة. وربما يكون المثال التالى مثالاً عكسياً :Ro: sə: ro : sə = >Rose< ، مرة بالراء اللسانية ومرة بالراء الحلقية :. المقابلة r .R ليست فى الألمانية مقابلة فارقة. ويبين مثال >Bühne< (مسرح) و>Mähne< (عرَف) كيف يمكن أن

---

* طبق تروبتسكوى وفونولوجيو مدرسة براغ نظرية دى سوسير فى تطوير مفهوم الفونيم، فأصوات الكلام تنتمى إلى الكلام parole. أما الفونيم فينتمى إلى اللغةlangue. وفى دراسة اللغات بوصفها أنظمة من العناصر المترابطة داخلياً، فإن علماء براغ لم يعاملوا الفونيم بوصفه مجرد طائفة من الأصوات أو بوصفه أداة للوصف، ولكن بوصفه وحدة فونولوجية مركبة تتحقق عن طريق أصوات الكلام، وعلاقة التحقق (التمثيل أو الانجاز) بين الوحدات على مستوى معين وبين الوحدات على مستوى آخر علاقة جوهرية فى مدرسة براغ ، وكل فونيم يتكون من عدد من الملامح المميزة أو «وثيقة الصلة» المستقلة التى تميزه وحدها بوصفه كياناً لغويا، وكل ملمح مميز يقف فى تقابل محدد مع غيابه أو مع ملمح آخر فى فونيم واحد آخر على الأقل فى اللغة. الموجز الصفحة ذاتها.

** على مستوى الفصحى يمكن أن يتحقق ذلك الفارق الدلالى من خلال المقابلات الفونولوجية التى تتحقق باستبدال الفونيم فى الكلمات الآتية : صام، عام ، نام، قام، رام، لام ، هام.... وهكذا يكون الفونيم الأول العنصر المميز لدلالات تلك المجموعة ، ويحقق الاستبدال بين الحركات بنوعيها القصيرة أوالطويلة تمييزاً فونولوجياً أيضاً ، ومن ثم تمييزاً دلالياً (كَتَبَ : كُتِبَ وقال : قيل) .

٤٦ ينقل من خلال استخدام متكرر لمنهج الاستبدال أخيراً الوحدات الفونولوجية الأصغر التى لايمكن الاستمرار فى تجزئتها أفقياً . هذه الوحدات يطلق عليها الفونيمات Phoneme (الوحدات الصوتية الوظيفية) .

فمن الواضح أنه لايمكن أن يدخل صوتان فى تقابل بعضهما مع بعض إلا بحكم خواصهما أو سماتهما .

مثال ذلك : ١ - لايفترق t عن th إلا فيما يتعلق بسمة النفسية "Aspiration" فكل السمات الأخرى هى هى فيهما (، النطق من طرف اللسان، وانفجارى ومهموس ،) .

٢ - يفترق bعن t فى السمات ، النطق الشفوى : النطق الحنكى ،، و،مجهور : مهموس ، . ولكنهما متماثلان فيما يتعلق بسمة ، انفجارى ،.

ويطلق على السمات التى تسهم فى إنجاز مقابلة فونولوجية (مثل: مجهور : مهموس، قارن Tante : Dante (دانته : عمة (خالة)) ولكن ليس فى سمة نفسى : غير نفسى، قارن T^{h}i : r = >Tier< : ti : r = > Tier <) . سمات وثيقة الصلة فونولوجيا. ويمكن الآن أيضاً أن يعرف الفونيم، على نحو مكافئ للتعريف أعلاه بأنه ، مجموع الخواص وثيقة الصلة فونولوجياً لبنية صوتية ....، . (ص٣٥) .

ويمكن أن يقال فى هذا التصور للفونيم بالنظر إلى الامتزاج بالبرنامج اتعام لدى سوسير، مايلى :

١ - لامادية الفونيم : فكل صوت معين متحقق فى النشاط الكلامى من الضرورى دائماً أيضاً أن تكون له سلسلة من الخواص وثيقة الصلة فونولوجيا، وينتج عن ذلك أن الفونيم لايمكن أن يتطابق إطلاقاً مع صوت معين. فالأصوات المعينة ليست دائما سوى تحقيقات للوحدة المجردة، الفونيم. ويتبع ذلك أيضاً أن الفونيم* يمكن أن تكون له عدة تحقيقات.

---

* تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الفونيم قد نشأ من خلال البحث عن نظرية للكتابة الصوتية الواسعة. فقد تركزت أعمال سويت بوضوح على هذا المفهوم برغم أنه لم يستعمل المصطلح الذى كان من عمل العالم البولندى الذى كان يدرس فى روسيا - بودوان دى كورتناى كما أشرت من قبل. ولكن من خلال دراسات مدرسة براغ المكثفة فى الفونولوجيا صار الفونيم عنصراً من العناصر الأساسية للنظرية اللغوية ككل، ومن الوصف والتحليل العلميين للغات.

مثال ذلك : للصوامت فى الألمانية خاصية حنكية قبل الحركات المفتوحة، قارن Tier < t, i : r >(حيوان) ، غير Tor < To : r > (بوابة، هدف ، مغفل) . ولما كان التحنيك فى الألمانية منفك الصلة فونولوجياً، فإنه ينتج عن ذلك أن t ,t' تحقيقان لفونيم واحد هو هو /t / .

ويطلق على التحقيقات المختلفة لفونيم ما (Varianten)(بدائل، متغيرات، تنوعات) للفونيم.

٢ – فوضى – نظام، أو مادة – شكل : لايمكن أن يقسم دال وارد حقيقة فى نشاط كلامى بناء على خواصه الفيزيائية – الصوتية إلى أجزاء غامضة. فكل نشاطٌ كلامى من الناحية الأكوستيكية (الفيزيائية) إنما هو استمرار، لا توجد فيه أية سمات فيزيائية لوجود محتمل لحد جزء ما. وقد عَبَّر ترويسكوى عن الشئ ذاته عبر عملية النطق : ففى كل نشاط كلامى توجد أعضاء النطق المشتركة فى حركة مستمرة منسابة، ولايوجد موضع للراحة يمكن أن يعد مترابطاً فيزيائيا مع حد الجزء . فلا ٤٧ يمكن أن يُجَزَّأ نشاط كلامى ما إلا من خلال منهج الاستبدال المتقدم المذكور آنفاً، ويعنى ذلك أنه لايمكن أن يقسم إلا بالاستناد إلى وحدات الفونيم التابعة للغة. فلا يشكل الكلام ولايجزئه إلا اللغة.

/t/ /i/ /š/

تمثيل فونيمى

*نشاط كلامى "Tisch"

٣ – وضع الفونيم : إن الفونيم مصطلح فى تكوين تقابلى ، أى أنه مفهوم

---

* يلاحظ هنا أنى ترجمت مصطلح Sprechakt إلى نشاط كلامى الذى هو ترجمة لمصطلح "Sprechtätigkeit"أيضاً، وذلك حتى لايتداخل مع نظرية الأفعال الكلامية التى صيغت فيما بعد صياغة كاملة على يد أوستن وسيرل أساساً، فإنى لاأقصد هنا الفعل مصطلحاً ، ولكن ماينتج عن عملية النطق ويتجسد نشاطاً حقيقياً منطوقاً. وربما لاتعد ترجمته إلى فعل نطقى أيضاً مزيلة لهذا اللبس ، لأنها تطابق ترجمة مصطلح Ausspracheakt.

علائقى سار اجتماعياً. وانطلاقاً من هذا رفض تروبتسكوى بحدة تصورين بديلين للفونيم:

أ) قد حدد اللغوى البولندى الذى تعلم فى قازان فى القرن التاسع عشر/ ومطلع القرن العشرين بودوان دى كورتناى (Baudouin de Courtenay) الفونيم بأنه › قصد صوتى ‹ ، وبأنه نقطة › يهدف ‹ إليها قصداً متكلم ما فى نشاط نطقى معين . وكان علماء براغ قد تبعوه أيضاً فى البداية . ومع ذلك فإنه بعد قليل بدأ «اقتناص علم النفس»، واحتج تروبتسكوى فى « الأسس» بأن كل متكلم يجب حقاً أن يكون لديه القصد أيضاً إلى نطق صوت ما ذى خواص ليست وثيقة الصلة به أيضاً. وبذلك يستهدف «القصد الصوتى » وحدات الكلام» ولايستهدف وحدات اللغة (قارن أيضاً تشيتشفسكى Čyžweskj (١٩٣١).

ب) قطع استاتيكى : حاول تسفيرنر (Zwirner) بوجه خاص أن يدخل الفونيم بوصفه مفهوماً استاتيكياً. وهكذا ربما كان الفونيم / P / متوسط تحقيقاته الكثيرة، وربما كان محصلة أوجه ورود حقيقية لنشاط كلامى. وعلى العكس من ذلك يحتج تروبتسكوى بأنه مع قياسات استاتيكية لاتتوسط فى الغالب أيضاً إلا خواص ليست وثيقة الصلة : ولذا يعزى إلى فونيمات الحركة الروسية امتداد متوسط محدد، ولكن فى الحقيقة تعد خاصية ، الطول » فى الروسية غير وثيقة الصلة (rat = ra:t (معركة – عسكر)، قارن غير ذلك فى الألمانية >Ratte < rat ،(قِسْط) > Rate< = ra: t و (جُرَذ). وهكذا لايضاف إلى فونيمات الحركة إطلاقاً أى تخصيص يتعلق بطولها. ولايمكننا المتوسط الاستياتيكى من تمييز ماهو وثيق الصلة عما هو ليس وثيق الصلة.

إن التوازى مع آراء دى سوسير، كما عرضت فيما سبق بمناسبة الواقعة الاجتماعية لدى دور كايم ، بارز. ووضع الفونيم هو وضع قيمة اجتماعية علاقية بمفهوم دى سوسير تماماً. ٤٨

٤ – « صورة العالم » الفونولوجية* : الفونيم مصطلح مميز للغة. فمثلاً ترد فى

* يقصد بمصطلح Das phonologische Weltbild أن الفونيمات فى كل لغة من خلال الدرس الفونولوجى تقدم صورة خاصة عن هذه اللغة، ويتكون من مجموع الصور الفونيمية للعربية والألمانية الانجليزية والفرنسية ... الخ مثلاً صورة فونيمية (فونولوجية) عامة يطلق عليه المصطلح السابق.

الألمانية أيضاً صوامت حنكية (قارن ماسبق) ولكن عند بيان محتوى الفونيم، أى الخواص وثيقة الصلة المشكلة للفونيم، لاتؤدى السمة «حنكى» أى دور. وفى الروسية الحال على النقيض من ذلك ، فالسمة «حنكى» وثيقة الصلة فونولوجياً : قارن : mat = < Matte< (حصيرة) و mat' = > Mutter < (أم). ووضعت فكرة أن للإنسان مدخلاً إلى العالم الواقعى المادى للأصوات عبر النظام الفونيمى للغته الأم فقط. ولذا من المعتاد أن يعانى ألمانى التمييز بين صوت حنكى وصوت غير حنكى تمييزاً تحكمياً سواء فى الكلام أو السمع. وفى المألوف أن تتلقى وتنطق الكلمة الروسية n'et مثل : njet (لا) ، أى أن يتحول تفسيرها إلى تتابع مألوف للألمانية من جهة اللغة الأم nj قارن Antje (Anti) (سابقة بمعنى ضد«). وهكذا فإن النظام الفونيمى لايتحدد نفسياً (إنه مجاوز للفرد ، إنه اجتماعى)، ولكنه قد أسقط بمفهوم نسخة طبق الأصل من فكرة دى سوسير مرة أخرى داخل الإنسان : فهو ليس نتاج سلوكه بل إنه يحدد سلوكه، ورؤيته، وإدراكه للعالم الواقعى للأصوات. وسوف ينقل ل. فايسجربر هذا التصور ذاته إلى مستوى المضمون أو الدلالة ويدخل فكرة صورة العالم الخاصة باللغة الأم.

ولاينتهى بالإخبار عن المحتوى الفونيمى بأية حال التحليل الفونولوجى للغة معينة ، فربما كان يجب أن تدرس حدود تنظيم الفونيمات فى الكلمة أو فى الجملة، وإقامة أنظمة فونيمية بغرض مقارنة طوبولوجية للغات مختلفة الخ. ولكنى أتجاوز هذا التفصيل للموضوع* لأنه بخصوص «القضايا الأساسية «للفونولوجيا فإنه حسب علمى قد قيل كل شئ بما فصل فيما سبق. وأريد أن أتناول مفصلاً نقطة واحدة فقط وهى ، نظرية السمات الفارقة (المميزة) "distinctive features" وفكرتها هى أن الفونيم هو حزمة من السمات الفارقة التى تترد متزامنة، قد تابعها بشكل مستمر ياكوبسون حتى صارت نظرية للسمات، تتميز بخصيصتين : العالمية

* يستخدم المؤلف مصطلح "Thematik" ، وله عدة معان : ١ - موضوع مطروح، محدد ، مختار، مفصل، وطرح الموضوع، وتعقد الموضوع ، وفكرة رئيسة . ٢ - فن طرح الموضوع وتوجيهه وتفصيله (واستيعابه أيضا).

"Universalismus"و الثنائية Binärismus (انظر ياكوبسون ١٩٣٨ وياكوبسون / هالة / فنت ١٩٦٧، وياكوبسون /هالة ١٩٥٦).

٤٩ العالمية (الكلية) : ينطلق ياكوبسون من أنه ليس كل مقابلة صوتية يمكن إنتاجها فى قطعة كلامية إنسانية يمكن أن تكون مقابلة فارقة ، بل إن مقابلات صوتية محددة للغاية فقط لديها فرصة أداء وظيفة فارقة فى أية لغة، أى أنه يوجد نظام سار عالميا للسمات الصوتية تستنبط منه وحده كل لغات العالم إمكاناتها الفارقة*. ففى تصور ياكوبسون الأصلى كانت هناك اثنتا عشر سمة ينبغى أن يكون من الممكن من خلال مفاهيمها وصف فونيمات كل لغة. وهكذا فإن نظام السمات هو تحديد واضح للمفهوم" فونيم ممكن mögliches Phonem ".

الثنائية : ينطلق ياكوبسون كذلك من أنه لايمكن أن يكون وثيق الصلة فونولوجياً دائماً إلا وجود أوغياب سمة ما ، ولكن ليس، المعيار الذى توجد فيه سمة ما على الإطلاق (على الرغم من أن الأخير يمكن أن يكون بلاشك وثيق الصلة صوتياً). وبذلك يمكن أن يمثل كل فونيم بأنه حزمة من الخواص الإيجابية أو السلبية لسمات معينة . وقد تبنى النحو التوليدى بوجه خاص فيما بعد «الميل العالمى فى هذه النظرية إلى أن يفسر وفقاً له ما هو لغوى فردى دائماً بأنه حالة خاصة لما هو ممكن عالمياً (انظر الباب الخامس)، وهو ليس أمراً عرضياً إذ إن ياكوبسون قد احتك

---

* وتحليل الملامح المميزة مع ارتباطها بالدراسات الآلية والأكوستيكية لانتقال الكلام. قد أنجزت خطوات متقدمة مثيرة فى مجال الصوتيات والفونولوجيا. وقد ارتبط هذا التطور بياكوبسن بشكل خاص، وهو عضو من الأعضاء الأصليين لحلقة براغ، وهذا الذى قرر فى وقت مبكر نسبياً من عمله أنه يمكن إلقاء الضوء على بعض المسائل الفونولوجية، عن طريق دراسة الملامح المميزة المكونة للفونيمات من وجهة النظر الاكتوستيكية ووجهة نظر المستمع، أكثر مما يمكن عن طريق وجهة النظر النطقية أو وجهة نظر المتكلم، الموجز ص٣٢٨.

بعد هجرته إلى أمريكا بالتوليدين المتأخرين*. وقد صارت السمة الفكرية أيضاً لتمثيل وحدات لغوية بأنها حزمة من خواص السمات، مؤثرة فى النحو التوليدى . ولذا فقد أدخل كاز (Katz) هذه الفكرة فى النحو التوليدى الذى عرض معنى وحدات معجمية كذلك بوصفه حزمة من السمات (الفهومية) التى استنبطت من كم من سمات، عالمى.

أمثلة :

فونولوجياً

فى الألمانية / t /

صامت +
حركة −
انفجارى −
طرف اللسان +
أمامى +
صوت −
. .
. .

دلالياً

<Rüde> (كلب ذكر) فى الألمانية

مجرد −
حى +
انسانى −
ذكر +
. .
. .
. .
. .

* قد انتقل ياكوبسون تحت ضغوط الحرب إلى الولايات المتحدة ، وبالاشتراك مع علماء يعملون بأجهزة مثل الاسبكتروجراف (جهاز التحليل الطيفى) حلل التمييزات الأصلية Inherent لفونيمات اللغات كلها، إلى مجموعات مؤتلفة تصل إلى اثنتى عشر تقابلاً ثنائياً من الملامح الأكوستيكية، عرفت على أساس توزع الطاقة فى الترددات المختلفة (مكونات formants) فى موجاتها الصوتية، وليس فى علاقتها بنطقها بشكل مباشر. وفى هذا النمط من التحليل تعرض الأنظمة الفونولوجية فى مصفوفة من تقابلات الملامح، حيث تشترك الفونيمات فى أكثر من تقابل ثنائى واحد فى علاقتها بفونيمات اللغة الأخرى ... والتحليل الملمحى الذى تعتبر فيه الوحدات الجزئية من الناحية النظرية مجرد مجموعات من الملامح المميزة المتزامنة، قد قدم طريقة واحدة للربط الفونولوجى بين خرج output المكون النحوى والمنطوق المدون صوتياً فى القواعد التوليدية – التحويلية (ص ٣٥٩ من بعد) الموجز ص٣٢٨، ٣٢٩.

٣-١-٢ الوظيفية

فى النظريات التى طرحتها حلقة براغ فى المؤتمر الدولى الأول للعلماء السلافيين فى براغ ، والتى طبعت فى المجلد الأول من أعمال الحلقة <Travaux> : ، .... اللغة نظام من أدوات التعبير المخصص لهدف معين ، (ص٧) فاللغة لايمكن أن تكون إلا أداة تعبير، حين يوجد موضوع للتعبير، ولما كان الإنسان فقط موجوداً فإن اللغة هنا إذن يعاد ربطها ،بالشخص المتكلم، إذ كان دى سوسير قد فصلها عنه. ويشترط مفهوم الوسيلة أيضاً أن اللغة تخدم قصود الإنسان ومقاصده، أى أنها لهدف معين أو أنها غائية: * ، إن إنتاج النشاط الإنسانى، اللغة تحمل مع هذا النشاط خاصية الغائية ،ص٧. وربما لم ينكر دى سوسير كل هذا مطلقاً، ولكنه جادل فى أن البنية الداخلية للغة تتبع الأغراض التى استخدمها الإنسان لها . وعلى العكس من ذلك فقد عرض علماء براغ بصراحة مطلب أن اللغة لايمكن تفهمها ولاشرحها إلا من الأغراض التى تخدمها : ، ... لتحليل كل أدوات اللغة من منطلق المهام التى تؤديها... ، ياكوبسون ١٩٦٧، ص ٤٨٣). فعلم اللغة ، ينطلق من حاجات التعبير، ويتساءل بأى وسائل تؤدى حاجات التعبير هذه فى كل لغة ، (ماتسيوس ١٩٢٩، اقتبس من الترجمة الألمانية ١٩٧١ ص ٣).

٥٠

الآن ما هى – بشكل أكثر تجريداً – وظائف اللغة ؟ أورد عالم النفس من فيينا (النمساوى) ك . بولر (K.Bühler) أول نموذج وظيفة إلى حلقة براغ (١٩٣٤) (رجع المؤلف إلى طبعة ١٩٦٥) : اللغة أداة (ein organon)، يمكن بمساعدتها فى الفعل الكلامى : "

أ) أن يُخبر عن شئ ما حول الموضوعات (الوقائع) (وظيفة عرض) " Darstellungsfunktion "

ب) أن يُعبر عن شئ ما حول حال المتكلم (وظيفة تعبير) "Ausdrucksfunktion"

---

* استخدم المؤلف هنا مصطلحات مقاربة للغاية ، حاولت أن أنقلها كما أراد دون أن يشعر القارئ بالتكلف، وهى (Absichten) – قصود ، و (Intentionen) – مقاصد، و (finalistisch) – لهدف معين آخر الأمر ، (teleologisch) – غائية.

جـ) أن يُدفع السـامع إلى شئ مـعين (وظيـفـة مناشـدة (اسـتـدعـاء))*.
"Appellpunktion "

مثال ذلك :

فى الفعل الكلامى الذى أورد ص٢٤

أ) أخبر أن هناك عنكبوتاً.

ب) عبر عن أن المتكلم لديه نفور تجاه الحشرة.

جـ) دعى (نوشد) السامع إلى أبعاد الحشرة .

وقد تعرض نموذج الأوجانون (الأداة) ,Organonmodell فى حلقة براغ للنقد كثيراً (انظر هورالك Horálek ١٩٦٦، وهناك مراجع أخرى، وقد وسع ياكوبسون ١٩٦٠ النموذج إلى ستة وظائف)**.ومع ذلك فقد أقر له بفضل أنه قد

---

* اختلف الباحثون فى ترجمة مصطلحات نظرية الأورجانون ، انظر مثلاً د. عبد الفتاح البركاوى، مدخل إلى علم اللغة الحديث ص٣٠، وانظر كذلك محمود نحلة، علم اللغة النظامى ص ١٣٤ حيث يقول : اهتم بوظائف اللغة من وجهة نظر لاتعنى بالثقافة ، بل بالفرد، فميز بين ثلاث وظائف : تعبيرية ex-pressive تتجه إلى النفس أى أنها منوطة بالمتكلم، ونزوعية cónative وهى التى تتجه إلى المخاطب، وتمثيلية representational وهى التى تتجه إلى سائر الموجودات أى إلى غير المتكلم والمخاطب. ولايخفى على المدقق اختلاف مصطلحات الأصل عن المصطلحات الانجليزية وما يمكن أن ينجم عن ذلك.

** تلك الوظائف هى الوظيفة الشعرية وتتجه إلى الرسالة message، والوظيفية التعاملية transactional وتتجه إلى قناة الاتصال channel والوظيفة الماورائية أو الوظيفة metalinguistic وتتجه إلى الشفرة.

وهناك اقتراحات أخرى أسهم فيها عدد كبير من العلماء مثل يسبرسن وموريس وهاليداى، ولايتسع المقام للتفصيل، فأكتفى بإيضاح وجهة نظر الأخير :

لقد لحظ هاليداى سنة ١٩٦٨ أربعة مكونات وظيفية functional components أطلق عليها : المكون التجريبىexperiential والمكون المنطقى logical والمكون الخطابى discoursal والمكون الوظيفى speech functional أو المكون التبادلى interpersonal ، ثم أعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فضم المكونين التجريبى والمنطقى تحت مصطلح جامع هو الوظيفة الفكرية ideational وأعاد تسمية المكون الخطابى ليصبح الوظيفة النصية textual وأبقى على المكون التبادلى مطلقاً عليه الوظيفة التبادلية. ثم قدم تحليلاً للنصوص من خلال هذه الوظائف مستبدلاً بالوظيفة المعنى، لأن الوظيفة عنده هى المعنى فتحدث عن المعنى التجريبى والتبادلى والمنطقى والنصى : انظر : علم اللغة النظامى، د. محمود نحلة ص ١٣٧ ومابعدها وص٥٣.

عرضت بذلك بوجه عام وجهة النظر الوظيفية للمرة الأولى. وكان هناك فضلاً عن ذلك خلاف كبير حول أى وظائف موجودة فى كل فعل كلامى : ظن بولر أنه يجب أن ينظر إلى وظيفة العرض على أنها الوظيفة الأولى والضرورية دائماً؛ بينما يمكن أن توجد أيضاً الوظائف الأخرى بشكل اختيارى فقط. لن أستمر هنا فى تفصيل هذه المشكلة. ٥١

لقد كان اكتشافاً كبيراً لعلماء براغ أن أدوات (وسائل) اللغة "Instrumentalitäten" * ، أى بنيتها يمكن أن تختلف تبعاً للوظيفة. ففى الإنجليزية تسرى مثلاً قاعدة أن المرء يجب أن يشير إلى كل ماليس له جنس طبيعى بالضمير >it< ولكن فى وظيفة التعبير تسرى قاعدة أخرى : إذا أراد المتكلم أن يعبر عن كل شئ له منه موقف عاطفى إيجابى يمكن أن يشير إليه بالضمير >she< . فاللغة ليست نظاماً متجانساً بل نظام من أنظمة متعددة الوظائف (يعد تحليل ياكوبسون لنظام الفعل فى الروسية ١٩٣٢ واحداً من التحليلات الوظيفية الباهرة).

الآن يتعارض كل شئ مع تصوردى سوسير تعارضاً فظاً فى عدة نقاط:

١ - لايعاد ربط اللغة بالشخص المتكلم فحسب بل عبر وظيفة الاخبار أيضاً بالعالم الواقعى أى بما هو مادى.

٢ - ، ... اختيار العلامة التواصلية ليس اعتباطياً نظراً لوجوب أن تُصنع من عناصر مناسبة للغاية، أى من كيانات أكثر كفاية (تعبيرية) ، وواضحة وبسيطة، من أجل الوظيفة المتكلم عنها (ترنكا Trnka ١٩٦٦ ص ٣٦، إبراز الفعل).

٣ - حين يكون لشخص ما القصد فى أن يخبر عن هذا أو ذاك (أو يعبر عنه ... الخ) يجب أن يتخذ قراراته فى ذلك : فإذا أراد شخص ما مثلاً أن يتحدث عن منضدة فإنه يجب أن «يجرى العملية الغرضية بأن يضع من الموقع (الفارغ) فى iš

---

* يقابل فى الانجليزية مصطلح instrumentality، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرؤية، النظر إلى اللغة على أنها أداة أو وسيلة أو واسطة ... قد أسهمت فى تشكيل مذهب من مذاهب البراجماتية اللغوية المعاصرة، انظر ترجمتى لكتاب علم النص لفندايك.

- صوت (t) وليس (f) . وتعد هذه قرارات على المحور الجدولى (الصرفى)، وعلى العكس من ذلك على المستوى الأفقى (النحوى) نادراً ماتوجد مساحة لقرار قصدى، هنا يحدد أغلب النظام القاعدى للغة : فالمرء لايمكنه أن يحكم بين <ein وeine> فى الموقع (الفارغ) das ist - Tisch . وقد تبين فى المبحث الخاص بالفونولوجيا ، كيف تتحدد (هوية) الفونيمات من خلال منهج الاستبدال*. غير أن هذا تحديد محض جدولى (صرفى) ويجوز أن يحدد هذا الميل بالنسبة للمحور الجدولى من الفكرة الوظيفية للقصد التواصلى والقرار الذى لدى أو يتخذه متكلم ما.

٤ - جلبت وجهة النظر الوظيفية رؤية جديدة كلية للتعاقب "Diachronie"(انظر ١٩٢٩، ١٩٣١). ٥٢

وبالنسبة لعلماء براغ لاتتغير عناصر مفردة بل أنظمة كاملة، وتؤدى هذه التغيرات وظائف . ويمكن إيضاح ذلك بمثال (استناداً إلى كتاب هرليتس(Herrlitz) (١٩٧٠).

اتزان نظام فونولوجى

كان للألمانية الفصحى الوسطى ثلاث سلاسل وثيقة الصلة فونولوجياً للحركات الطويلة (بخصوص ارتفاع اللسان) ، وكذلك سلسلتان وثيقتا الصلة فونولوجياً للحركات المركبة.

(I)

i :	ü :	u :	ie	üe	uo
e :	ö :	o :	ei	öü	ou
ä :		a :			

* يحتل نهج الاستبدال (Substitutionsverfahren) فيما بعد فى المدرسة التوزيعية لزليج هاريس مكانة بالغة الأهمية فهو الأساس الثانى فى التحليل على المستوى الجدولى فى الأغلب ولكنه صار فى المدرسة التحويلية التوليدية قاعدة أساسية من قواعد التحويل التى تتحول من خلالها البنية العميقة إلى بنية سطحية.

ومنذ القرن الحادى عشر صارت الحركات المركبة / ie, üe, uo/ حركات مفردة /:i:, ü:, U/ . ومع ذلك لاتتطابق الأخيرة مع الحركات الطويلة القديمة فى السلسلة العليا، بل كانت أعمق قليلاً من تلك، إلى حد أنه قد نشأ نظام فونولوجى جديد ذو أربعة سلاسل وثيقة الصلة للحركات الطويلة، وسلسلة واحدة فقط للحركات المركبة :

(II)

i :	ü :	u :			
i̯ :	ü̯ :	u̯ :	ei	öü	ou
e :	ö :	o :			
ä :		a :			

يعد هذا النظام الآن غير مناسب بشكل واضح : فثمة تحميل زائد للسماح مع الحركات الطويلة وتحميل أدنى للسمات مع الحركات المركبة. ومنذ القرن الثالث عشر صارت الحركات الطويلة فى السلسلة العليا حركات مركبة /ei, öü, ou / تقع مع ذلك أعلى من الحركات المركبة القديمة المطابقة لها. ويمكن أن يفسر هذا التغير (الذى يعد ابتداءً تغيراً صوتياً) بأنه تأثر بنزوع النظام الفونولوجى إلى الاتزان. وينشأ من خلال هذا التغير الصوتى على وجه التحديد نظام فونولوجى يتماثل حسب بنيته مع النظام (I)، ويتحقق صوتياً خاصة على نحو آخر :

(II)

i̯ :	ü̯ :	u̯ :	ei̯	öü	ou̯
e :	ö :	o :	ei	öü	ou
ä :		a :			

وهكذا فمن المحتمل أن التغير من الأول إلى الثانى عرضياً وهداماً ، غير أن التغير من الثانى إلى الثالث مشروط نظامياً، ويؤدى وظيفة ، علاجية ، وهى إعادة إنشاء نظام مناسب.

ومن أجمل الأمثلة على وظيفية براغ تحليل الجمل تبعاً لمنظورها الوظيفى التواصلى. ولأسباب تتعلق بالمكان لايمكن أن نستمر فى تفصيل ذلك، ولكن على الأقل، لزم أن يذكر هنا للمرة الأولى مفهوم ، المعيار الوظيفى للجملة *، انظر دانش Danes ١٩٧٠، وهنا توجد مراجع أخرى) .

٣ - ١ - ٣ حدود الوظيفية

٥٣

يبدو أن المثال السابق لتفسير وظيفى لعملية تعاقبية يبين كيف تربط وجهة النظر الوظيفية بالنظامين البنيوية بعضها ببعض ربطاً منسجماً (تغيير النظام ووظيفة التغيير) . ومع التحليل الأكثر دقة ينتج شئ مغايراً كلية :

فقد فهم تحت الوظيفية بالفعل ربط اللغة بالواقع والإنسان المتواصل ، ولكن فى المثال يدور الأمر حول وظيفة محض نظامية داخلية (-innersystematische F.) وهو ماتشهد بوضوح مصطلحات مثل ،اتزان، تناسب، تناسق .. الخ ، التى استخدمت فى الأعمال المعينة، فالمرء يقارن أيضاً طريقة كلام تروبتسكوى عن وظيفة الأصوات فى البنية اللغوية. ويظل مارتينيه Martinet (١٩٥٥) أيضاً برغم تصريح متناقض – عند هذا المفهوم النظامى الداخلى للوظيفة : فهو يعمل عند إيضاح التغيير اللغوى بمفهوم الاقتصاد "Ökonomiebegriff" ** الخاص بنظرية المعلومات. ولكن مايجعل نظاماً ما اقتصادياً يحتاج أن يكون لمدة طويلة غير

---

* فى إطار هذا المنظور عدل عن النموذج التقليدى فى تحليل الجملة، وهو الذى قام على أساس منطقى فلسفى (يرجع إلى أرسطو)، الذى يبدأ تحليلها بتقسيمها إلى موضوع (مسند إليه) Subjekt، ومحمول (مسند) prädikat إلى تقسيم الجملة وفق الوظيفى إلى Thema (Bekanntes) أى الجزء المعروف من الجملة و Rhema (Neues) أى الجزء غير المعروف ، الجديد فيها، الحديث، الخبر ... وقد أثر هذا المفهوم البسيط (المعلومة المعروفة، والمعلومة الجديدة) فى مدارس لغوية كثيرة بل اتخذ منها أساساً للتحليل، من أهمها نظامية ها ليداى ونحو النص.

* * يؤكد مارتينيه على أهمية الاقتصاد فى استعمال فونيمات اللغة، حيث تشكل اللغة مجموعة كاملة من كلماتها بعدد محدود من الوحدات الصوتية، كذلك تعبر اللغة بهذه المجموعة عن كل المعانى والدلالات، ولوملك الإنسان صوتاً خاصاً أو صيحة معينة لكل مضمون أو لكل معنى لقلت إمكانات الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد بسبب أن ذاكرة الإنسان مهما اتسعت مداركها فإنها محدودة للغاية. المدخل إلى علم اللغة ، د.محمود جاد الرب ص ١٣١ .

اقتصادى من جانب استراتيجيات السلوك النفسية للانسان المتكلم. وليس من الواضح كذلك الوظيفة التى للاتزان والتناسب ... الخ فى نظام ما بالنسبة للإنسان المستخدم هذا النظام. وللوصول إلى إيضاح وظيفى حقاً للتغير اللغوى أو للغة بوجه عام يجب أن تقام هذه الإيضاحات على أساس بحوث ونتائج نفسية وخاصة بنظرية السلوك. تلك الخطوة لم يخطوها علماء براغ على الإطلاق، ويبدو لى واضحاً أن فهم الاستقلال المأخوذ عن دو سوسير هو المسؤول عن هذا التقييد ويلاحظ ترانكا Trnka فى قوله (١٩٦٦، ص٣٣) : « .. علم اللغة علم متجانس مستقل عن علم وظائف الأعضاء وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم الأخرى. » ويمكن أن يتضح لدى دانش Daneš (١٩٦٦) أن هذا الاستقلال لعلم اللغة يستنبط تارة أخرى من خاصية مفترضة للموضوع الحقيقى، أى اللغة : يناقش دانش كلا المفهومين « المحيط » و « المركز » فى اللغة، ويعنى بذلك أن أوجه الاطراد والحتميات اللغوية* لاتتبين دائماً بوضوح مميز إلا فى حالات معينة (المركز)، ويوجد دائما مقياس لحالات ذات وضوح متناقص حتى تصل إلى عدم إمكانية الفصل. (تناقض هذه الفكرة تناقضاً فظاً المدارس البنيوية الأخرى، التى يسرى عليها دائماً مبدأ كل شئ أو لاشئ (all - or - none Prinzip) : فالشئ اللغوى س له أو ليس له الخاصية خ، وهذا لايمكن الفصل فيه دائماً) . ويرفض دانش إرجاع هذا الانحدار من المركز إلى المحيط إلى أوجه اطراد فى السلوك لايمكن الكشف عنها إحصائياً ، ويدلل على ذلك، متابعاً مارتينيه : « ... على اللغوى ألايقرر فى تلك الحالات ما الذى ترك منها بلا فصل **من اللغة ذاتها** ... » (ص١٧ الإبراز من المؤلف). ٥٤

وتجعل فقرة أخرى الأمر أكثر وضوحاً « يجب أن يسأل عما جعلنا نصوغ مثل تلك المعايير المعقدة ... والإجابة هى أن تلك الصياغات قد حض عليها **واقع اللغة** » (ص١٧ الإبراز من المؤلف) .

* يعد الفرق بين مصطلحى Regularitäten (أوجه الاطراد، أوجه الانتظام، اللاشذوذ، النظامية، القياسية...) و GesetzmäBigkeiten (الحتمية، الالتزام بالقواعد، عدم انتهاك القواعد، وأوجه الموافقة القانونية ...) فرقاً طفيفاً، ولذا يمكن أن يتبادل هذا المصطلحان دون أن يؤثر ذلك بأية حال على الدقة اللازمة للتعبير عن المصطلح اللغوى.

وهكذا لم ينجح علماء براغ فى تجاوز ظلال دى سوسير الافتراضية والبنيوية٤). على الرغم من أنهم طالبوا بهذا على وجه التحديد فى تصريحاتهم عن برامجهم . وربما كان هذا التناقض هو الذى حال دون وصول علماء براغ إلى نظرية ملزمة وشكلية وواضحة. وفى الحقيقة لذلك مزاياه أيضاً : فقد مكن التجاهل المعزوف عنه لتناقضهم، علماء براغ باستمرار من بحوث مفصلة غير نظامية فى الواقع ولكنها محفزة بشكل عادى حول قضايا تضمين اللغة فى النظام الاجتماعى للجماعة اللغوية*. وقد تنوولت باستمرار مشكلات مثل لغة الكتابة والأسلوب والاثنولوجيا، والشعر، وتدريس اللغة ومشكلات كثيرة أخرى يمكن أن تذكر ، أى كل القضايا التى ظلت مستبعدة فى البنيوية الصارمة بوصفها ، خارج علم اللغة ،. ويقدم الكتابين المذكورين فيما سبق بـ ، Readers ، صورة مؤثرة.

٣ - ٢ ل. فايسجربر

(لفولكر هيشن)

ينبغى أن يكون عرض المفاهيم الرئيسة ونقدها فى نظريات فايسجربر فى علم اللغة هيناً، لأن هذه المفاهيم يجب ألا يكون قد استقيت مفسرة من مؤلفات ابتداءً كما هى لدى بعض العمليين الخلص، بل إنها قد طرحها بوضوح فايسجربر بكل تضميناتها الفلسفية واختبرها، حتى أن الاعتبارات النظرية تشكل جزءاً كبيراً من مؤلف فايسجربر، ولكن قد نجم عن ذلك الصعوبة الأولى للمحكم النقدى. بحث فايسجربر إذن بمثل هذا القدر موجه إلى مشكلة أنه يُظَن كثيراً أنه يمكن التنازل إلى حد بعيد عن تصور الحقائق والنهج الاستدلالى. ولم يقدم فايسجربر لنا نحواً جديداً للألمانية ولاكتاباً تعليمياً فى علم اللغة. لقد قدم حالات نموذجية لكيف ينبغى أن يبدو عرض مناسب للألمانية، ولكنها هى ذاتها ليس كثيرة جداً. ومن النشريات ٥٥

* تجدر الإشارة هنا إلى مهاجمة فيرث فيما بعد للغويين وعلماء الاجتماع لأنهم لم يحاولوا الربط بين وصف الوحدات الثقافية والاجتماعية، وأشار فى أثناء هجوم على النظريات الشكلية التى تورد اللغة نظاماً ذاتياً مستقلاً إلى أنها عاجزة عن الربط بين اللغة والسياقين الثقافى والاجتماعى اللذين تستخدم فيهما اللغة، ولايكون ذلك ممكناً إلا عد السلوك اللغوى شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعى.

الأولى حتى النشريات المتأخرة يقابلنا باستمرار الحالات ذاتها ، وذلك لتصوير ما مجال الكلمة أو مجال صفات الألوان أو مجال أسماء القرابة. توجد مجالات كاملة من النظرة اللغوية، المتعلقة بتأثيرها (انظر مايلى) إذ يعلل فايسجربر بالتفصيل موقعها النظرى وقيمتها، غير أنه بالنسبة لها لم يجد بدأ بالنظر إلى المسائل العملية من أن يوضح أنه مع الوضع الحالى للبحث لايوجد بعد الكثير ليقال (قارن : فايسجربر ١٩٦٣، ص ١٨٢ ومابعدها)* ذلك أجدر بالملاحظة من ألا يعرض المدخل إلى نظرة لغوية متعلقة بالتأثير مهمة أقرت من كل اللغويين، بل لم يرغب فيها إلا فايسجربر نفسه. وتصير أولية النظرية فوق ذلك واضحة. وربما يكمن تخوف المنظرين من الصعود، فى الحقائق ، على نحوما صاغها جلنتس، فى عبارة فايسجربر ، هيبة بن حجم اللغة ، (جلنتس ١٩٦٧، ص ٨٢)، لاتزال من خلال نظر فى النشاطات الكلامية والنصوص المفردة، بل فقط من خلال نظرة فى جوهر ظاهرة اللغة على الإطلاق ملزمة كذلك لكل الأفراد.

أما الصعوبة الثانية فتنتج عن رجوع (إرجاع) مسائل علم اللغة إلى مشكلات الفلسفة ، وكذلك عن المكانة التى يؤمل فايسجربر أن يستطيع أن يضمنها فى تاريخ علم اللغة. وتظهر تلك المشكلات حيث يقر أن اللغة بوجه عام شرطاً لكل معرفة، أى كل ما ينبغى أن يكون معرفة موضوعية، حين يسبق تشكيلها من اللغة، بحسب الصيرورة التاريخية المحددة لهذه اللغة تبدو متحدثة بشكل فردى أو حتى محرفة، فنظرية المعرفة التى أدخلتها اللغة فى إشكالتها ، يجب فى الوقت نفسه أن تكون على وعى بأنه ليست اللغة عامة، بل اللغة المفردة (اللسان) الحقيقية ، الموجود تاريخياً فقط هى التى تعد شرطاً للمعرفة، بحيث يعزى من خلال ذلك إلى علم اللغة دور المفتاح فى كل مكان، حيث يُتَّبع تكوين معرفة إنسانية. من ذلك استنبط برنامج فايسجربر لعلم اللغة المقارن، الذى يؤمل أن يضفى عليه الوقار الذى كنه له مؤسسه، فيلهلم فون هومبولت (W. von Humboldt).

---

* يتفق الباحثون على فكرة القيمة أيضاً التى لها أثر كبير فى البحث الفونولوجى لدى علماء براغ، فهى التى أوحت بفكرة المجال الدلالى التى تعد بمثابة نظرة دلالية وصفية وفق مبادئ دى سوسير أو أسس لوضع تحديد وصفى بنيوى، وأسهم علم اللغة الألمانى بنصيب الأسد فى تطوير هذا النظرية وبخاصة لدى كل من ابسن ١٩٢٤ وبورزيج ١٩٣٤ وبوست ترير ١٩٣٤، وفايسجربر ١٩٣٦ وغيرهم.

بيـد أن تلك المكانة تتسم بأن فـايسـجـرير يرجع بشكل صريح إلى الفلسـفـة اللغوية لهو مبولت، وبذلك بشكل ضمنى إلى الصياغة المثالية للفلسفية اللغوية، وبينما تعد الإشارات إلى هومبولت فى مؤلَّف فايسجرير كثيرة جداً وسواء استخدمت لإثبات آرائه الخاصة له أو زعمت الصحة التى لاشك فيها لفرض مـا فإنه يغيب الوعى بالصياغة الخاصة التى أراد هومبولت أن يضفيها على الفلسفة اللغوية. وبذلك يمكن أن يفـتـرض أن شروط فـايسـجـرير المثـالية للأفكار الفلسـفـيـة حـول علم اللغة ظلت لاانعكاس لها إلى حد ما.

٥٦

فالعلاقات بين اللغة والتفكير من جهة واللغة والشعب الذى يتحدثها من جهة أخرى تبدو غير واضحة ومميزة إلى حد أنه فى كل مكان بشكل متساو، حيث يكون الحديث عن صورة العالم التى أودعت اللغة أو عن الطبيعة الخاصة للمعرفة التى تنميها هذه اللغة أو تلك، يجوز أن يقر استمراراً فى أوجه طرح المشكلة*.

ويعرف فايسجرير اللغة بأنها صورة اجتماعية للمعرفة (فايسجرير ١٩٢٩)، ص٢٧) منحازاً فى البداية إلى تعبير ا . كاسيرر وفى وقت لاحق يتحدث، راجعاً إلى هو مبولت، عن صورة العالم فى اللغة الأم**. اللغة تراث ثقافىَ ، وتعد فى حد ذاتها

---

* ويعنى ذلك بلاشك وضع أساس فرضية وورف الخاص بالحتمية اللغوية أى ان اللغة هى التى تتحكم فى تفكيرنا كله وتهمن على رؤيتنا للعالم وتحدد طريقة إدراكنا وسلوكنا دون وعى منا، موضع التساؤل أيضاً. انظر تفصيل ذلك فى كتاب د. محيى الدين محسب : اللغة والفكر والعالم، دراسة فى النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقيق، لونجمان ١٩٩٧.

** يقول د. محسب حول أهم مبادئ هومبولت التى أثرت فى الفكر اللغوى الحديث : ولعل أهم هذه المبادئ تأكيد هو مبولت فردية كل لغة إنسانية، سواء فى شكلها البنائى أو محتواها الثقافى. ولقد كان التعبير الواضح عن محصلة دراساته فى التنوعات اللغوية ورصد تباين الرؤى الثقافية تأكيده أن «لغة كل شعب روحه، وأن روح كل شعب هى لغته» (أشرت فيما سبق إلى تأثير هذه المقولة فى النحاة الجدد) ، وكذلك أن «اللغة هى المظهر الذى يكشف عن عقل الأمة، فاللغة هى عقلها، وعقلها هو لغتها». ومن خلال هذا المنطلق يربط هومبولت بين خصوصية التفكير والإدراك وخصوصية اللغة، وذلك لأن «التفكير والإدراك لايمكن أن يتحددا وأن يتسما بقابلية التوصيل إلا من خلال اللغة . من ثم فاللغة والتفكير لايقبلان الانفصال، وليسا مستقلين». وإذا كان الأمر كذلك فإن «الاختلافات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتية ، بل إنها تنطوى على اختلافات فى تفسير العالم وفهمه من قبل المتكلمين بكل لغة» ، الكتاب السابق ص ١٠.

مثل أوجه التراث الثقافية الأخرى تكويناً موضوعياً اجتماعياً – ويذكر فايسجربر نفسه صلة هذا التعريف بالواقعة الاجتماعية لدى سوسير ودور كايم (قارن فايسجربر ١٩٦٤، ص ٣١١ ومابعدها). ويؤكد بتعبير «شكل اجتماعي للمعرفة» على أمرين : «الأول، أن ماهو مهم فى الظواهر المرتبطة باللغة يقع فى مجال ماهو اجتماعى، ينقل إلى أبسط صياغة وهى : أن ماهو لغوى ؛ أى مانسمعه ونعيشه لحظة الكلام، ليس ماهو جوهرى، «ظاهرة عابرة لإرث لغوى، وليس ذلك أيضاً أساسياً، بل إنه صياغة لإرث موحد بين مجموعة إنسانية كاملة، أى للغة الجماعة اللغوية المعينة. هذا التتابع «للحقائق» اللغوية ينتج عما نُفِّذ (فُصِّل) حتى الآن بشكل مباشر.» (فايسجربر ١٩٦٤، ص٣٠٣).

فاللغة إذن لاتستخدم فقط وسيلة للتعبير وللتواصل، إنها تخلق بوجه خاص للمرة الأولى الشروط المعرفية لما يمكن أن يبلغ بوجه عام وكيف يبلغ.

ومع تعليل هذا الإرث اللغوى المنظم للأفراد مقدماً، المختلف حسب «اللغة الأم» يتجاوزه فايسجربر إلى موضوع – صورة العالم. فاللغات تصور الحقيقة التى تعيش فيها الشعوب، محيط العالم الذى نخبره بالمعانى، بصورة غير صادقة، فربما لم تكن الحقيقية الأساسية للاختلاف اللغوى بالفعل سوى تتابع من محصلات **٥٧** صوتية مختلفة. فالحقيقة تتبدل لغوياً وتحور ذاتياً : إن الشعوب المختلفة قد قسمت السماء المزينة بالنجوم على نحو مختلف تبعاً لصور النجوم وزُوِّدت بأسماء ونُقلت إلى اللغة على هذا النحو، فصورة نجم الجوزاء ليست شيئاً موجوداً – حقيقة إنه شئ عقلى، بقدر ماينقل اجتماع متناثر للنجوم، موجود – حقيقة إلى نظام مُقَرَّب ضرورة إلى العقل الإنسانى، ويجعل ماهى حقيقى إنسانياً، إذ إن بين العالم الخارجى الحقيقى والعالم الداخلى للتبصر الانسانى» (فايسجربر ١٩٦٢، ص٤٩)يتحرك «عالم بينى عقلى، أُسِّس نتيجة للتطابق بين شروط طبيعية وعمل إنسانى للعقل صورة ذهنية من عالم النجوم». (١٩٦٢، ص٤٩) . فالإنسان يحدد موضوعات عقله، ترتب الحقائق وفق قواعد العقل وتقوم وتحدد مفاهيمها. ولايمكن أن يتصور ذلك العالم البينى العقلى بين الموجود (الكائن) والموجود المدرك بدون لغة، فهذه (أى اللغة) أولا

تخلق للعالم البينى العقلى المفترض وجوداً حقيقياً فى ا لجماعات التاريخية المؤثرة التى تشغل من بينها الجماعات اللغوية مكانة متميزة. وتقترب الآن نتيجة العوالم البينية العقلية من المشكلة على نحو متباين. ويختبر فايسجربر حجة على ذلك، يلاحظ من خلالها كيف تقسم اللغات الأم بشكل مختلف ألفاظ الألوان أو كيف شُكِّل مجال أسماء القرابة (قارن ١٩٦٢، ص ٦٣ وما بعدها). إن الصورة التى تكونها الشعوب عن العالم تختلف من لغة إلى لغة*. ويجب أن يكمن السبب الحقيقى للاختلاف تبعاً لذلك فى العقل الذى لايمكن بدوره أن يبوح بشئ إلا من خلال اللغة : إن الإرث اللغوى للجماعة الملزم لكل متكلم مفرد بشكل محتم، الذى بدا ابتداء غير ذاتى، يجد حامله ضرورةً فى افتراض عقل عام. ولكن نادراً ماتفكر فايسجربر فى تلك الدائرة الجدلية وهذه النتيجة. وتحول سيطرة العقل دون رؤية ماتضمنته فكرة – صورة العالم منذ القدم وهى أن اللغة لاتعبر وحدها عن رؤية عقلية للعالم بعيدة عن الواقع ، بل إنها تعكس أيضاً كل ما هو واقعى، صراع الإنسان مع الطبيعة فى أثناء عملية العمل الاجتماعى (قارن جيبرGipper ١٩٧٢ وشاف Schaff ١٩٦٤).

إن اللغة بوصفها تراثاً ثقافياً ليست مناسبة لنظرة استاتيكية، تستوعب بناء صورة اللغة الأم للعالم وتنجز حصر الثروة (المادة) اللغوية وتحليلها. ، ولايدرك الإرث الجماعى (المشترك) للمجموعات من خلال وجهة نظر خاصة، ›بالحصيلة ‹ (تراث/ مادة ثقافية وتكوين موضوعى اجتماعى وغيرها) إدراكاً مناسباً. بل على الأرجح يضاف إليه صورة أخرى للوجود (Daseinform = Existenz**) تقترب ٥٨

* وممالاشك فيه أن رؤية همبولت عن التمايز البنيوى بين اللغات الذى يعكس تمايزها الثقافى ›رؤية العالم "Weltanschauung" ‹ قد أثرت فى نهج فايسجربر تأثيراً عميقاً ، بل إن هذا التأثير قد امتد إلى الأنثربولوجيا الأمريكية وبخاصة كل من مبدأى الحتمية اللغوية، الذى تلخص عبارة ›اللغة تحدد التفكير‹ والنسبية اللغوية التى تلخصها عبارة ›كل لغة تجد رؤية كونية متميزة‹، السابق ٢٩ خاصة.

** يستخدم فايسجربر هنا مجموعة من المصطلحات الخاصة التى تحتاج إلى معجم خاص، مثل Sprach-besitz (إرث لغوى) و Sprachgut تراث لغوى (مادة لغوية)، و Kulturgut و (تراث ثقافى)، و Weltbild (صورة العالم)، و Erscheiungsform (ظاهرة، مظهر)، و Erkenntnisform (شكل/صورة معرفية)، و Innenwelt (عالم داخلى) و Zwischenwelt (عالم بينى) و Gemeinbesitz (إرث جماعى / مشترك) ..الخ

اقتـرابا شـديداً من فكرة › تأثيـر ‹ إظهـار القـوى ›. (فـايسجـربر ١٩٦٧، ص١٥) . ولايكفى الدرس النحوى الاستـاتيكى للبـاحثين اللغويين، إذ يجب أن تعقبـه نظرة نشطة (مفعمة بالطاقة energetisch) لأن حقيقة لغة ما ليس وجودها، بل تأثيرها، إظهار طـاقتها، إنجازها، وقد استند فايسجربر فى ذلك إلى هومبولت. فاللغة بالنسبة له ليست عملاً ثابتاً (Ergon) بل طاقة حيوية (Energeia) ، ليست أداة (Werk) ، بل إنجاز (Verrichtung)* ، وهو مـايعرف من الشكل الاجتماعى للغة : › ... إن كماً ما مـثل اللغة الألمانية ليس نتيجة يمكن إبرازها، بل هو إنجاز مستمر،حسب جوهرها إظهار متواصل من حيوية، يثبت تأثيرها سريان اللغة الألمانية فى الجماعة اللغوية الألمانية › (١٩٦٧، ص١٦) . وخلافاً للحال مع العقل الذى زعم إنجاز تغيير لغوى للعالم وأجبر المرء على افتراضه، استطاع فايسجربر أن يعين الموضوع الحامل › لذلك الإنجـاز المستمـر› – من خـلال امتـداد إلى نموذج التـفكيـر الذى تحـدث من خلاله القرن الثامن عشر المهاب عن طاقة (قوة) حياتية عامة : هى الطاقة (القوة) اللغوية (Sprachkraft) – وهو مصطلح ، كما يبدو لنا لم يوضح إلا قليلاً، لأنه وضع بشكل غـيـر جـدلى فى بداية عـمليـة، ومن الواضح أنه لايفـهم بشكل أفـضل إلا فى صيرورته. ويمكن باستمرار أن يستخدم مفهوم الطاقة اللغوية فى لفت الانتباه إلى المتكلم المفرد بوصفه الحامل الحقيقى لتاريخ اللغة لو لم يحرم الفرد مرة أخرى من الطاقة (القوة) وأضيفت إلى الموضوع المتعالى للجماعة. › صورة الوجود للغة ماهى صورة الالتزام القائم فى جماعة لغوية، ولاتلاحظ تلك (الصورة) إلا حين يتحـول النشاط الكلى للجماعة باستمرار إلى التزام للمبدعين.› (١٩٦٧) ص١٦.

ويحدد هذا فى ›قانون البشرية للغة ‹ بشكل أبعد مـايكون عن سوء الفهم بأن التمكن عبر اللغة الأم يعد أساس التمكن من اللغة الأعم (ص١٤٥) . فالذى يجب أن يفـترض قسوة المبـدأ الذى وضعـه الإنسـان هو الذى يخـرج القدرة على الكلام من

---

* يجمع هذان المصطلحان فى مصطلح يرجع إلى القرن السادس عشر وِ Ergostat المكون من الكلمة اليونانية Ergon – Arbeit, Werk داة، عمل) +states – Vorrichtung / Verrichtung يستخدم فى ضبط أو إمساك أو إحكام شئ ما. أما كلمةِ Energeia ، فتعنى طاقة، حيوية، نشاط، قوة، حيوية متدفقة، حيوية متوثبة ويمكن أن تقابل الكلمة التى استعملها فايسجربر أيضاً وهى Spannkraft.

الإنسان، وينقل مفهوم القدرة أخيراً إلى اللغة ذاتها. ويتصور فايسجربر ذلك الإنجاز المستمر بأنه الإنجاز اللغوى لحقيقة حياتية وفى اصطلاحاته الحيوية فى علم اللغة ٥٩ الخاص به، بأنه تحويل إلى مفردات العالم. فكل «تحويل إلى مفردات هو عمل عقلى وهو تحويل لما هو حقيقى»، نقل الكائن «الموجود» إلى كينونة لغوية من أجل الإنسان. (فايسجربر) ١٩٦٧، ص١٧)* ويطلق فايسجربر على ذلك الفعل «Zugriff» (ضبط، إمساك)، ويعد بحث أوجه الضبط اللغوى الهدف الأسمى لعلم اللغة الحيوى الحقيقى. ويطابق الضبط اللغوى لجزء من الكائن، أى مجال الألوان الظاهرة للعين، فى اللغة طريقة علم (إجراء) أو صيغة عمل. فالألون يمكن أن تدرك إدراكاً وصفياً أو فعلياً، يمكن أن تتحول بتجريدها عن الأشياء التى يبدو أنها ملتصقة بها أو فى ائتلاف مستمر مع هذه الأشياء أيضاً، إلى مفردات. (مثال ذلك «Kornblu-menblau» زهر أزرق اللون، تُرُ نشاه). ففى كل حال يقرر نوع الضبط نشاط الجماعة اللغوية. وسواء أكان استاتيكياً بمعنى تقديم بسيط أو كان حيوياً بمعنى (Forma Fomans) تشكيل مكون، ففى كل حال لايمكن أن يفسر نشاط المتكلم إلا إما من اللغة بوصفها نظاماً أو من اللغة بوصفها قوة مؤثرة (فاعِلة).

الآن يمكن وصف البحث اللغوى لدى فايسجربر من جهات عدة. فكرته عن صورة العالم لاتتقبل الطرائق النقدية اللغوية وبخاصة أصحاب المذهب الاسمى Nominalisten ** الانجليزى. فهى لاتكمل الأفكار وبخاصة أفكار عصر التنوير، حيث تصور اللغة ببساطة تبعاً لها على أنها التاريخ الظاهرى والأنشطة العقلية لأمة ما.

---

* ومن مصطلحات المهمة هنا أيضاً: immerwahrer Vollzug (إنجاز مستمر)، die Kraftzusprechen = Sprachkraft القدرة اللغوية (على الكلام)، transzendenter Subjekt, (موضوع متعال، متسام، استعلائى استشرافى...) Verbindlichkeit, (الالتزام)، Umgestalten = Umformen = Umsehaffen, (تحويل)، و Zugriff (قبض، إمساك، ضبط، إحكام...) gewortet = das Worten, werden (تحويل (الأشياء) إلى مفردات)، forma formans تشكيل مكون (مقطع اشتقاقى سابقة، لاحقة، حشو)...

** أى أصحاب المذهب الفلسفى المعروف بالاسمى nominalism، الذى يقول بأن المفاهيم المجردة أو الكليات، ليس لها وجود حقيقى. وأنها مجرد أسماء ليس غير.

يجب على فايسجربر أن يؤكد ذاته من خلال طريقته فى الرجوع إلى هردر* الذى عمق فى الحقيقة الطرائق الاسمية كثيرا وإلى هومبولت فى سلسلة الطرائق التى عرضت التى حاولت نقداً لنقد حول نقد كانط للعقل المحض، إذ إنه لما كان كل ماهو تفكير يجرى فى مسارات اللغة فإنه يجب أن يكون من المحتمل أنه قد أفيد من لغة الإشكالية الأساسية الفلسفية.

وعلى الرغم من تلك الأسبقية النقدية فإنه يبدو أن فايسجربر، بسبب افتراض - لم يؤكد بأية حال من جهة نظرية المعرفة - وجود عالم بينى لغوى،أى، عالم خارجى مستقل عن الذات أيضاً، يقع فى إرث الاعتقاد الألمانى المتناقل الخاص بالكلمة ، الذى ، إذ يعد حافلاً بتناول ملحوظ من جهة نظرية المعرفة، كشف للإنسان بواسطة اللغة مدخلاً مناسباً إلى الحقيقة، وليس إلى حد ما لأن اللغة صورة جيدة للعالم، بل لأنها انعكاس لما يفكر به الإنسان ويشعر. وهو تعبير صادق لعالمية منعكسة فى الذات (قارن Parain بريان ١٩٤٢، ص١٣٦ ومابعدها).

٦٠

وتزعم فكرة فايسجربر عن صورة العالم تطابقاً غامضاً بين اللغة والتفكير. وهى تؤكد على الأقل الارتباط اللغوى بالتفكير دون إمكان التغلغل حقيقة إلى النظرة العميقة الجدلية لهومبولت التى تؤكد تبعاً لها شكلية اللغة حرية استخدامها ليس غير. - وتقاسمت بديهية التوازى هذه طموحات فايسجربر التى من الأفضل أن تجمع فى الوقت الحاضر تحت مفهوم علم اللغة العرقى، ومن الأجدر أن تثبت نتائجها للاختبار التجريبى. وبينما جعل هومبولت اللغة تعثر على أصل (أساس) تحديدها فى الفرد. وأقر لهذا الفرد بكل قوة عبرها، أسكن فايسجربر قوة صياغة الأنشطة الكلامية الفردية فى اللغة ذاتها. ويدرك هومبولت التعريف الحيوى للغة، الذى لايسرى تبعاً له إلا فى حياة اللغة وهو مايشكل إعادة خلق، وهو موجود فى المرحلة الأولى من البناء

---

* أكد هردر أن «الروح الإنسانية تفكر بالكلمات، وأننا « باللغة نتعلم التفكير»، ومن ثم فإننا إذا أردنا تحليل الفكر، فليس من وسيلة إلا تحليل اللغة... وتؤكد عبارة «إن الأمة تفصح عن روحها فى الكلمات التى تستعملها، ذلك الطابع الذى وسم التفكير المثالى الرومانسى الذى ينطلق من فكرة «الروح»، وهو الطابع نفسه المتردد لدى المثالى الرومانسى الآخر: فيلهلم فون هومبولت. د. محسب الكتاب السابق ص٨،٩.

اللغوى، وهو موجود فى الاستعمال اللغوى للفلسفة والشعر، على مثالى حقاً، سواء على نحو طريقة كانط أو فشته Fichte، ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعريف الجينى، الذى توصل تبعاً له وحده إلى تفسير الكيفية التى ينشأ بها نشاط معرفى - وكلامى مفرد. وعلى العكس من ذلك وجب على فايسجربر بعد استبعد المتكلم عن اللغة، وكذلك القوة التى زوده بها هومبولت، أن يضفى على اللغة العموم غير الذاتى حتى يظفر لنفسه بثنائية - الأداة - والطاقة الحيوية. وتوجد الخطوة ذاتها، نقل المبدأ الذى يقتضى النشاط الكلامى من الإنسان إلى اللغة، أيضاً فى تحويل «رؤية العالم» لدى هومبولت إلى فكرة - صورة العالم . يرى هومبولت الإنتاجية المبدعة للذات التى تسير فى إطار قيود من حسيتها بينما يهدف فايسجربر إلى الرجوع الذى يقتضيه الإنتاج المنجز إلى الذات. فرؤية العالم تجيز للذات الإنتاجية ، وصورة العالم تسن معيارها، ومرة أخرى التلقائية المنسابة فى الموضوعية Objektivität . إن « رؤية العالم» لاتعنى بادى الأمر شيئاً آخر غير أن الإنسان قد اكتسب بشكل جلى صورة من بيئته، تعبر منقولة إلى اللغة عن شئين : موقف محدد موضوعياً، والطبيعة الخاصة للفرد الذى يتخذ هذا الموقف. وبينما يفقد هذا التحول النظرة القائلة بأن اللغات تودع رؤيتها للعالم السارية على الأشياء والمشاعر فى الثروة اللغوية وحدها، بينما عبرت رؤية هومبولت النحوية* عن التفسير الذاتى والتحقيق الصوتى للقوانين المؤسسة موضوعياً كل أوجه الخطاب. ولكن النحو بالتحديد فى الوقت الحاضر قد أضيف إلى مايشكل خصوصية صورة العالم فى اللغة الأم. ٦١

ويبدو أن تحويل تراث الأفكار لهومبولت قد حمل بطموح عام لعلم اللغة إلى

---

* أهم مايؤكده همبولت أن اللغة إنما هى «عمل العقل» . ولما كانت اللغة هى عمل العقل فإن هناك دائماً «عوامل تكمن تحتها. أى ليست على السطح، وهو ماأوضحه تحت ماأسماه «شكل اللغة»، فيقول إن هناك شكلاً خارجياً (آليا)، وشكلاً داخلياً (عضوياً) ، والشكل الداخلى العضوى هو الأهم، لأنه يتطور من الداخل ، وهو الأساس فى كل شئ أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح ، إننا لاينبغى أن ننظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الظواهر المنفصلة، كالكلمات والأصوات وكلام الأشخاص ، ولكن باعتبارها نظاماً عضوياً ، تتداخل فيه كل الأجزاء ويؤدى فيه كل جزء دوره وفقاً للعمليات «التوليدية» التى تكون البنية العميقة. د. عبده الراجحى، النحو العربى والدرس الحديث ص١٢٤، ١٢٥ .

خلق مجال موضوعى فطرى خاص فى اللغة متحرر من كل الأوجه العارضة التاريخية. أما كيف يمكن أن تصير لغة الأم بوصفها صورة للعالم وبوصفها قوة فاعلة موضوع البحث فيجب أن يعرض الآن بالتفصيل.

وضع فايسجربر بنقد علم الدلالة التقليدى أفكاراً منهجية،وفى تحديدى لهذه الأفكار أحاول أن أحدد ذلك الطموح لدى فايسجربر، وأن أنقل تصوراً لنظرية الموحدة أيضاً، التى تتألف من طرق نظر استاتيكية، متعلقة بالصوت والمضمون، وطرق نظر حيوية، خاصة بالإنجاز والتأثير. - ينطلق فايسجربر من نموذج دى سوسير الاعتباطى للعلامة. وكما يوجد الدال فى الأصوات مجالاً مستقلاً للبحث، يجب أيضاً أن يصير المدلول (عليه) موضوع بحث، يتشكل حسب الأوجه القانونية الخاصة به، حيث يجوز أن يرجع فى ذلك ليس إلى التحقيق الصوتى باستمرار، ولاتبعاً لعلم العالم البينى العقلى إلى الشئ ذاته، طالما لزم أن تكون هذه الأوجه متاحة بوجه عام حسب الشرط الصارم لهذا العلم، بل إلى المتكلم المفرد. وينبثق عن ذلك بالنسبة لفايسجربر محاور ثلاثة لنقد علم الدلالة:

١ - قد اشتغل علم الدلالة الحالى كله بما يتعلق بالصوت. فالشكل الألفبائى للمعجمات الموضحة بلغة أحادية تبوح بمبدأ التعلق بالصوت. ماذا تعنى كلمة ما، قد لاتستطيع أن تصوره إلا من خلال تعريف أو مجموعة من الأمثلة. ويؤثر علم الدلالة قبل أى شئ أن يدرك المعنى بوصفه وظيفة للعلامة اللغوية فقط. لقد فعل ذلك، أكثر من أن يبرز مجرد التتابع الصوتى المعنى أو المدلول (عليه)، الشئ ذاته، بالتحديد فى التصور، مالفرض الذى يشمل النظر فى الحقيقة الجوهرية للعالم البينى العقلى الذى يتحرك بين الصوت والشئ.

٦٢

٢ - من المستحيل أن يوصف الشئ ذاته أو يقدم للأسباب ذاتها، لأن الشئ لايقدم الكلمة، بل إدراك الجماعة اللغوية له. فكلمة "Unkraut"(عشب) لايمكن أن تكون هى الواقع، ففى الطبيعة لايوجد عشب، لايوجد الشئ، ولكن ربما يوجد إدراك معين لأشياء محددة، أشياء عقلية تجيز أن يطلق ذلك على أفكار محددة عن النباتات حسب خبرات الانسان الذى يسبر الواقع.

٣ - بحث الدلالة ، حيث تدرس نشاطات كلامية مفردة. يعنى الميل إلى المذهب النفسى ونسيان تقدم النظام اللغوى على الكلام الفعلى.

« مايننتج إنجازاً مفرداً فى النشاط الكلامى لايمكن أن ينظر إليه على أنه عامل لسريان كلمة ما فى اللغة. فالتفكير بدقة فى العلاقة بين اللغة والاستعمال اللغوى أمر مؤكد، ولكن من يرد أن يستنبط محتويات اللغة من أحداث الكلام، ربما يحول (يقلب) سلسلة الأسباب التى يكون وجود لغة ماتبعاً لها شرطاً لكل كلا » (فايسجربر ١٩٦٢، ص١٤٩).

وما قيل هنا بالنظر إلى الثروة اللغوية، يسرى على علم النحو أيضاً: « ... إن موضوعات بحث اللغة الألمانية هى بالفعل ليست الجمل المنطوقة المفردة مع تقديمها لمعنى أحداث آنذاك، بل هى الأشكال الأساسية لبناء الجملة المقدمة فى اللغة الألمانية فى حد ذاتها مع أشكال المعنى المشكلة والممكنة من إنجاز ذهنى لأحداث معينة. ولايجوز أن يشك فى أن تلك › النماذج‹ للجملة فى اللغة الألمانية واقعية (حقيقية) ، لأنها تشكل الأساس الذى لايستغنى عنه لكل صياغة وتلق لكلام ألمانى لدى الأفراد» (١٩٦٢، ص٢٧٧)*. ويحدد فايسجربر مفهوم المضمون اللغوى من الناحية المنهجية المحضة بالنظر إلى حقيقة العالم البينى العقلى وجزء فى نموذج العلاقة بين المدلول (عليه) والدال: فبحث المضمون اللغوى يصور حسب طريقة نظر صوتية، متعلقة بالصوت أُولى ، الموضوعات العقلية « للعالم البينى اللغوى، يشكلها بوعى ، يكتشف التكوين، راجعاً كثيراً إلى أنحاء غير كافية لباحثين آخرين بوصفها مجموعات قيمة من المواد. ويتأكد قانون مجال الكلمة، بأنه أهم قانون لتحديد مضمون الكلمة، وفى مجال النحو يتناظر مع مجال خطة بناء الجملة.

وقبل أن أقدم فيما يلى أمثلة على قوانين بناء اللغة هذه، تاركاً مضطراً قوانين

---

* ربما كان ذلك تأكيداً بعبارات أخرى مغايرة لما استخدمها هو مبولت، فاللغة ليست شكلاً ظاهراً على السطح، بل هى طاقة حيوية داخلية تعمل فى عمق الإنسان، ولايعنى نجاح دراسة هذا الشكل التوصل إلى عمقه ، بل لابد أن يكون الهدف من دراسة الشكل مرتبطاً بالكشف عن العمق، ولايخفى مافى ذلك من تناقض حاد أو تضاد كامل مع اتجاه الوصفيين.

أخرى للتحديد المضمونى ومجالات أخرى مثل مجال بناء الكلمة، يجب أن أذكر مع ٦٣ ذلك مرة أخرى النقد السابق ذكره فى محاوره الثلاثة لعلم الدلالة التقليدية. ولأن هذا النقد يحيل إلى تقليص فى ثلاث نقاط لمايمكن أن تكون اللغة ليس بالنسبة للملاحظ الساذج، بل بالنسبة ليضع اتجاهات بحثية أخرى أيضاً، فإن ذلك فى الوقت نفسه تجريد من متكلم للغة، ومن الواقع الذى تعنيه اللغة ومن خاصية وساطة اللغة* التى تعكس ليس من أجل ذاتها بشكل موحد موضوعات عقلية.

١ - لايتجاهل الهجوم على علم الدلالة ومن ثم على وظيفة العلامة اللغوية الحقيقية القائلة إنه دون غض الطرف عن الإشكالية الفلسفية لأسس تشكيل الموضوع بواسطة اللغة بوجه عام، فإن قصد كل مايتكلم يرجع بشكل ساذج للغاية إلى الواقع ذاته وليس بأية حال إلى الواقع المتحول إلى مفردات ، وإن العلامة اللغوية بادى الأمر ليست إلا أداة (وسيلة) للفهم عبر هذا الواقع ذاته، وإنه أخيراً لايشك فى خاصية وساطة اللغة هذه طالما يؤدى الإبلاغ والفهم عبر ماهو واقعى وظيفة فى أثناء العمل الاجتماعى . - فلا يوجد الموضوع العقلى «عُشب» ولكن توجد العلامة اللغوية التى تشير منطوقة ومفهومة فى أوقات محددة إلى مواقف فى أثنائها يسير شخص ما فى الحديقة لإبعاد نباتات محددة، وبذلك تنمو الفاصوليا على نحو أفضل. ولذا «فعقلية» اللغة ليست إلا نفى للواقع.

٢ - ينتج نقد دراسة العلاقات الدلالية Onomasiologie**، بوصفها، جهداً لمعرفة مضامين اللغة ليس انطلاقاً من الشئ معرفة محددة، إلى حد ما عن تجاهل للواقع. ولكن فى الحياة يكون الانسان عرضة للاحتكاك بما هو واقعى ، كيف صيغت

* يختلف التجريد الثلاثى هنا (Abstraktion von) عن التجريد الثلاثى الذى سيذكره بعد قليل فى نوع عناصره، ولذا لزم التنويه.

** يستخدم هذا المصطلح للدلالة على شيئين يجب التفريق بينهما، الأول دراسة الأعلام، أصول الكلمات وأشكالها، ولذلك يطلق عليه ، علم دراسة الأعلام أو الأسمائية ويتداخل مع Onomastik، والثانى دراسة العلاقة الدلالية، دراسة العلاقة بين المجموعات الدلالية المختلفة وصيغها اللغوية، مثلاً دراسة هذه العلاقات فى دلالات الألوان أو الأعداد أو القرابات والكلمات الخاصة بها ، أو العلم الذى يبحث كيف تسمى الأشياء ، والجواهر والأحداث لغوياً، علم التسمية، ولذلك يطلق عليه مسمياتية، وقد اخترت منها مايناسب المقام.

كلمة Rothaker * ذات مرة وحين يكون عمال التعدين عالم أشكال الجبال، والاسكيمو أنواع الثلج والبربر طبيعة أرض البرية بقدر كبير فى مفردات، ويفرقون بين الأشياء الدقيقة ، فلايمكن أن يوضح ذلك حقاً إلا قوة (سيطرة) الواقع، وقوة التجادل معه عبر الصياغة اللغوية. فاللغة أيضاً فى الحقيقة تتحدد من الشئ.

٣ - أخيراً تجرد فايسجربر أيضاً من المتكلم، وقد صار الجهد فى ذلك واضحاً، أى أن تعرف اللغة بوصفها موضوع علم اللغة منفصلة دون شائبة عن علم اللغة النفسى وفى مقابل علم السلوك بوجه عام. ويتضمن ذلك شيئين : جعل القوانين الخاصة باللغة الأم النحوية السارية، وكذلك تحديد النشاط الكلامى قوانين مطلقة من خلال اللغة. وللإضراب عن الاعتبارات النفسية نتائج بعيدة الأثر : لم يتمكن فايسجربر من ظاهرة الاستعارة وظاهرة تعدد المعنى تمكناً صحيحاً مطلقاً ، ففى كلتا الحالتين يجب أن يغض النظر عن النشاط الحاسم للتكوين وقيم الإحساس وتداعيات الكلمة أيضاً، التى لايمكن أن تكون بوضوح موضوعاً إلا لعلم نفس الأنشطة الكلامية.

٦٤

ويمكن أن يقال دون الرغبة فى التفكر فى نتائج أخرى هنا، إن التجريد الثلاثى، من المتكلم والسامع، ومن العلاقة اللغوية، ومن عالم الأشياء والموضوعات ، وتقليص اللغة فى الوقت نفسه بوصفها رصيداً منطوقاً لكل البشر إلى جوهر مثالى لايمكن بشكل واضح أن يعالج ببحوث إمبريقية. فقد صار البحث اللغوى رؤية للجوهر ، ومن المنطقى أن تتشكل ذاتية متعالية، تصورت هنا تحت اسم «العقل»، تلك هى اللغة، ومن الضرورى أن يكون بحث المضمون اللغوى تأملياً، حيث يجوز أن يؤخذ معنى « التأمل » حسب موقف البحث فى المضمون اللغوى بالمعنى الجدير بالاحترام للمثالية. «فالمضمون» اللغوى لاشئ ، لأنه حاول أن يفهم ذلك دون استناد إلى شئ وفى انعزال، وهو لايكون معقولاً إلا بالنظر إلى أوجه الواقع الثلاثة المشكلة للغة ومرتبطاً بها : بنفسية وفسيولوجيا المتكلم وبالحقيقة وبالواقع الاجتماعى .

---

* اسم مركب استعمل حديثاً، وهو يطلق على الانسان الذى يحلق رأسه كلها إلا جزءاً فى وسطها (تشبهاً بالخرتيت)، يصبغه بلون أحمر فى الغالب، أو بأى لون آخر، تعبيراً عن توجه خاص تجاه المجتمع والسياسية و .....

وتعد فكرة المجال، الرأى القائل بأن العناصر اللغوية المفردة يمكن أن يصعد بهـا إلى ترابطات كـبـرى ولا يتلقى من هذه (التـرابطات) إلا مـعنى أو تحـديد مضمونى، مفهوم النظام فى علم اللغة الحديث فى مؤلف فايسجربر. فقد صار «المفهوم المركزى المنهجى لبحث المضمون اللغوى ، ومن ثم مفتاح اكتشاف صورة لغوية للعالم » (فايسجربر ١٩٦٤ أ ص٧٢) . فالمجال اللغوى ينجز عقلياً فى تقسيم عضوى لأجـزائه قطاعـاً من الكائن، أى قـاطع يمكن أن يكون لألفـاظ الألوان معـه معنى، وهكذا لم أكن لأعرف قوله، لو لم أقدم الصفات المفردة فى سلسلة من أشكال الحمل* وأفكر على نحـو هذا القـبـيل فى الخـواص (الكيـفـيـات) فى ترابط لايمكن الاستغناء عنه مع مادة هذا العالم. ومع ذلك فإنه بالنسبة لفايسجربر ينتج مضمون صفات الألوان دون الرجوع إلى الأشياء، ومن خلال نظام تبعيتها المتبادلة فقط.

ويتـبع النظرة المعلقـة بالشكل تحـديد الفـونيـمـات وتقديم عـائلات الكلمـات («أحمر، وردى، احمرار، ورد ») . والمعجمات التى تريد شرح « أحمر» تشترط فى الغـالب معـرفـة المعنى، حين تستـشـهـد بأمـثلة ، مثل « عـيـون حمـراء » أو « الديك الأحـمر»، ويحـال إلى الأحـمر مع : نبيـذ، ودم، وورود وذهب . ولكن لايساعـد فى تحـديد المضـمـون إلا إشـارات إلى الكلمـات المجاورة. « ... يجاور الأحـمـر › بنى، برتقـالى، أصفر، بنفسجى، أرجـوان، وردى ‹ (حيث تساعـد فى مناطق التـمـاس ، مـثل: بنى مـائل إلى الحمرة وأصفر مـائل إلى الحمـرة فى مراعـاة الاستمرار) . ذلك التحـديد للحدود يتشكل حسب كل الجوانب ... ويمدنا لكل هذه التحـديدات اللغوية نوفق فى إدراك المجال الذى لايدع من الناحية العقلية فراغاً لا إلى الخارج ولا إلى الداخل . ففى كل مكان يسمع فيه ، أحمر‹ يمكننى أن أحل محلها كلمة أخرى. ومن جهـة أخـرى ليس من الضـرورى بلاشك أن أكـون قـد عـايشت ذات مـرة درجـات

٦٥

* يعنى بذلك المصطلح Prädikationen أن مفردات الألوان لايمكن معرفتها منعزلة عن سياقاتها التى يمكن ترد فيها ولا منفصلة عن الترابطات Zusammenhänge التى تدخل فيها، لأن تحديد خاصية (خواص) المادة (المواد) اللغوية، يتوقف على المحيط اللغوى التى تقع هذه المادة (المواد)، وتشكل كل مجموعة مترابطة شريحة أو قطاعاً من الدوال عبر عنه بمفهوم المجال.

الأحمر، فهى مدركة عقلياً من قبل بالنسبة لى، ودون أن تكون قد أدت مادياً أو معنوياً أى دور ، (فايسجرير ١٩٦٣، ص ١٧٧)* .

و ، حيث يغيب ، الأحمر، ينمو مجال ، البنى، . وعند الرجوع إلى العلاقات المادية ربما أشير مرة أخرى إلى المجال القائم. هذا القانون اللغوى للبنية الآن هو ماتعنيه فكرة المجال الدلالى : ففى مجال الكلمة ككل ينجز التقسيم المضمونى .... ، (١٩٦٣، ص ١٧٨) .

٦٦

ويجب على المرء أن يتذكر أن المجال جزء من اللغة الأم الموجودة بشكل مثالى فقط وأن نقداً ما يعنى ،ما الأحمر، يتعلمه الطفل فى أثناء اكتساب اللغة، حين يسأل ويدور مع الأشياء**، ولايمكن أن يصدق (النقد) مطلقاً على فايسجرير لأن كل نقد ربما كان نفسياً. وكذلك من يقترح أن كل مجال يمكن أن يشكل تشكيلاً تاماً، يمكن ألا ينقد فكرة فايسجرير عن المجال لأن فكرة انفتاح اللغة، نقصان النظام، لاتتقبل بشكل واضح إلا بالإنجاز اللغوى الفعلى : حين يواجه متكلم ما موقفاً متحولاً إلى مفردات، مثل سحر ألوان سماء المساء فى المناطق المدارية.

وتبوح هذه النظرة المتعلقة بالإنجاز إلى هذا المركب، حين يراد أيضاً أن ينظر إلى البنية المثالية للمجال فى الحقيقة على أنها ليست إلا مثالاً لتطورات لغوية

---

* وإذا أخذنا مجال ،الألوان، الذى يشير إليه سلوين فإن من الصحيح أن ثمة قدرة إدراكية كامنة لدى كل البشر على التمييز بين عدد ضخم من درجات الألوان. ولكن هذه القدرة تظل محايدة الدلالة إلى أن تتجسد فى صيغ لغوية معينة لدى هذا المجتمع اللغوى أو ذاك. وهى حين يتم لها هذا التجسد إنما تكشف عن دلالات خاصة فى منظومة رؤية أعضاء هذا المجتمع، ومن ثم فإن لفظاً لونياً معيناً يستقطب فى دائرة مرجعة الدلالى – فى إطار ثقافى معين – مالايستقطبه فى إطار ثقافى فى آخر – د. محسب، كتابه السابق ص ٨٩.

** إن مفهوم ،الرؤية الكلية ، أو ،الخصوصية الثقافية، لايعنى الثبات السرمدى لمفاهيم تتجاوز إمكانات التغير، وتتعالى على احتمالات التحول ، فالمفاهيم مؤهلة دائماً للدخول فى علاقات مع غيرها من أنساق المفاهيم التى تطرحها تجارب التفاعل مع الواقع والخبرة الخاصة ومع خبرة أنظمة ثقافية أخرى. د. محسب ، كتابة السابق ص ٨٩.

تاريخية معينة، عرض فايسجربر من خلالها رؤيته لجوهر اللغة غير التطبيقية : إن الإجابة عن السؤال عن إنجاز صفات الألوان الألمانية هى : ، من المؤكد أن أبرز شئ هو القدرة العقلية التى تظهر من خلالها آلاف المشاعر الممكن اختلافها منطقياً يجمعها عدد صغير من المقولات المفهومية ، (١٩٦٣، ص ١٧٩) . إن ذلك لايعنى ابتداء الكثير لأن كل علامة لغوية هى نقطة التبلر لتنوع الخبرات. وتستغنى اللغة الألمانية أساساً بثمانى صفات : ، الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والبنى، والأبيض، والرمادى، والأسود ، . ولايمكن للمرء أن يقدر إنجاز هذا المجال المغلق إلا حين يلاحظ طريقة سلوك لغات أخرى لم تنفصل بعد عن مادة هذا العالم، عن الارتباط المادى، ولا يمكن أن تسمى الألوان إلا فى الوقت نفسه مع حامليها : لون الفراولة، أشقر (ليس إلا للشعر) والكلمة اليونانية erythros التى تقتصر على ثلاثة حاملين للألوان، النبيذ والرحيق، والنحاس. ولايجيز الارتباط بالمادة فى لغات بدائية إلا بتحويل جزئى للعالم إلى امتلاك (ملكية) العقل .

ولكن ، تنجز فى أثناء قرون التعامل مع عالم الألوان داخل جماعة لغوية ما عمليات التحول إلى مفردات التى تشكل فى انفصال متدرج عن الشئ ومجموعة حاملى الألوان، وسيلة لغوية تخرج الخاصية اللونية فى حد ذاتها وتمكن الآن فى بنيتها اللغوية الداخلية بناءً على تشارك ألفاظ الألوان ، المجردة هذه ، من إنجاز مفرع للكل، (١٩٦٣، ص١٨١) .

يظهر المجال الموضوع بشكل مثالى و الملتزم به بشكل واقعى هنا لمرة واحدة وبشكل مفرد فى مؤلف فايسجربر فى الحل الجينى (genetisch) الذى يظهر حتمية جزء ما فى اللغة بوصفه إنتاجاً نهائياً موفقاً بجهد لسلسلة طويلة من النشاطات اللغوية؛ وفى نفس مماثل يقر فايسجربرللفرد القوة الإبداعية عبر اللغة ويحرم اللغة منها . غير أنه فى غير ذلك يعد حتمية افتراضية منظمة للنشاطات الكلامية فى كل مكان. فنظام اللغة وتقسيم المجال ليسا نموذجين ، فهما ، أوجه للواقع ، .

ويبقى للنظرة المتعلقة بالتأثير أن تحدد ما هى نتائج أن الألمانية حولت مجال

الألوان إلى مفردات على هذا النحو وليس على نحو آخر *. ما المشكلات التى تنجم عن سريان مطلق لهذه الصفات وذلك بالنسبة لما هو مخل باللغة ، وأخيراً كيف ، فحين يوجد مجال لونى لواحد من أفضل ما حول إلى (صيغ فى) مفردات بوجه عام، يمكن أن يتأثر الفعل من خلال ذلك ، وذلك على نحو أن يلاحظ فى الأشياء خواص الألوان قبل أى شئ .

وكذلك حين أدرك فايسجربر كيف يجعل المشكلات النحوية لجملة ، ربت على كتف صديقه «مفيدة تماماً للنظرة اللغوية الموحدة الخاصة به»، فإنه وجب عليه أيضاً ، طبقاً لوضع البحث النحوى، أن يرجع إلى حد بعيد للغاية إلى أعمال الآخرين ٦٧ وأن يثق هو نفسه ثقة كبيرة فى المسار المتناقض للعلم . وعلى نحو يشبه مجال الكلمة ، تشترك الجملة بوصفها ظاهرة أساسية لغوية بشكل حاسم فى التشكيل العقلى للعالم. فكل خطة بناء للجملة مفردة تتشكل معاً فى هذا العالم اللغوى بوصفها ضبطاً عقلياً سارياً فى الجماعة اللغوية على ماهو كائن (الواقع) » . (١٩٦٣، ص ٢٦٥) .

وتتبع معالجة الجملة المتعلقة بالأصوات قضايا تنغيم الجملة، وترتيب المفردات وتحديد أنواع المفردات وأجزاء (أركان) الجملة . ابتداءً تبحث النظرة المتعلقة بالمضمون البنية العقلية للجملة ، وفيها تدرس بوجه خاص ما الأفعال التى تجيز بنية جملية مثل البنية السابقة، تلك توضع فى مقابل بنية مشابهة مثل، نحى أصدقاء فريتس جانباً «أو» طرق على المنضدة «. ولم تهمل السؤال عن الجوهرية أو الشيئية

---

* ثمة خصوصية تسم المعجم اللونى العربى ، وهذه الخصوصية تكمن فى أن هذا المعجم يقيم علاقة «موازاة» مع كل درجة من درجات التغاير فى المدركات اللونية . وكأن اللغة – من خلال علاقة الموازاة تلك – تتحول إلى مرآة دقيقة لتفصيلات فعالية الإدراك ، ولعلنا نصل – فى هذا السياق – مرة أخرى إلى النتيجة نفسها التى وصل إليها فيشر فى دراسة اللون فى الشعر العربى . فنحن أمام منطق «تدرجى» وليس منطقاً ثنائى القيمة ، كذلك الذى نجده فى اللغات التى تقسم مجال الألون إلى فئتين كبريين « الفاتح » و « الداكن » د. محسب : الكتاب السابق ص ٩٢ ، ٩٣

(المادية) بالنسبة للمسند إليه والمفعول غير المباشر أيضاً *. وتنتهى إلى نتيجة مفادها أنها (الجملة) تبين بنية عقلية من نوع خاص .

، يمكن أن توصف بأنها ترابط متعدد الفروع، يُعرض من خلاله بلاشك حدث ما بوصفه نشاطاً لمسند إليه، ومع ذلك فإن لايبدو كأنه فعل موجه إلى هدف ما ولا عمل منغلق على ذاته ولانشاط منعزل . فالجملة على الأرجح تنهض من خلال فعل إثبات يوصل نشاطاً ما إلى مكان وضع فى ارتباط وثيق بمشارك (الجوهر الحى)، إلى حد أن ذلك (المشارك) قد قصد بالإثبات على نحو يظهر فيه الحدث كله كأنه موجه إليه (يؤول إلى اشتماله) . وهكذا يمكن للمرء أن يصف خطة البناء هذه بأنها جملة إثبات موجهه ، (١٩٦٣ ، ص ٢٧٦).

قد حوول هنا وصف جملة مفردة محددة الصياغة وصفاً عاماً ، وربما يستسلم بحث المضمون اللغوى فى ذلك لادعائه الخاص : وهو أن النظرة المتعلقة بالمضمون للجملة لايمكن أن تتجرد بعيدة عن مضمون الجملة ذاتها إلى حد أنه لاينتج عن ذلك إلا بيان تخطيطى للبنية ، بل إنها يجب تضبط بقدر أكبر بمضمون الجملة بحيث جاء الوصف معمماً ، بل إنه مع ذلك مطنب . – ينبغى هنا ألا يطرح السؤال عن عملية (إجرائية) تلك النظرة**.

ويؤرقنا ذلك الشك المنهجى حين يسأل عن الإنجاز المشكل بصورة عالمية

---

* يلاحظ هنا فى اختياره للجمل الثلاثة السابقة أنها أبنية معقدة ليس تركيبياً فحسب، بل دلالياً أيضاً ، لأن أبنيتها الظاهرة ذات مضامين عميقة هى المقصودة ، لايتسع المجال لذكرها مفصلة، ولكن لاينبغى تجاهل خصوصية التحليل المضمونى، فليس تحليل ظاهر البنية إلا مدخلاً لتحليل بنيتها الباطنة، ويلاحظ كذلك نوع الأسئلة التى يخضع لها تحليل الجملة، مثل السؤال المذكور عن جوهرية (Wesenhaftigkeit) أو مادية (Dinghaftigkeit) أركان الجملة الأساسية .

** لا أدرى لماذا لم يطرح المؤلف مثل هذا السؤال المهم للغاية الذى يكشف جدوى استخدام هذا المنهج عملياً ، وهو ما عبر عنه بمصطلح Praktikabilität – فى الإنجليزية practicability، ويعنى العملية ، الإجرائية، الاستخدامية : كون الشئ ممكنا عمله أو إجراؤه أو استخدامه) ، ولكنه على أية قد طرح فيما بعد فى الأنحاء المختلفة مثل النحو الوظيفى ونحو الحالات ونحو النص وغير ذلك على نحو لايخفى تأثرها به وإن اختلفت فى معالجاتها اختلافاً غير يسير .

لجملة الإثبات الذى ينبغى أن يكمن فيه ، أنها طرحت حدثاً بوصفه سبباً وجارياً بين المشاركين فيه، ومع ذلك فإن العلاقة بين المشاركين فيه تظل مفتوحة، و يوضع ٦٨ الربط فى مكان الحدث، فالتشكيل اللغوى للعالم مقرر فيه بقدر ماتبرز فى تفسير حدث ما وجهات نظر معينة، تتسيد الصورة اللغوية، دون اكتراث بكيفية ترابط الحدث › فى الواقع ‹ (١٩٦٣ ص ٢٨١) .

وتبحث النظرة المتعلقة بالتأثير مجالات تطبيق مثل تلك الخطة، وتحاول أن تصل إلى رؤى أخرى من مقارنة لغات عدة. فمهمتها دارسة كل المشكلات التى تنجم عن سريان تلك الخطة. ماذا يعنى ذلك حين تربط جملة ، صادفته حيوانات كثيرة فى طريقة «بين دائرتين للفعل، على الرغم من أنه فى مجال فعل الحيوانات لايبدو الإنسان وطريقة مهمين بوجه خاص ؟ أخيراً يمكننا بوضوح استخلاص نتائج مهمة، حين ننظر إلى جملة الاثبات على أنها دعامة من أقوى دعامات سلوك مفعولية غير مباشرة* ‹، أو أن تأثيرها فى العلاقة المتبادلة يؤيد الاستعداد لتصميم الحدث على أنه منظم وفق حقيقة (جوهر) دون أن يمس من خلال ذلك من الناحية العملية ، ذاتية هذا الجوهر ‹ (١٩٦٣، ص ٢٩٣) ، (قارن ، رتب على كتف صديقه›) .

وما صدق بشكل إجمالى على اللغة الأم وصورتها للعلم هو أنها يمكن أن تضع مبدأ أساسياً للنشاطات الكلامية، يتكرر فى كل مراحل النظرة اللغوية للمجالات

---

* ربما تكون الفكرة هنا غير واضحة لأن الأمثلة العربية المترجمة لاتنقلها بدقة كما أن المصطلحات لاتكون مفهومة إلا لمن له علاقة بالنحو الألمانى وتاريخه ، ولذا أوجزها على النحو التالى بادئا بالمصطلح الأساسى و هو التحويل إلى مفعول مباشر "Akkusativierung " أى ميل فى اللغة الألمانية الحالية لجعل الناس المشتركين فى الحدث يقومون بوظيفة المفعول المباشر (Akkusativobjekt) (وليس المفهول غير المباشر (Dativobiekt) ، وقد قدم مثالاً على ذلك وهوEr klopfte seinem Freund auf die Schulter ، ومعناه ، رتب على كتف صديقه – فالمفعول هنا فى الألمانية seinem freund مفعول غير مباشر ,Dativobjekt)، والفعل معه حرف الجر" auf" وقد وجد إلى جوارها : -Er " beklopfte die Schulter des Freundes ، فقد أضيفت السابقة (be) إلى الفعل ، وتعدى الفعل إلى مفعول مباشر "die Schulter" وسقط حرف الجر وللأسف الشديد لا تنقل الترجمة العربية فى الحالتين ما حدث فى اللغة الألمانية .

المفردة للغة. ويؤكد الالتزام والأشكال النحوية (لا أجادل فى أن النطق الصحيح والاستعمال السليم للغة مفيدان للغاية لغرض اللغة بوصفها وسيلة فهم وتعبير . ويتعلق بذلك أيضاً كيف نظم المجتمع، وكيف يحدد فى حال ثقافته الكلية موقعه من اللغة. فايسجربر وحده اقترب من التفكير فى النشاط الكلامى السارى الصادق الذى نشأ من المثل فى عالم أفكار اللغة الأم)*. وقد وضع تحديد مضامين الكلمة وخطط بناء الجملة دون استناد إلى الكلام أو حتى إلى مجموع مايتكلم بوصفه «مضموناً» مثالياً ، فالنظرة المتعلقة بالإنجاز تثبت بشكل ملزم أى نهج يطبق لإنجاز قطاعاً من الكائن ، وأخيراً تدرس النظرة اللغوية المتعلقة بالتأثير ماذا يمكن أن ينجم عن حقيقة سريان ظواهر خاصة باللغة الأم فى جماعة لغوية ما. ومما انتصف له أن فايسجربر يلقى بالا إلى حد كبير إلى اللغة بوصفها طاقة (قدرة) عقلية وليس إليها بوصفها مجرد ٦٩ وسيلة للفهم والتعبير . إنه ينسى الخاصية الأداتية (الوسيلية) للغة ، فذلك يعنى الآن أنه ليس الانسان ، بل الشكل تحول إلى غرض لذاته، ويبدو أن استعمال اللغة مرتبطاً بذلك. وأُخْرِجَ من حالات تبادل تاريخية معيار، لم يكن قد توصل إليه إلا فى الوقت الراهن فى الجدل المحدد مع الواقع.

٣ - ٣ الجلوسماتية

(التحليل شبه الرياضى للغة)

يفهم تحت « الجلوسماتية » نظرية ما تسمى مدرسة كوبنها جن ، التى أسسها فى النصف الأول من الثلاثينيات اللغويان بروندال (Brøndal)، وهيلمسليف (Hjelmslev) وكانت مجلات نشرهم منذ ١٩٣٤ ، مجلة حلقة كوبنهاجن اللغوية ، وفيما بعد ، أعمال حلقة كوبنهاجن اللغوية » . ومنذ ١٩٣٩ أضيفت مجلة

---

* تعنى Methexis فى اليونانية الاشتراك Teilnahme ، أى العلاقة بين الأشياء المفردة فى عالم الحواس (Sinnenwelt) (صورة) بأفكارها (الصورة الأولى) (وهو مفهوم محورى لدى أفلاطون). إن نظرية المثل ليست إلا منهجاً استدلالياً رياضياً وأن المثل بذاتها شبيهة بالأفكار الرياضية .

(Acta Liguistica)* التى نشرت بالاشتراك مع حلقة براغ . ومن الناحية العملية تتطابق الجلوسماتية مع نظرية هيلمسليف على نحو ما قد سجلها فى كتابه "Prolegomena to a Theory of linguistics" مداخل إلى نظرية اللغة . وقد ظهرت المداخل ، التى يحال إليها هنا بهليمسليف (طبعة ١٩٦٣) ، سنة ١٩٤٣ أولاً باللغة الدينمراكية، وحتى ظهور الترجمة لوايتفيلد (Whitfield) لم تعرف للعالم اللغوى إلا من خلال مناقشة مارتينيه المفصلة لها (١٩٤٦) . ويعد العمل الأساسى الآخر فى الجلوسماتية (إلى جانب المقالات الغزيرة لهليمسليف التى جمعت بشكل مختار فى كتاب هيلمسليف سنة ١٩٧١) مؤلف أولدل (Uldall) سنة ١٩٥٧ الذى صممت خطته فى الثلاثينيات **. وقد ظلت الجلوسماتية على وجه الإجمال نظرية منعزلة وشديدة التجريد، لم تستخدم إلا نادراً فى صرامة تامة لتحليلات لغوية معينة (ربما كان مثال ذلك لدى توجبى (Togeby) سنة ١٩٥١، وهولت (Holt) سنة ١٩٤٣) . باستثناء هيلمسليف وأولدل نفسيهما نادراً ما وجد أيضاً جلوسماتيون خلص. وعلى الرغم من ذلك فإن البنيويين الأوربين تحفزهم باستمرار حتى اليوم تصورات الجلوسماتية ويجادلونها جدلاً مكثفاً . ويمكن أن تكمن أهميتها بالنسبة للبنيوية الأوربية فى أنها تؤصل نهج دى سوسير فى حدة ودقة لايمكن التوصل إليها ثانية، ووضعت بذلك معايير لعلم اللغة الأوربى لايمكنه أن يتجاهلها طالما أنها ينظر إليها بوصفها بنيوية من خلال إرث دى سوسير، إذ يعد التأثير المحدد لجوانب معينة فى المحاضرات ، فى الجلوسماتية تأثيراً كبيراً إلى حد أن المرء يشير إلى الجلوسماتيين ٧٠ فى الغالب باسم ، السوسيرون الجدد ، Neosaussurianer .

---

* تقول ميلكا افيتش فى اتجاهات البحث اللسانى ص ٣١٨ : إنها قد حملت عنواناً فرعياً هو -International Review of structural Linguistics ،المجلة الدولية لعلم اللغة البنيوى ، لكن بروندال قد توفى، لم يلبث أن توفى بعد نحو ثلاث سنوات، فانفرد هيلمسليف بقيادة المدرسة .

** تبدأ دراسات جيلمسلف وأولدال اللغوية بتحديد الأسس التى جعلت علم اللغة مستقلاً بجانب العلوم الإنسانية الأخرى، وإذا كانت العلوم الإنسانية تستعمل اللغة وسيلة لكشف مايخفى وراءها من ثقافة وفكر وتاريخ ... الخ ، وتكون بهذا قد تسامت أو ارتفعت عن اللغة فى بحثها ودراستها فإن علم اللغة لايدرس ولايبحث ماوراء اللغة، بل يسعى إلى إدراك اللغة ذاتها لتجميع لظواهر لغوية (فيزيائية - فسيولوجية، ونفسية ومنطقية ، واجتماعية) . د. جاد الرب ، علم اللغة ١٧ (صويت الاضطراب فى الاستشهاد) .

ولكن هذا مضلل بقدر ما أخفى من خلال ذلك المكونين الاثنين للجلوسماتية، وهما أفكار الوضعيين المنطقيين فى حلقة فيينا (وبخاصة كارناب ١٩٢٨و١٩٣٤) التى نقلت إلى لغويى كوبنهاجن عبر المنطقيين الدنمراكيين يورجنسن (Jørgensen) وراسموسن (Rasmussen).

إن دراسة الجلوسماتية يسبب إلى حد ما نَصَباً بسبب الاصطلاحات المتغيرة باستمرار فى كتابات هيلمسليف (حول التطور المفهومى للجلوسماتية انظر سيرتسما Siertsma ١٩٦٥). سأعتمد بصفة عامة فى هذا العرض على اصطلاحات « المداخل » .

ثمة ملاحظة حول المصطلح : فقد أدخل مصطلح «الجلوسماتية» (المشتق من الكلمة اليونانية glossa = « اللغة ») علماء كوبنهاجن ليس لسبب آخر سوى الإشارة به إلى الانفصال عن علم اللغة التقليدى وإلى البداية الجديدة الجذرية المحاولة.

يبدأ كل من هيلمسليف فى « مداخله » وأولدل فى « مختصره » بجدل حاد مع تلك الفروع العلمية التى وضع علم اللغة مرتبطاً بها عادة وإلى اليوم بشكل مؤسس أى مع ماتسمى العلوم الإنسانية. فالأخيرة مثل دراسات فقه اللغة قد استخدمت دائماً ماهو لغوى وسيلة فقط لتعيد بناء مايكمن خلف اللغة، مثل الثقافة أو الفكر أو التاريخ أو ما إلى ذلك ، فقد « تعالت » فى بحوثها على اللغة . ولكن علم اللغة لايمكن أن يتعلق بأوجه الواقع تلك خلف اللغة ولكنه « يجب أن يحاول إدراك اللغة ، ليس

---

* لم يوضح المؤلف هذين المكونين ولكن على كل حال سيتضح الأمر بعد قليل إذ ربما قصد بهما النص والنظام المقابلين للكلام واللغة عند دى سوسير، وربما قصد بهما شكل التعبير وهو الفونولوجيا وشكل المحتوى وهو النحو ، وربما قصد بهما بوجه عام الفصل بين المادة Substance والشكل form، وفى كل يبدو تأثير دى سوسير واضحاً كل الوضوح . وربما يتضح ذلك التأثير فى الوصف المجمل الذى عرضه د. نحلة نقلا هلبج فى كتابه المعروف تاريخ علم اللغة الحديث ص٦١، إذ يقول : وقد أطلق هيلمسليف على نظرية اللغة اسم المنظومية وهى تقوم عنده على ستويين أثنين فحسب هما شكل التعبير وشكل المحتوى، فهى لاتعنى بمادة التعبير وهى الأصوات؛ بل تعنى بشكله وهو الفونولوجيا؛ ولاتعنى بمادة المحتوى وهى الدلالة ، بل بشكل المحتوى وهو النحو . ولاينتمى إلى علم اللغة الحق عند هيلمسليف وأصحابه إلا الفونولجيا والنحو وعلاقة كل منهما بالآخر. أما علم الأصوات وعلم الدلالة فلايعدوان أن يكونا علمين مساعدين للعلمين المهتمين بتراكيب اللغة، (علم اللغة النظامى ، ص٤٠) . وسوف تعرض نظرية هيلمسليف بالتفصيل فيما يلى .

بوصفها كتلة مختلطة كظواهر غير لغوية (مثل الفيزيائية والفسيولوجية والسيكولوجية والمنطقية والاجتماعية) ولكن بوصفها كلية مكتفية بذاتها، بنية مستقلة بذاتها «sui generis» (هيلمسليف ١٩٦٣، ص٥-٦) . ليس من الضرورى الإشارة إلى أوجه التوازى مع دى سوسير ومنطوقات ترنكا أيضاً (انظر ص٥٣ فى الأصل) .

ويهدف المأخذ الحقيقى ضد العلوم الانسانية كذلك إلى شئ آخر ، ألا وهو مناهجها : فإن الاعتقاد بعدم إمكانية تكرير العمل الإنسانى وأحاديثه يقود العلوم الإنسانية إلى افتراض أنه لايمكن تطبيق مناهج الإدراك فى العلوم الطبيعية الدقيقة على موضوعها. لقد رأينا أن النحاة الجدد الوضعيين قد انجذبوا إلى مجال مضاد لهذا الموقع، وليس من المصادفة أن الجلوسماتية قد اضطلعت بهذه «الحرب» فى زمن انتشرت فيه الوضعية الجديدة انطلاقاً من حلقة فيينا*. فإما أن يكون فى الإمكان أن ٧١ تفهم العلاقات الإنسانية، وفى مقدمتها اللغة على هذا النحو وإما ألا يمكن فهمها علمياً على الإطلاق. ولكن إذا انطلق المرء من إمكانية إدراكها فإنه يفترض مسبقاً أن المجرى التاريخى لنشاط إنسانى ، ومن بينه مجرى الكلام يمكن أن يمثل بوصفه تأليفاً (Komposition) من عدد محدود من العناصر الممكن تكريرها. « وربما تبدو مسبقاً كونها فكرة صالحة بوجه عام أنه بالنسبة لكل عملية يوجد نظام تراسل (مترابط) معها، يمكن من خلاله أن تحلل العملية .. يجب أن يفترض أن أى عملية يمكن أن تحلل إلى عدد محدود من العناصر المتكررة فى تكوينات مختلفة » . (هيلمسليف ١٩٦٣، ص٩) . وفيما يتعلق باللغة فإن العملية هى النص والنظام هو اللغة (der ProzeB = Text, das System = langue) . ولا يفهم فى ذلك تحت نص وثيقة مكتوبة فحسب، بل كل تحقيق للغة يمكن ضبطه أى مجموع نشاطات إنسانية سواء أ أنجزت مكتوبة أو منطوقة أو على نحو آخر .

---

* المقصود بالوضعية الجديدة "Neopositivismus" المدرسة الوحيدة التى تمثل الاتجاه التجريبى تمثيلاً حقيقياً فى القرن العشرين الميلادى فى الفكر الغربى، وتعود أصولها إلى المذهب الوضعى التقليدى عند أوجست كونت وعند جون استيوارت ميل ومن قبلهما إلى المدرسة التجريبية الانجليزية فى القرن الثامن عشر الميلادى ... وقد ظهرت المدرسة من حلقة بحث كان يقوده موريتز شليك وخرجت إلى الضوء فجأة فى عام ١٩٢٩، تحت اسم «حلقة فيينا» ....

انظر تفاصيل هذه المدرسة فى الفلسفة المعاصرة فى أوربا لبرشنسكى ص ٩٣ وما بعدها .

ويجب على المرء أن ينطلق من اعتبارات ابستيمولوجية (معرفية) أساسية مماثلة إلى أن النظام ، مستمر، لأنه مع استمرار "Konstanz" محدد يمكن أن يكون نظام ما برغم كل تحول للعملية (الكلام) التى يتحقق فيها، مطابقاً مع ذاته، ومن ثم يمكن وصفه .

وهكذا فقد أدخلت ثنائيات دى سوسير : اللغة /الكلام (≂ النظام / العملية) والتعاقبية / التزامنية فى الجلوسماتية لاعتبارات عامة للغاية تتعلق بنظرية العلم، وإذا ما أريد ذلك فإن الأمر يدور فى ذلك حول ما أستخلصه دى سوسير من المذهب الاجتماعى.

ويطرح تعبير ، تأليف من عناصر متكررة ، سؤالاً جديداً : ما معنى عنصر ؟ وكيف يمكن أن يقال إن فى أحداث كلامية مختلفة يتضمن هذا العنصر المماثل أو ذاك ؟

لن تتجنب هنا إضاءة موجزة للوضعية الجديدة المبكرة ، إذ يعد أساساً للوضعية بوجه عام المطلب التالى وهو أن المعرفة العلمية يجب أن تكون مباشرة، أى يمكن اختبارها بين الافراد interindividuell . فإذا كانت قد عدت الآن بالنسبة للوضعية القديمة وحدها مقولاتها حول الوقائع التى يمكن ملاحظتها بأنها علمية فإنه قد أقر إلى جانب ذلك فى الوضعية الجديدة بمجال معطيات شكلية ، منطقية. ويورد فى صياغة واحدة : التطبيق + المنطق = الوضعية الجديدة *. وتتحرك فى الواقع الآن التراكيب المنطقية بوصفها ، تجريداً ، - للإفادة مرة أخرى من كلمة هـ. باول - بين العالم والحقائق، ولكن ذلك لا يحدث أى ضرر، لأن المقولات المنطقية ٧٢

---

* من أهم القضايا التى شغل بها الوضعيون الجدد (الذين اعتمدوا على أفكار فيتجنشتاين) قوانين المنطق هل هى قبلية أم بعدية : وقد أخذ الوضعيون الجدد بموقف متوسط بين هذين الموقفين فقد انتهوا إلى أن قوانين المنطق «قبلية» وأنها مستقلة عن التجربة، ولكنها أيضاً مجرد تحصيل حاصل، أى أنها « لاتعنى» شيئاً ولا «تدل» على شئ فى التجربة. فما قوانين المنطق إلا قواعد نحوية تنظم تنظيماً ميسراً معطيات التجربة الحسية، فالنطق، إذن ، يتكون من قواعد تركيبية ، أى تنظم تركيب الكلام، وهى ، أى هذه القواعد تستخرج من مبادئ اختبرت بطريقة تحكمية، وحين نضع مبادئ الاستنباط وقواعده، فإن النتائج تلزم بالضرورة، ولكن أساس كل منطق يبقى دائماً أساساً اتفاقياً محضاً. بوشنسكى ، الكتاب السابق ص ٩٨ .

والرياضية فى حد ذاتها فارغة المحتوى inhaltsleer ، خالية من أى تجربة. وتبعاً للوضعية الجديدة أسست المقولات العلمية إذن على الملاحظات ويجب بالإضافة إلى ذلك أن تصاغ فى لغة تفى بمتطلبات المنطق الشكلى.

وفى بدايات الوضعية المنطقية مالبث أن ظهرت فكرة أن مقولات منطقية من نوع « لهذا الشئ أو ذاك « س » خاصية «خ » تضمنت فى داخلها خطر الميتافزيقا، إذ إنها لايمكن أن تبلغ ماذا يعنى كل متكلم «بهذا الشئ أوذاك»*. وقد اضطلع كارناب Carnap (١٩٢٨) بمحاولة أساسية كبرى لبيان كيف ترجع كل عبارة مضمونية علمية إلى عبارة شكلية، أى عبارة بنية . فالشئ يوصف من خلال أو لايوصف بوضوح إلا من خلال أن يقدم المرء فى أى سياق بنائى يقع. فإذا كان لـ س و ع خواص تركيبية واحدة فإنهما يعاملان من جهة ذلك العلم (يقصد المنطق) معاملة المتماثلين، وهو ما يمكن دائماً أن يكونا أيضاً بوصفهما « أشياء فى ذاتها » . وهكذا فإن زعم فكرتنا وهو أن العبارات العلمية لاتتعلق إلا بخواص تركيبية، ربما يعنى أن العبارات العلمية تدل على أشكال مجردة دون أن يقال ما هى عناصر هذه الأشكال وعلاقاتها » . (كارناب ١٩٢٨، ص١٥).

إنه من الواضح بشكل مباشر كيف أثر هذا القول الفصل (Diktum) فى لغوى حاول أن يتبع أساس دى سوسير، وهو أن اللغة شكل وأن الوحدات اللغوية ليست شيئا آخر غير قيمتها داخل نظام العلاقات. ويمكن أن نورد هنا اقتباسين من هيلمسليف (١٩٦٣) دون تعليق تال .

---

* وهناك مبدأ آخر جوهرى لمذهب الوضعية المنطقية ، وهو يزيد من صعوبة تقبل آرائها التى هى فى ذاتها ثورية بما فيه الكفاية. ذلك أنهم يقولون بأن التحقق من المعنى ينبغى أن يكون دائماً دائراً بين الذوات أو موضوعياً ، أى أنه ينبغى أن يتم من حيث المبدأ بواسطة شخطين ملاحظين على الأقل. فإن لم يكن الأمر كذلك، فإن صدق الجملة لايكون قد برهن عليه.ولاتكون الجملة عند ذلك عملية . ولكن حيث إن كل تحقق موضوعى ينبغى أن يكون تحققا بالحواس، فإنه ينتج أنه لايمكن التحقق إلا من الجمل التى تخص الأجسام وحركتها. أما كل الجمل المتصلة بالأمور النفسية الداخلية أو جمل الفلسفة التقليدية (مثل الروح خالدة، الإله موجود، الحرية حقيقة ... الخ) فإنها مما لايمكن التحقق منه، أو بعبارة أخرى : إنها فارغة من المعنى . وبالتالى فإن اللغة الوحيدة التى يمكن أن تكون ذات معنى هى لغة علم الطبيعة. وينبغى توحيد كل العلوم تحت هذا اللواء (ومن هنا تأتى فكرة الوضعيين الجدد عن اللغة الموحدة أو « العلم الموحد » . بوشنسكى، الكتاب السابق ص ٩٩.

« إن افتراض الأشياء بأنها شئ ما مختلف عن تعبيرات (ألفاظ) العلاقات بدهية غير ضرورية ، وتبعاً لذلك فرضية متيافزيقية يريد علم اللغة أن يتحرر منها » . فالأشياء فى واقعية ساذجة* ليست .. شيئاً، بل هى تقاطعات لحزم من أوجه التبعية تلك. فأوجه التبعية التى تعدها واقعية ساذجة ثانوية، باقتضاء الأشياء ضمناً ، تصبح من وجهة النظر هذه أساسية، تستلزمها تقاطعاتها » (ص٢٣).

ويفهم تحت « أوجه التبعية » العلاقات المميزة التى تسود بين أشياء لغوية.

وهكذا فقد عللت ثنائية دى سوسير هذه أيضاً (أى الشكل / المادة) لدى هيلمسليف باعتبار عام للغاية يتعلق بنظرية العلم. وتعد مقارنة / بنهج علماء براغ ٧٣ هنا غاية فى التوضيح : فقد رأينا فى علم الفونولوجيا أن الفونيم لايوجد أيضاً إلا عنصر من تكوين تقابلى أى مصطلح علاقى. ولكن عند تروبتسكوى كان للفونيم بوجه عام محتوى مادى **. ولكنه مع ذلك حزمة من الخواص وثيقة الصلة فونولوجيا، وهذه الخواص هى شئ صوتى - فيزيائى - مادى، وإن لم يجرِ تصنيفها بوصفه وثيق الصلة فونولوجيا، بداهة، على أساس مادتها. وبذلك لم يبحث علماء براغ حسب هيلمسليف إلا الشكل فى المادة، أو كما يقال المادة المشكلة (قارن هيلمسليف ١٩٤٧). وعلى نحو مميز يُجَذِّر هيلمسليف آنذاك الموقع، ويطالب بألا يبحث علم اللغة إلا الشكل وحده، منفصلاً عن كل مادة. فبالنسبة للغة بوصفها شكلاً الأمر سواء كلية فى أى مادة يتحقق، إذ يمكن أن تكون صوتية، بل وكتابية أيضاً أو فى أىّ غير ذلك. وفى مصطلح «فونولوجيا» مايزال يتوارى الربط بالمادة ، ومن

* الواقعية الساذجة « naive realism » تقول باختصار بأن للمادة وجوداً حقيقياً مستقلاً عن إدراكنا العقلى لها.

** أشرت فيما سبق إلى ذلك فقد أدت نظرية الفونيم إلى تطور مهم فى نظرية القواعد بين الجدد، وقد كان على إنجازهم أن يحدد ويوضح مفهوم القانون الصوتى وكان القواعد يون الجدد معنيين بالأصوات بوصفها أجزاء صوتية مستقلة. وعندما أعيد النظر فى التغير الصوتى فى ضوء نظرية الفونيم التى عن طريقها فهمت أصوات اللغة باعتبار أنها أنظمة ذات علاقات متبادلة من التقابلات، فإن الاهتمام قد أعطى لتطور الأنظمة الفونولوجية وليس لتغيرات الأصوات المفردة والمستقلة افتراضاً » روبنز، موجز تاريخ علم اللغة ص ٣٢٩.

المنطقى أن يقترح هيلمسليف أيضاً أن يطلق على أصغر الوحدات فى جانب الدال فى اللغة ، Keneme ، كينيم (من الكلمة اليونانية Kenos = > فارغ)*.

أريد هنا فضلاً عن ذلك أن أصحح شيئاً قيل فيما سبق، وهو : إن مقابلة دى سوسير بين اللغة (اللسان) / والكلام لاتطابق مقابلة هيلمسليف بين النص/والنظام إلا مشروطة، لأنه طالما أن النص يوصف بأنه تأليف بين عناصر شكلية - أو بشكل أفضل : بأنه تأليف شكلى محض للعناصر - فإنه لايتبع النشاط الكلامى المعين، لأنه يتبع النشاط الكلامى المادة المعينة الخاصة به أيضاً - إلا حين ينظر إلى النص على أنه متحقق فى المادة فإنه يتبع جانب الكلام (يتحدث هيلمسليف إذن عن Usage (استعمال)) . وبالنسبة لهيلمسليف يمر حد بين اللغة والكلام، ومن ثم بدرجة أقل بين النظام والعملية مما بين الشكل والمادة على الأرجح (قارن هيلمسليف ١٩٤٣).

وكما هى فى جانب الدال الذى أطلق عليه هيلمسليف خطة التعبير expression plane، خلصت اللغة من كل ماهو مادى، وقد صفى لدى هيلمسليف جانب المدلول عليه . ففى البداية لايمكن أن يستخدم مصطلح دى سوسير «تصور» للمدلول عليه فى العلاقة اللغوية كلية حسب هيلمسليف، إذ إن التصورات شئ نفسى ومن ثم مادى، على أية حال ليست شكلية. ويتحدث هيلمسليف عن جانب المضمون للغة (المحتوى "content")، والمضامين تبعاً له ليست غير نقطة تقاطع لعلاقات شكلية. وكما يمكن أن تتحول وحدات التعبير إلى مادة بوصفها أصواتاً يمكن أن تتحول المضامين إلى مادة بوصفها تصورات .

بيد أنه يصلح أن نسجل ما يلى : إن الشكل فى مقابل المادة له وجود مسبق، ٧٤

---

* فى معجم ليفاندوفسكى مادة يقول : إن مصطلح (جلوسيم) مأخوذ من اليونانية، ويعنى اللسان أو اللغة أو الكلام (؟) أما عند هيلمسليف فهو أصغر الوحدات اللغوية، إنه عبارة عن العلاقة الفونولوجية بين الكينيم فى الجانب التعبيرى وبليريم فى الجانب الدلالى، ويسمى مجموعها الجلوسيم. وتهدف نظرية الجلوسماتيك التى قامت على أعمال هيلمسليف وأولدل إلى نتائج المنطق الشكلى والمنهج العلمى الحديث على علم اللغة، ومن ثم إلى بحث جانبى اللغة : التعبير والمحتوى حسب أسس موحدة. انظر أيضاً د. جاد الرب : علم اللغة ص ١٢٢.

وتشترط المادة الشكل، وليس العكس بالعكس. وينجم عن المضمون/ التعبير ، والمادة / الشكل معاً الطبقات الأربعة المشهورة للغة *:

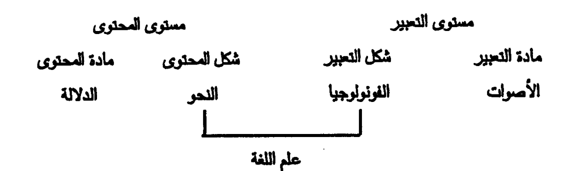
مادة التعبير	شكل التعبير
مادة المضمون	شكل المضمون

وليس لعلم اللغة علاقة إلا المستطيلين (القالبين) الموجودين فى الجهة اليسرى. أما فى الجهة اليمنى (الخاصة بالمادة) فالأصوات أولاً بوصفها قسماً فرعياً لعلم الفيزياء (مادة التعبير) وعلم الدلالة ثانياً بوصفه قسماً فرعياً لعلم النفس (مادة المضمون) لهما علاقة بقسمى المادة **. ومع ذلك ينبغى أن يضاف إلى ذلك أن علم الأصوات وعلم الدلالة لايصف كل منهما مجاله بداهة إلا بوصفه شكلاً أيضاً . طالما يسلكان مسلكاً علمياً . فموضوعهما ليسا من جهة علم اللغة إلا من المادة. ما هو علم أى مادة يمكن أن يكون لشكل آخر والعكس بالعكس . ، وكأن الشكل علامة على الجانب اللغوى، والمادة علامة على الجانب غير اللغوى ،(هلبج ١٩٧١، ٦٢) .

الآن على أى نحو يوصف شكل التعبير وشكل المضمون وصفاً علمياً، وكيف يكون نظام اللغة من النصوص التى تقدم، وتصفى باعتبارها وحدها حقائق يمكن

---

* يصور هلبج فى كتابه «تاريخ علم اللغة الحديث، ص ٦٠ المستويات الأربعة فى تخطيط مختلف عن ذلك إلى حدما ولكنه لايختلف فى مضمونه ، وهو على النحو التالى :



** عبر هلبج أيضاً عن ذلك بقوله : فمادة التعبير عنده هى المادة الصوتية، وهى متماثلة فى كل اللغات، وشكل التعبير هو النظام الفونولوجى الخاص بكل لغة ، ومادة المحتوى هى وقائع العالم الخارجى ومظاهره، وهى متماثلة (أيضاً) فى كل اللغات ، وشكل المحتوى هو النحو الذى يقوم بتنظيم المادة وترتيبها وتحديد العلاقات بينها فى كل لغة . الكتاب السابق ص ٦٠ .

ملاحظتها؟ وإقامة النظام المقولى لإدراك الشكل اللغوى ، وتخصيص منهج التحليل أيضاً أمران تنجزهما نظرية ؛ سمة هذه النظرية أنها محض شكلية و ، فارغة من أى تجربة، أى فى ا صطلاح هيلمسليف : هى فى مقابل الحقائق اللغوية اعتباطية arbitär. وتحدد النظرية على أساس شكلى محض الفصائل والمفاهيم التى على أساسها يمكن أن يحلل نص معط امبريقياً . ولكن مخطط التعريف الشكلى هذا لايطرح كذلك أى زعم امبريقى حول علاقات حقيقية فى اللغة. ولا يمكن أن تدحض النظرية ذاتها إذن من خلال حقائق أيضاً، فهى وحدها يمكنها تبعاً لذلك أن تحكم بما يلى : هل نكتفى بقواعد قبلية Aprioris منطقية ومنهجية محددة، طرحها هيلمسليف فى مبدئه الأمبريقى المشهور : يجب أن تكون أية نظرية كاملة (exhaustive)، خالية من التناقض (consistent) ببساطة بقدر الإمكان (حول مناقشة لهذا المبدأ انظر ما يلى أيضاً لامب ١٩٦٦وسورنسن ١٩٦٧ وشولتتك ١٩٧١ وقد عدل أولدل ١٩٥٧ فضلاً عن ذلك هذا المبدأ بأن البساطة هى المعيار المقدم على كل المعايير الأخرى) . وفيما يتعلق بحقيقة أن الأمر يدور هنا حول معايير محض شكلية لايمكن أن تفهم صفة ، امبريقى ، إلا كما قصد بها هيلمسليف. فالمعايير لايمكن أن توفى إلا بنظرية امبريقية، أى ضد ميتافزيقية (انظر سيرتسما Siertsema ١٩٦٥ ص ٣٩) . فالنظرية الميتافزيقية مثلاً غير بسيطة ولا ممكنة، إذ إنها تتضمن مفاهيم لاحاجة إليه أى ميتافزيقية . ٧٥

وقد ضيقت اعتباطية النظرية من خلال مطلب آخر وهو الملاءمة (المناسبة) (appropriatness) . وهكذا يجب أن تخصص دائماً بأن تطبق على حقائق . فإذا لم تكن كذلك فإنها ذاتها فى الحقيقة لاتدحض، ولكن لايمكن استخدامها. ويظهر مطلب إمكانية التطبيق هذا لدى أولدل فى صورة أن نظرية ما يجب أن يحافظ عليها فى التطبيق، أى أن المرء يستطيع أن يحصل معها بشكل موفق على كم من المواد فى إطار ضابط مرغوب فيه.

ولايمكن أن تقدم النظرية الجلوسماتية هنا بالتفصيل، ومن ثم لن تذكر هنا إلا بضع جوانب تعد مميزة لعملية صياغة وتجذير البرنامج عن دى سوسير.

وبناءً على ما سبق قوله من الواضح أنه يجب تحدد الفصائل والمفاهيم اللغوية

كاملة على أساس العلاقات التى سميت لدى هيلسمليف وظائف ، وهو ما ليس له أدنى علاقة بداهة بمفهوم علماء براغ للوظيفة . فالوظيفة فى الجلوسماتية مفهوم شبه – رياضى .* وقد استنبط من مخطط التعريف منهج للتحليل يجزئ ذلك انطلاقاً من نص غير مقسم مقدم امبريقياً بوصفه كلاً إلى أجزاء أصغر دائماً فى صورة خطوات ، حيث تحدد الأجزاء بوصفها تعبيرات للوظائف القائمة بينها. ويجب دائماً أن يكون عدد العناصر الذى يتحصل عليه فى مثل تلك الخطوة أقل من عدد العناصر فى المرحلة المتقدمة من التحليل، بحيث تظهر أخيراً نصوص طويلة من المحتمل أن تكون لانهائية ونصوص كثيرة لانهائية كأنها تكوينات لعدد ضئيل للغاية من عناصر صغرى. ويطلق على هذه العناصر الصغرى جلوسمات "Glosseme" . ويؤلف بين تلك العناصر المتحصلة إلى وحدات جدولية (صرفية) "Paradigmen" ، وتنظم ، ويعد ذلك التدرج للعناصر الجدولية ، نظاماً ،** للغة، يكمن خلف النصوص ويتحقق فيها .

وقد أعيد داخل مخطط التعريف الشكلى بادى الأمر تعريف الثنائيات المفهومية التى أدخلت أيضاً بشكل مضمونى وحدسى، للنظام / والعملية والتعبير/ والمضمون تعريفاً شكلياً :

٧٦

النظام / والعملية :

يفرق هيلمسليف – انطلاقاً من وجهى الربط المنطقيين ، و ، و ، أو ، – بين وظيفة – et وظيفة –aut اللتين تسميان علاقة وارتباط، فإذا وقع عنصران فى علاقة (Relation) بعضهما ببعض ، فإنهما يشكلان وحدة نحوية Syntagma، وإذا وقعا فى ارتباط (Korrelation) بعضهما ببعض فإنهما يشكلان وحدة صرفية Paradigma .

---

* ترجمت مصطلح (Function) إلى وظيفة وليس إلى دالة كما تترجم فى الفلسفة والمنطق، ولكن ذلك سوف يثير فى الذهن تصورات أخرى عند استعماله ، مما يحدث نوعاً من اللبس أو الغموض وهو ما يلزم تجنبه عند وضع المصطلح واستخدامه .

** يقول هليج فى كتابه السابق : ويعنى هيلمسليف بالنظام system الذى يشمل عنده التركيب والوظيفة معاً ، ويرى أنه ليس من الممكن تحديد علامة لغوية إلا موقعها من النظام. من أجل ذلك سميت هذه النظرية أيضاً النظامية systemology ص٦٣.

مثال ذلك : فالعناصر الأربعة v, a, s, e تترابط فيما بينها إلى وحدة نحوية vase = › زهرية ‹ . ولو وضع العنصر (b) بدلاً من (v) ، فنحصل على الوحدة النحوية base = ›قاعدة / ابنه العم ... ‹ وهكذا وجد اختيار لـ v أو b ، ومن ثم يشكل كل من b , v فى هذه الحال وحدة صرفية .

وهكذا فقد حددت الوحدة النحوية والوحدة الصرفية هنا تحديداً شكلياً للغاية (قارن على العكس من ذلك التعريف شبه النفسى للـ› ترابطى ‹ = جدولى ‹ لدى دى سوسير. وعلى هذا الأساس يمكن الآن أن يحدد النظام شكلياً بأنه تدرج من الوحدات الجدولية، والنص بأنه تدرج من الوحدات النحوية .

التعبير / والمضمون

إن أول تجزئة لنص ما ينتج كلا الجزئين التعبير والمضمون، غير أن التعبير أو المضمون ليسا شيئاً آخر غير مصطلحات وظيفة خاصة وهى وظيفة التضامن "Solidaritätsfunction".* وتسود بين العنصرين b, a وظيفة التضامن، فإذا صح ذلك فإنه متى وجد a دائماً فإنه يوجد b أيضاً ، والعكس بالعكس . ولما يكون فى نص ما وبوجه عام فى لغة ما التعبير والمضمون دائماً مترابطين ارتباطاً تضامنياً (تلازمياً) (قارن عدم إمكانية فصل المدلول عن الدال لدى دى سوسير) ، فإنه يمكن أن يحدد ا تحديداً شكلياً بوصفهما مصطلحات لوظيفة التضامن، بحيث يمكن أن يبعد كل تضمين مضمونى لكلتا الكلمتين المستخدمين فى لغة الحديث ، التعبير والمضمون ‹ ** .

---

* لهذا المصطلح دلالات عدة (التلازم ، المساندة، التعاون، الدعم ، التكافل ، التماسك ...) ولكنى اخترت مارأيته مناسباً ، ولا يتداخل فى معناه مع مصطلحات مستخدمة فى نظريات لغوية أخرى مثل التآزر، والتعاون، والتكافل والتماسك ...

** ويمثل جوهر التعبير الجانب المادى الخالص ، ويمكن تشبيهه بنقطة الحبر أثناء الكتابة أما فى النطق فيعلى الموجات الصوتية الفيزيائية، أى أنه يمثل الجانب المادى فى عملية النطق (أى علم الأصوات الفيزيائى كما قال هلبج) . أما شكل التعبير فهو الجانب التنظيمى للمادة الصوتية الخام أو هو الإمكانات المتاحة التى تتحقق من تنظيم جوهر التعبير أو المادة الصوتية (أى علم وظائف الأصوات)، ويمثل شكل المحتوى المعنى أو المضمون (وهذا غريب لأنه فى تمثيل هيلمسليف وتوضيح هلبج يقصد به النحو وهذا ينسجم مع النتيجة التالية) . وأما شكل المحتوى وشكل التعبير فيمثلان معاً الرمز اللغوى بجانبيه (الشكل و المحتوى) . وهذا معناه أنه الموضوع الحقيقى لعلم اللغة . ويعلى جوهر المحتوى الأفكار قبل أن تتحقق . أى قبل أن توضع فى نظام اللغة . د. محمود جاد الرب الكتاب السابق ١١٨ .

فضلاً عن ذلك فإنه يتحدث فى الغالب عن أنه داخل النظرية الجلوسماتية ينظر إلى مستوى التعبير ومستوى المضمون على أنهما متوازيان، منظمان بشكل متماثل (كوريلوفيتش Kurylowicz ١٩٤٩) . إن ذلك ليس بصحيح تماماً . فلو لم توجد أية اختلافات تركيبية على كلا المستويين، لكانا إذن متماثلين من جهة التركيب .ولذا لم يوجد أى سبب وفق مبدأ البساطة لعدهما منفصلين . فعلى العكس من ذلك قد يطالب التماثل فى الشكل معالجتهما بشكل طاغ على أنهما الشئ ذاته بوجه عام (فارن شبنج – هانزن ١٩٦٦، ص١٤١) . ولايقصد بمبدأ التوازى "Parallelismus - *Prinzip" إلا أن المضمون والتعبير لايمكن إدراكهما إلا بالمقولات ذاتها، أى أنه يجب أن توجد على كلا المستويين الأنواع ذاتها من العلاقات – والوظائف . فكلا المستويين يمكن عرضهما على أنها تدرجان من الأقسام (الأصناف)، ولايقصد بمبدأ التوازى Parallelitatsprinzip أكثر من ذلك (على أيه حال ليس ذلك فى ، المداخل ،) . ٧٧

ويكمن فى نواة إجراء التحليل تماماً منهج اختبار محدد لوثاقة الصلة اللغوية للوحدات النص – وهو مايسمى اختبار الإحلال (التبادل)Kommutationstest . ** فتعد وحدتان من المستوى ذاته مختلفين (وهو مايعنى دائماً أنهما تقعان فى علاقات تركيبية مختلفة) ، حين يكون لارتباطهما علاقة بارتباط على المستوى الآخر، ويوجد بين هاتين الوحدتين إحلال .

مثال ذلك : صوت t , r يقعان فى اللغة الألمانية على مستوى التعبير فى

---

* لعل لهذا المصطلح (تواز ، موازاة ، شبه تطابق) علاقة بنظرية التوازى التى تقول بأن العمليات العقلية والجسدية متلازمة، وأن أحدهما يتغير بتغير الآخر ، ولكن من غير أن يكون بين سلسلتى التغير أية علاقة سببية.

** لهذا المصطلح خصوصية فهو مصطلح منطقى أساساً ، ويختلف عن مصطلحى الاستبدال Substitutionومصطلح إعادة الإحلال Permutation، لأنه هنا كما سيتضح فيما يلى محدد بأن العلاقة بين شكل التعبير وشكل المعنى تنشأ من خلال قانون الإحلال (التبادل ، أو الاستبدال أو التبديل) وهو يتحقق حين يطابق تغيير ما فى شكل التعبير تغييراً فى شكل المحتوى . راجع الهامش السابق وما جعلنى أرجح علاقة المصطلح السابق بنظرية التوازى.

ارتباط بعضهما ببعض فيما يتعلق بالوحدتين النحويتين rat (نصيحة) و tat (عمل)، ويطابق ذلك على مستوى المضمون الارتباط بين <Rat> , < Tat >. يقع الصوت اللسانى r والصوت الحلقى r كذلك فى ارتباط ، فهما يشكلان وحدة جدولية. ولكن لايطابق ارتباطهما هنا أى ارتباط على مستوى المضمون : فكل من Rat , rat لهما مضمون < Rat > (نصيحة) (أى لا اختلاف فى المعنى بين الشكلين) .

ويجرى ذلك كله على وجه الإجمال فى منهج التحديد الجدولى (الصرفى)، على نحو ماطبق فى فونولوجيا براغ *. وفى الواقع يعد منهج الإحلال فى الجلوسماتية فى جوهره أكثر عمومية ولا يدرك بوجه خاص إلا على نحو شكلى صارم. (حول التطبيق العملى للمنهج انظر مثلاً فيشر - يورجنسن Fischer - Jørgensen ١٩٥٦).

أما الهدف الأخير للتحليل الجلوسماتى فهو إقامة حساب تحليلى جبرى (algebraischer Kalkül) يمكن أن تقدر بناءً عليه كل إمكانات التأليف فى اللغة المعنية، وهى فى الحقيقة أيضاً تلك التى لم تتحقق بعد فى النصوص الموجودة ، ولكن تحددها النظرية بأنها ممكنة (أى تقدرها أو تتوقعها) . ذلك هو المقصود حين يعنى فى تواز مع دى سوسير ، أن اللغة توجد مسبقاً فى مقابل تحققاتها، أو أن (وجود) النص يشترط (وجود) النظام**.

---

* ويعتقد هيلمسليف أن لغوى براغ بحثوا الشكل من خلال الجوهر أو مايمكن أن نعبر عنه بأنهم بحثوا الجوهر الشكلى. أما هو فيرى أنه ينبغى أن يبحث علم اللغة الشكل منعزلاً عن الجوهر. ولذا فإنه لايكترث بالجوهر التى تتحقق فيه اللغة بقدر اهتمامه بالشكل الذى ورد فيه هذا الجوهر ، حيث إن اللغة يمكن أن تتحقق فى جوهر متنوع ، فقد تكون منطوقة كما قد تكون مكتوبة مدونة.

وإذا كان موضوع علم اللغة هو شكل المحتوى وشكل التعبير فى مستويات التحليل اللغوى - كما سبق القول - فإن الجانبين الآخرين (مادة المحتوى ومادة التعبير) يؤديان إلى تداخل علم اللغة مع أسس علوم أخرى كالفلسفة وعلم النفس والطبيعة ، وإن كان لم يلاحظ هيلمسليف أن المتكلم كفرد أو كعضو فى جماعة إنما يعنى أن يتداخل علم اللغة مع علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع ، وهو مجال سيهتم به علم اللغة الاجتماعى الحديث . د. جاد الرب ، علم اللغة ص ١٢٢ ، ١٢٣ نقلاً أناماری تسرنيكوف A.Zarnikow : Einführung in die Linguistik, S. 16.

** هذا مبدأ جوهرى فى نظرية هيلمسليف كما أشرنا - فللغة وجود سابق على النص ، فاللغة توجد أولاً ثم تتحقق بعد ذلك فى نص ، ويعنى ذلك بشكل عكسى أن وجود النص أى تحققه يفترض حتماً وجود نظام لغوى له سابق عليه .

وننهى هنا عرض النظرية الجلوسماتية . ويمكن أن يؤكد على نتيجة وهى : أن كل المواقع الأساسية (الأفكار/ الثنائيات) لدى سوسير قد أيدتها الجلوسماتية، ومع ذلك فقد حررت دى سوسير من كل ماهو من علم الجتماع، وحصرته فى جانب علاماتى محض. فقد أعيد تحديد كل المفاهيم تحديداً شكلياً . ولم يستنبط المنهج ويحفز إلا من فروض عامة تتعلق بنظرية العلم .

ولا يذهب المرء بعيداً جداً إذا وصف الجلوسماتية بأنها أكمل صياغة وأصفاها، ومن البدهى أيضاً أنها أكثر عقماً *، فى البنيوية الأوربية .

٧٨ لقد قلت فيما سبق فى الباب الخاص بدى سوسير أنه لايوجد ما يعترض عليه، حين ينظر إلى اللغة على أنها شكل وبنية مستقلان عن الإنسان المستعمل للغة ، وليست محفزة من خواص للغة المتخذة على أنها واقعية ، بل من اعتبارات منهجية. فليس الأمر أن اللغة بنية مستقلة غير تابعة، بل نحن نصفها بذلك؛ نراها فى إطار هذا الجانب. على العكس من ذلك فليس هناك فى الحقيقة ما يعترض عليه، بغض النظر بداهة عن أن هذا النهج التجريدى كان عليه أن يثبت شرعية مرة من خلال وثاقة صلة عملية بنتائجه.

ويبدو أن موقف الجلوسماتية على هذا النحو تماماً . فقد جال أولدل (Uldall) سنة ١٩٥٧ كلية أيضاً من فكرة أنه ليست طبيعة الشئ هى التى تحدد المنهج، إذ العلم بالنسبة له أشبه بقانون Kanon القوانين، يمكن بناءً عليه أن يدرك الشئ (الموضوع) ليس ، فى حد ذاته ،، ولكن لها مزية أن المعارف المحدودة بالتأكيد ، والمتاحة من خلالها يمكن أن تكون مباشرة ويختبرها كل إنسان . ويبدو لى أن أساس عدم تبعية الموضوع للمناهج العلمية مقبول ، ولكن من غير المقبول كلية التصور المتضمن فى الجلوسماتية (وفى ضروب كثيرة من الوضعية المنطقية) وهو أن الأمر فى ذلك يدور

* لا أدرى لماذا وصفها المؤلف الوصف برغم كل مافصله عنها ، وربما قصد بحسن نية أنها النظرية التى لاتعقب ، أى ليس لها امتداد، أو أنه ليس له أتباع استمروا فى تطويرها وتعديلها والإضافة إليها كما حدث لنظرية دى سوسير أو البنيوية الأمريكية مثلاً ؟ ! وهكذا غريب لأننى أظن أن لها امتداداً فى نظريات لغوية أوربية ، وإن كان بشكل جزئى ، أى أفادت من بعض أفكاره دون أن تتبنى النظرية ككل مثل المحاور الأساسية فى التطور المستمر لعلم اللغة النظامى لها لديأى .

حول « قوانين » : أ) خلقت فى فراغ من الناحية التاريخية إلى حد ما بمواضعة تحكمية غير مقيدة ، ب) وحددت عقدياً لمرة واحدة وأخيرة . إذ يجدر بالعلم العقلى أن ينظم على نحو أن يخضع مناهجه فى أثناء عملية البحث ذاتها للاختبار بشكل لاينقطع . وبعبارة أخرى : ففى الحقيقة لاتتبع المناهج الموضوع ، ولكن ربما تتبع فهمنا للموضوع واهتماماتنا بالموضوع. وعلى النقيض من ذلك يجد المرء لدى الجلوسمايتين تجاهلاً تاماً للطبيعة التاريخية للعلم وهو ما يجرى لديهم على الجدلية الكلية لمناهجهم النسبية أساساً والتاريخية فقط أيضاً .

هذه نقطة من النقاط التى لم تساير فيها الجلوسماتية برغم كل المعارف الوضعية المنطقية أو التجريبية المنطقية على أية حال. وثمة ميزة بارزة وجديرة بالاستحسان أساساً للتجريبية المنطقية ، وهى : أنها ذاتها متضمنة فى سير علوم التجربة الوضعية . ومن المميز كذلك أن علماء الجلوسماتية لايرتبطون إلا بكل صياغات التجريبية المنطقية ، ولم يتعرفوا على الإطلاق تطورها التالى (يعد يوهانس Johansen ١٩٥١ مثالاً مميزاً لذلك) . ويمكن إثبات عدم الاتفاق مع نظرية العلم ٧٩ المنطقية – التجريبية فى نقاط كثيرة أخرى (انظر أونجهوير ١٩٥٩) ، بحيث تبدو صحة نتيجة أنه كما هى الحال تماماً لدى دى سوسير قد لبس عَلم اجتماع دور كايم تلبسياً فقط ولدى علماء الجلوسماتية لم تكن التجريبية المنطقية إلا « زخرفة / حلية » . ولايمكن هنا إيراد إثبات مفصل ، ولكنى أريد أن أصور بإيجاز فعلاً كيف كان من الممكن أن تصل الجلوسماتية بناء على نظرية العلم الخاصة بها ذاتها إلى أكثر مما وضعته فى الاعتبار فى اللغة حقيقة . أى كيف تضاربت فى الواقع نظريتها وعملها بعضهما مع بعض .

يتحدث أولدل عن أن العالم كل موحد من العلاقات . وداخل هذه الشبكة العالمية توجد كما يقال جزائر من كثافة خاصة من العلاقات ، ويمكن أن تقدم تلك الجزائر فى كل مرة الموضوع الخاص لفرع علمى خاص . ويعنى الاستقلال هنا أكثر من أن تنظر هذه الجزائر فقط فى العلاقات الداخلية "Immanente Beziehungen"، أى فى حال علم اللغة، العلاقات بين عناصر لغوية بعضها ببعض فقط. ولكن لايوجد سبب لافتراض أن ما تسمى العلاقات الداخلية لاتتبع

أيضاً العلاقات بين العناصر خارج «الجزيرة» ، وبعبارة أخرى : إن بنية اللغة لاتحددها معطيات من خارجها ذاتها ، أى فى المقام الأول من عالم غير لغوى والتواصل الإنسانى عبره. ولم يحفز بشكل ملح على الإطلاق فى نظرية العلم الخاصة بالجلوسماتية، مطلب نظرة مستقلة للغة . وحين يمارس عملياً علم لغة داخلى ومستقل ومنعزل بأصدق معنى للكلمة ، فإن ذلك يكون نشاطاً تحكمياً للغاية لايوجد له أى تعليل امبريقى أو مستهدف فى الواقع العملى . وقد صُيِّر النهج البنيوى والجدل بشكل محتمل لعلم اللغة من خلال هذا المبدأ الداخلى (Immanenzprinzip) * القبلى نسبياً. ، وفى الحقيقة قد أحل البنيويون المتشددون محل الدراسة المنعزلة لظواهر لغوية مفردة فقط دراسة منعزلة لظواهر نظامية مفردة للغة » (موتش Motsch) .

وفضلاً عن ذلك يشار إلى أنه حتى لو كان علم اللغة البنيوى الجلوسماتى قد نظر إلى اللغة فى علاقتها بالاستخدام اللغوى فإنه ربما أنشئت باستمرار طريقة نظر ضيقة وفقيرة حقاً، ولأن الانسان المتكلم بمفهوم الجلوسماتية فى كل الأحوال منتج للنص ، ولم يكن بعد متواصلاً لمرة واحدة (مثلما فى مدرسة براغ) ناهيك عن أن يكون الإنسان الفاعل اجتماعياً **. ٨٠

---

* يعنى هذا المبدأ دراسة اللغة داخلياً (أو باطنياً أو محايثاً) ، ولذلك نجد الباحثين المغاربة يميلون إلى المصطلح الأخير ، ويطلقون عليه « مبدأ المحايثة » ، وكذلك يطلقون على مبدأ تعيين أو تحديد الهوية أو تعرفها (Identifikationsprinzip) «مبدأ التماهى»، ويمكن بلاشك استخدام هذه الترجمات ، ولكنها عسيرة على القارئ . وماضرورة اللجوء إلى هذا النهج فى تعريب المصطلح ، فى الوقت الذى توجد فيه مصطلحات واضحة دقيقة تعبر عن المفاهيم تعبيراً مقبولاً .

** يترجم د. جاد الرب فى كتابه السابق هذه الفقرة بشكل غريب على النحو التالى : إن أهم ما تتميز به نظرية الجلوسماتيك هو تأكيدها القاطع على استقلال التحليل اللغوى عن المجالات الأخرى غير اللغوية. ومن ثم فإن تركيب اللغة لايتحدد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية . وتنشأ طريقة التحليل أو البحث دون جهد عندما يرى علم اللغة البنائى الذى ينتمى إلى نظرية الجلوسماتيك أن اللغة مرتبطة دائماً باستعمال اللغة حيث ترى النظرية أن الإنسان الناطق منتج للنص اللغوى فى كل حال، فليس مرتبطاً باللغة مرة واحدة أثناء النطق كما ترى مدرسة براغ .

فاللاتحفيز والانتقائية اللتان دعمت بها الجلوسماتية مبادئ خاصة بنظرية العلم فى التجريبية المنطقية وماثلت بينها تجبر على نتيجة : أنه برغم كل الشكلية فلم تستخدم الجلوسماتية أيضاً الوجود السابق للغة بوصفها شكلاً وبنية أمام الإنسان المتكلم، بوصفه (أى الوجود) بدهية منهجية محضة ، بل عدته معطى واقعياً على أى نحو كان . ولذا يصل أو نجهوير (Ungeheuer) أيضاً إلى نتيجة : أن مقولات البنية فى الجلوسماتية ترتكز على طبيعة موضوعها، وليس على اعتبارات خاصة بنظرية العلم ، ولذا أبرز من جهة أخرى إلى حد بعيد الموقف الأساسى الممنطق ، (أونجهوير ١٩٥٩ ، ص ١٤) .

ويمكننا الآن أن نصف علم اللغة البنيوى باختصار بشكل مؤقت على النحو التالى :

فهو يمثل بوجه عام رد فعل ضد النحاة الجدد الذين لم يجز مذهبهم وإيمانهم بالحقائق أى وجود آخر للغة غير وجود كم من التداعيات فى رأس أفراد متفرقين، وهو ما يتوافق منطقياً مع نظرة تاريخية ككل . وعلى العكس من ذلك يحدد علم اللغة البنيوى فكرة التزامنية وفكرة نظام اللغة، ولكنه يعزلهما عزلاً تاماً عن الملامح الاجتماعية الأخرى للإنسان ، ويحول الافتراض أخيراً إلى معطى لايوجد بوصفه محصلة لسلوك إنسانى ، بل بوصفه قيداً مسبقاً لسلوك إنسانى. وقد أدى هذا بالنكوص الجذرى عن علم النفس إلى نتيجة أن العلم الذى يتبع علم اللغة لايمكن أن يدرس باستمرار إلا تحقق اللغة فى السلوك الكلامى . ولم يُصَغ الاعتقاد بأنه يوجد شئ من خلال أو فى السلوك الكلامى وبأنه مستقل واقعياً عن هذا السلوك، ومن ثم يمكن أن يوصف ويوضح بشكل مستقل ، فى مكان آخر بحيث يمكن اختباره تجريبياً . أما النظريات التى سخرت لتأكيد هذا الاعتقاد فقد استخدمت بشكل مثالى محض (كما هى الحال لدى فايسجربر) أو تثبت أنها ليس لها وجه حق، مثل علم الاجتماع لدى دى سوسير أو الوضعية المنطقية لدى هيلمسليف. وثمة استثناء محدد يمثله

علماء براغ المرتبطون حقيقة بدى سوسير، الذين حاولوا أن يتجاوزوا باستمرار البنيوية المفترضة بشكل مثالى على أساس وظيفيتهم ، دون أن يوفقوا فى الواقع إلى نظرية ثابتة * .

* لا أدرى لماذا حرص المؤلف على تأكيد صلة فونولوجيا براغ بدى سوسير أكثر من تأكيده صلة جلوسماتية هيلمسليف بدى سوسير أيضاً فكلاهما لم يخرج المبدأ الجوهرى له وهو أن اللغة شكل وليست مادة ، ولذا أجد الأمر مغايراً لدى روبنز إلى حد ما، إذ يقول : ويمكن النظر لجلوسيماتية (التحليل شبه الرياضى للغة) يلمسليف بوصفها التأكيد السوسيرى على الصيغة (يقصد Form، وترجمتها إلى الشكل أصوب وأنسب للمقام) فى مقابلة المادة فى ، مستوى المعنى (الدلالة والقواعد) و ، مستوى التعبير (الفونولوجيا) (ولم يذكر الأصوات ، لماذا ؟ ، وعلى تعريف الصيغة (الشكل) بوصفها العلاقات المتبادلة للعناصر. والانتقال بالمستويين المنطقيين يعنى أن تحليل المعنى يجب أن يكون مستقلاً عن المعايير الوجودية فوق اللغوية ، وأن تحليل التعبير (الفونولوجيا) يجب أن يكون مستقلاً عن المعايير الصوتية (فوق اللغوية المزعومة) . وأن العلاقات بين العناصر، وليس بالعناصر نفسها ، هى موضوع العلم. روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ص ٣٢١ (كل ما هو بين القوسين من تعديلاتى للمصطلحات) .

الباب الرابع

بلومفيلد والتوزيعية



٤ - ١ - ليونارد بلومفيلد

كان المحفزان والرائدان الكبيران للبنيوية الأمريكية الكلاسيكية (= التوزيعية) هما فرانز بواز F.Boas وادوارد سابير E.Sapir . فقد كان بواز عالماً انثربولوجياً ، وعنى منذ بداية القرن بفهم الثقافات الأمريكية الهندية . ولقد فتحت أوصافه ودراساته المرتبطة بذلك على لغات الهنود لعلماء اللغة الأمريكيين نظرة على التنوع اللانهائى إلى حد ما للغات الإنسانية* Variabiltat، الذى جعل قصور نظام الفصائل النحوى التقليدى لإدراك لغات غريبة للغاية واضحاً على نحو لم يكن كذلك من قبل. وفى الوقت نفسه صير من خلال دراسات بواز الموقف الوصفى فى دراسة اللغات بدهياً للغاية بالنسبة للغويين الأمريكيين . ويرجع الفضل لسابير (فى مؤلفة الأساسى ١٩٢١ "Language") بوجه خاص بمفهومه عن النموذج - pattern فى إدخال الجانب النظامى – البنيوى إلى علم اللغة الأمريكى** (حول تاريخ علم اللغة الأمريكى ، انظر كارول Carroll ١٩٥٣) .

اشترك كل علماء اللغة الأمريكيين بلا استثناء تقريباً فى العشرينيات حتى الأربعينات بشكل أو بآخر فى فهم لغات الهنود . فقد كانت هذه هى المهمة العملية الحقيقية التى ارتأى علم اللغة الأمريكى أنه نُصّب لها . ويجب على المرء أن يراعى هذا السبب الحقيقى حين يريد أن يفهم طموح هؤلاء العلماء إلى منهج آلى تماماً ما أمكن ذلك للوصف اللغوى، فقد أخفقت أمام عالم لغوى وثقافى غريب كلية تقنيات الوصف والتلقى التقليدية ، التى تشترط دائماً معرفة مسبقة حدسية محددة عن اللغة الموصوفة (انظر حول ذلك أيضاً الباب الخامس، المبحث الرابع) . وقد كان ل .

* ذكر روبنز فى الموجز ص ٣٣٤ : وقد ركز بووز عمله على هذه اللغات وإضافة لدراسات وصفية كثيرة فقد حرر ، وبشكل جزئى كتب «كتيب اللغات الأمريكية – الهندية : - "Handbook of American Indian languages"، ولاتزال «المقدمة التى كتبها بووز مقدمة ممتازة لعلم اللغة الوصفى .

** وفى السابق ص ٣٣٣ : ومما هو جدير بالملاحظة أن سابير فى كتابه عن النظرة الفونيمية ونهجها قد اعتنق وجهة النظر النفسية عن الفونيم، مؤكداً على التماثل بين تجريد اللغوى وبين رد فعل ابن اللغة وحدسه نحو لغته.

بلومفيلد L.Bloomfield، الذى وضع فى مؤلفه الذى صار كلاسيكياً «اللغة Language» (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣، ويستشهد هنا بطبعة كتاب بلومفيلد ١٩٦٩) لعلم اللغة الأمريكى إطاراً لغوياً نظرياً، اعتد بهذه الحتمية للآلية ، الميكانيكية Mechanismus ، وعللها من جهة نظرية العلم بوجه عام*.

وفى بداية نشأة بلومفيلد اللغوية حسبما تفصح سيرته الذاتية (انظر بلومفيلد ١٩٣٨) وجدت صلة بينه وبين نحو النحاة الجدد وآرائهم حول القانون الصوتى. فقد استأسرت شعارات اللاستثناء فى القوانين الصوتية وعدم تبعيتها لعوامل دلالية لكل كيان بلومفيلد الشاب ، وظهرت هنا كذلك إمكانية (نشوء) علم لغة بوصفه فرعاً علمياً تجريبياً صارماً . لقد درس بلومفيلد بعض الوقت (من ١٩١٣ إلى ١٩١٤) فى ليبزج وجوتنجن **. ويمكن أن يفترض أنه قد تشكل هنا موقفه العلمى فى الالتقاء المباشر بنحو النحاة الجدد ، وإن لم يصغ نظريته الخاصة بشكل نهائى (حول سيرته الذاتية انظر بلوخ ١٩٤٩) . فالنظرية ذاتها لم تتشكل إلا بعد إضافة عامل تأثير حاسم فى كل شئ، ألا وهو علم النفس السلوكى، الذى ألم به بلومفيلد عبر أ .ب وايس ***.

٨٢

---

* ذكررويلز فى الموجز ص ٣٣٤ موضحاً ذلك : وعلم اللغة الأمريكى والنظرية اللغوية الأمريكية فى فترة التكوين تلك كانت متأثرة بالوضعية الصارمة لعلماء النفس السلوكيين أو الميكانيكيين ، وكأن التأثير قوياً فى بلومفيلد بشكل خاص، والذى فى كتابته لكتابه القيم Language (نشر لأول مرة فى عام ١٩٣٣) قام بمراجعة صارمة لكتابه السابقة : Introduction to linguistic science (المنشور فى لندن ونيويورك عام ١٩١٤) ليجعل أسسه النظرية متفقة مع النظرية الميكانيكية مثل أ . ب . وايس A.P. Weiss ، والتى فى إطارها يجب التعبير بشكل كامل عن الأفكار حول الخبرة الإنسانية والنشاط الإنسانى ، بطريقة تتصل - بقدر الإمكان على الأقل - بالظواهر الملاحظة فى المكان والزمان من طرف أى ملاحظ وكل ملاحظ وقول بلومفيلد «حديث الانسان لنفسه أو تفكيره ، و «الصورة الذهنية والشعور وما شا به عبارة عن مجرد تعبيرات شائعة عن حركات مادية مختلفة «قول نموذجى فى التعبير عن موقفه هذا .

** درس بلومفيلر علم اللغة التاريخى للقواعد بين الجدد على يد لسكين وبروجمان .

*** وبخاصة من خلاله كتاب وايس : الأساس النظرى للسلوك الإنسانى A theoretical basis of humain behvior ، الذى طبع عام ١٩٢٩.

فالسلوكية بلاشك مثال من الأمثلة الكلاسيكية على اتجاه علمى للوضعية الجديدة. وعلى الرغم من ذلك فقد طور نفسه بشكل مستقل على الإطلاق ودون احتكاك مباشر بالوضعية الجديدة الأوربية (لدى النمساوى كرايس Kreis). فقط فيما بعد، بعد هجرة أتباع حلقة فيينا وجدت احتكاكات ، وبخاصة أيضاً بين كارناب واللغويين المتأثرين بالسلوكية ، وفى أثناء ذلك نشأ عند تأسيس نظرية بلومفيلد اللغوية بوجه خاص مذهب سلوكى ذو طابع أمريكى خالص دون أى تأثير من خلال فلسفة النمساوى كرايس باته (حول جذور السلوكية من خلال أهميتها لعلم اللغة، انظر اسبر Esper ١٩٦٨).

ليس هنا موضع لمعالجة السلوكية فى حد ذاتها ، ومن ثم سوف نقتصر على بعض أسس عامة للغاية فقط ، تستقى بوضوح فى أعمال لغوية باستمرار أيضاً .

١ - الميكانيكية - الفيزيائية : فى ›جوانب لغوية للعلم Linguistic Aspects of Science (الطبعة العاشرة ١٩٦٩) سرد بلومفيلد الصياغات* المختلفة الأربعة، ولكنها مؤدية إلى الشئ ذاته، لما يميز العلم عن النشاطات الإنسانية الأخرى:

›سوف يتعامل العلم مع أحداث يمكن أن يصل إليها بسهولة فى زمانها ومكانها أى ملاحظ ، وكل الملاحظين (سلوكية صارمة) أو يتعامل فقط مع أحداث توضع فى اتساقات مع الزمان والمكان (الميكانيكية) أو أن العلم سوف يوظف هذه التقريرات والتوقعات المبدئية، كالتى تعود إلى عمليات معالجة محددة (التجريبية

---

* يقصد المصطلحات أو المفاهيم أو المحاور الأربعة التى تشكل أساس نظرية بلومفيلد بوجه خاص، لوجود اختلافات بين وبين علمى هذه المدرسة ، أعنى بواز وسابير ، كما سأبين فى الهوامش التالية ، وهذه المحاور الأربعة هى : (السلوكية behaviorism)، (الآلية mechanism) والتجريبية (العملية) operationalism والفيزيائية physicalism) .

«العملية») أو مصطلحات فقط مثل المشتقة من تحديد صارم لمجموعة من المصطلحات اليومية المتصلة بأحداث فيزيائية (الفيزيائية) ». (ص١٣) *.

ويجيز ذلك كله الوصول إلى الصياغة البسيطة وهى : أن المنطوق لايكون علمياً إلا حين يمكن أن يرجع وفق قانون ثابت من قواعد محددة إلى منطوقات عبر وقائع يمكن ملاحظتها مباشرة. ويعد أى منطوق آخر ميتافزيقياً . ولدى بلومفيلد (١٩٣٦) أجيز نمط آخر أيضاً من المنطوقات ، وهى منطوقات عبر لغة العالم، يتحدث فيها عن المعطيات التجريبية . وفى تفسير بلومفيلد يمكن أن ترجع تلك المنطوقات بشكل غير مباشر إلى مايمكن ملاحظته أيضاً ، وهو ما يوضحه المثال التالى : فمقولة ، فى اللغة ل توجد أسماء ، ابتداءً ، ليس لها معنى ، لأن الأسماء ربما كانت مفهوماً ميتافزيقياً ، ولكن إذا عدت هذه المقولة مقولة عن لغة العلم، فهى ليست إلا إيجازاً للمقولة المفيدة ، توجد فئة من الوقائع الممكن ملاحظتها يكون رد فعل اللغوى عليها بصيغة لغوية هى الأسماء (Substantive) » . ٨٣

٢ - نموذج S- R- (المثير - ورد الفعل «الاستجابة»)

إذا مانقلت المبادئ الميكانيكية السابقة إلى علم السلوك فإنه ينجم عن ذلك أن كل منطوق يجب أن يفهم فى مصطلحات المثير ورد الفعل (stimulus - response)، إن توضيح سلوك معين يعنى أن يُقَدَّم : أى مثير أعقبه هذا السلوك بوصفه رد فعل . فمن البدهى أن ينتج عن المبدأ الصارم لإمكانية الملاحظة أن المثير لايمكن أن يكون

---

* قد نبه روبنز فى كتابه السابق ص ٣٣٥ إلى فروق بين معالجة بلومفيلد ومعالجة سابير، قائلاً : كان سابير وبلومفيلد يقفان متقابلين ، يكمل أحدهما الآخر فى مقاربتيهما للموضوع ، فقد كان بلومفيلد علمياً بشكل صارم، وكان - فى ضوء تفسيره الميكانيكى للعلم - مركزاً على المنهجية وعلى التحليل الشكلى formal. أما سابير فى المقابل فقد طاف خلال موضوعه حوله مستكشفاً علاقاته بالأدب والموسيقى والأنثرلوجيا وعلم النفس ، ومعبراً عن آراء حول اللغة تشبه آراء بووز التى تذكرنا بآراء همبولت التى طورها وورف فيما بعد ، وكل منهما يلح على التأثير الواسع للغة فى الحياة الإنسانية . ولعل النظرة الخاطفة مع الكتابات المختارة لسابير (selected writings) تظهر لنا مدى اتساع مجال معرفته، كما أن مقارنة مؤلفه «اللغة» Language بمؤلف بلومفيلد Language تعطينا صورة منصفة عن الفروق فى مقاربة كل منهما كل منهما وفى موضوعه .

إلا تأثيراً خارجياً فيزيائياً على الكائن الحى المتصرف . ومن ثم يكون للإيضاح السببى كل اعتماد على الحال العقلية أو النفسية الداخلية للكائن الحى غير جائزة . وبذلك يقدم الأساس الثالث :

٣ - اللاعقلية أو اللاذهنية *

جميع المفاهيم التى تستند إلى الحال الداخلية ولايمكن أن ترجع إلى معطيات فيزيائية (أى إلى عمليات مادية فى المخ أو خبرات إثارة سابقة) تستبعد لكونها عديمة الجدوى وميتافزيقية ويتبعها هنا خاصة. الوعى، الإرادة ، المقصد ... الخ وبإيجاز كل المفاهيم العقلية. فأن تقول إن الإنسان يتصرف على هذا الوجه وعلى ذلك الوجـه لأن لديه الإرادة لذلك، كـأنك لم تقل شئ على الإطلاق. وكـذا أن يستخدم تعبير جدلى عشوائى، رجوع إلى مذهب حيوية المادة Animisus**. على نحو مايقصد البدائى حين (يقول) : إنها ترعد (تبرق) الآن ... هناك إله فى السحاب يجعلها ترعد ، ويضع العقلانى الحديث فى الكائن الحى الذى يسلك سلوكاً ما، إرادة، أى أنه إنسى إلهى صغير، يقف على الطرف الآخر من الحتمية السببية KausalgesetzmäBigkeit . فكل كلام عقلى ليس إلا كلاماً خاصاً بروح المادة «قزم يتحدث». الآن كيف استقرت اللغة داخل هذا العمل الإطار، من الأفضل أن تجعله الحكاية الأشهر واضحاً التى حكيت مراراً فى علم اللغة : «افترض أن جاك وجيل كانا يسيران فى طريق ما. كانت جيل جائعة، ورأت تفاحة على الشجرة ، فأصدرت صوتاً من حنجرتها، ولسانها وشفتيها. قفز جاك من فوق السور وتسلق الشجرة وأخذ التفاحة وأحضرها إلى جيل ووضعها بين يديها. أكلت جيل التفاحة» . (بلومفيلد ١٩٦٩، ص٢٢). ٨٤

---

* يقصد بذلك مصطلح Antimentalismus مخالفة كل ما هو عقلى أو ذهنى ويعرب أيضاً ضد العقلية (الذهنية) واللاعقلية (الذهنية) وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمذهب الآلية (الميكانيكية) Mechanismus.

** يقصد بالأرواحية؛ مذهب حيوية المادة : الاعتقاد بأن لكل ما فى الكون وحتى للكون نفسه روحاً أو نفساً ، وكذا الاعتقاد بأن الروح أو النفس هى المبدأ الحيوى المنظم للكون .

وينتج عن تحليل هذه العملية فى مصطلحات (المثير - رد الفعل الاستجابة) أن : مجموعة من الوقائع الخارجية تؤثر بوصفها S مثيراً لجيل . غير أن رد فعلها على ذلك لم يكن عملياً بشكل مباشر بل بإنتاج موجات صوتية، أى بمنطوق لغوى أو، رد فعل بديل لغوى ، r، ويؤثر رد فعل جيل البديل هذا من جانبها بوصفه مثيراً بديلاً لغوياً S فى جاك، الذى يكون رد فعله على ذلك بفعل عملى :

المنطوق الكلامى

S ------> r .... s ---->R

مثير رد فعل (بديل) .... مثير (بديل) رد فعلى (عملى)* .

فما حدث هنا مثير للغاية، الكائن الحى جاك يقوم برد فعل على مثير قد أثر فى الحقيقة فى كائن حى آخر ، وهو جيل . إن ، اللغة تمكن شخصاً ما من أن يقوم برد فعل (R) حين يكون لدى شخص آخرمثير (S) ، . (بلو مفيلد ١٩٦٩، ص ٢٤) . ومن الجلى أن العملية المعقدة للغاية لمجموعة من الكائنات الحية الإنسانية المفردة بوصفها جماعة منظمة لاتكون ممكنة إلا من خلال أنه قد أقيم بين الكائنات الحية المفردة بواسطة اللغة جسر. ومن البدهى ألا يحتاج إلى أن تتبع مثيراً لغوياً عملية رد فعل عملى فى الحال؛ إذ يمكن للإنسان المتحدث إليه من جهته أن يقوم برد فعل ، فى صورة منطوق لغوى ... الخ . ولكن تبعاً للنظرة المادية - الميكانيكية يقع فى بداية تلك السلسلة التى يمكن أن تكون طويلة وشديدة التعقيد، دائماً مثير عملى S وفى نهايتها دائماً رد فعل عملى R .

---

* لاتدرس اللغة هنا فى ذاتها من أجل ذاتها (كما أراد دى سوسير) بل تدرس سلوكياً بدراسة العلاقة بين واقعة (حدث) خارجية ،مثير، ، ورد فعل صوتى (غير عملى) بديل يقوم بوظيفة مثير صوتى (غير عملى بديل ، وأخيراً رد فعل له (عملى) . وبذلك تتشكل هنا أربع عمليات، اثنتان لغويتان واثنتان غير لغويتين : الأولى (غير لغوية) حدث مثير ----> والثانية (لغوية) رد فعل ---> والثالثة (لغوية) مثير ---> والرابعة (غير لغوية) رد فعل. ويمكن دمج الثانية فى الثالثة (رد الفعل الذى يقوم بوظيفة لغوية أيضا) فتكون العملية الوسطى لغوية (أفعال كلامية) والأولى الأخيرة غير لغوية (البداية مثير عملى S، والنهاية رد فعل عملى R) .

ولايمكن أن تقوم اللغة بوظيفة الجسر إلا حين تقوم برد فعل فى مجتمع بعينه على منطوقات لغوية معينة ذات نماذج رد فعل ثابتة معينة، وحين تكون هذه النماذج ملزمة اجتماعياً . وهكذا تعمل اللغة أكثر من أن تكون مجرد بيوفزيائية (حيوية فزيائية) بل بيو اجتماعية (حيوية اجتماعية).

وهكذا يوجد فى اللغة ما هو اجتماعى من خلال السلوك الإنسانى أساسه المادى للإيضاح، فلم تعد هناك حاجة إذن لإيضاح الإنسان بأنه كائن حى يسلك سلوكاً اجتماعياً ، عند مراعاة اللغة، إلى أى ، إنسى عقلى اجتماعى فينا، . وما هو اجتماعى ليس جوهراً جديداً كمياً، يتميز من خلال الإنسان عن الحيوان . فالإنسان قد طور خاصة عادات أكثر تعقيداً ، مثل اللغة، التى يمكن إيضاحها دائماً بشكل جوهرى من حتميات المثير ورد الفعل المماثل على نحو السلوك الحيوانى. ويعزو بلومفيلد إلى صديقه أ.ب . وايس الفضل فى وضع اللغة على هذا النحو فى إطار علم النفس الميكانيكى (الآلى) (انظر بلومفيلد ١٩٣١)الذى يرجع إليه الفضل فى كل شئ بشكل واضح فى هذا الجانب. ٨٥

ويمكن الآن أن ينشأ من كل ذلك انطباع بأنه لدى بلومفيلد خلافاً لطموحات علم اللغة الأوربى – يعد علم اللغة مجرد قسم خاص فرعى لعلم النفس، أى ليس علماً مستقلاً. وفى الحقيقة يتناقض ذلك مع فقرات كثيرة لدى بلومفيلد، فيها يؤكد على استقلال اللغة ويفترض أن هذا (علم اللغة) يجب أن يكون متحرراً من كل فرض نفسى خاص :

« ... بوجه خاص يفصلنا (أى المنهج البدهى للعرض) عن الجدل النفسى .... » (بلومفيلد ١٩٢٦ ص ١٥٣) . « منذ ذلك الوقت فقد ثوارن كبير فى علم النفس، وقد تعلمنا ، على أية حال ، لماذا ارتاب أحد أساتذتنا منذ ثلاثين عاماً ، فى أننا يمكن أن نواصل دراسة اللغة دون إشارة إلى أى مبدأ نفسى، وفى أن فعل ذلك يبقى نتائجنا ويجعلها أكثر كفاية للمشتغلين بالمجالات ذات الصلة » . (بلومفيلد ١٩٦٩ ، ص VII).

بالمناسبة يعنى ، بأحد أساتذتنا ، دلبروك Delbrück . يتخذ بلومفيلد إذن فيما يتعلق بعلم النفس أيضاً الموقف ذاته تماماً مثل موقف النحاة الجدد منه *: إن علم النفس يحدد بوصفه علم المبادئ الإطار الذى تستقر فيه ظاهرة اللغة. وفى هذا الإطار ، بل وليس إلا فى هذا الإطار أيضاً يمكن للغوى أن يرشد إلى مجال يمكن أن يجول فيه بشكل مستقل . وقد كان هذا المجال بالنسبة للنحاة الجدد التغير المطرد (الحتمى) للأصوات، من خلال تجريد من العوامل النفسية المستلزمة، الآن بالنسبة لبلومفيلد – ما موضوع علم اللغة الذى يمكن دراسته دراسة مستقلاً ؟ .

إن حكاية جاك وجيل تقدم إجابة عن ذلك ، فموضوع علم اللغة هو المنطوق الكلامى speech utterance ذاته، أى المنطقة الوسطى اللغوية ما بين رد الفعل اللغوى... والمثير اللغوى. فعلى علم اللغة أن يصف هذه المنطقة (الجزء)، وفى الحقيقة – ليس على نحو ما فعل النحاة الجدد – باعتباره كومة من عناصر مفردة غير مترابطة ، بل باعتباره شيئاً بنيوياً . ولكن يبدو الآن أن اقتصار العمل العلمى من خلال المبدأ الصارم لإمكانية الملاحظة لايجيز شيئاً آخر غير تحليل الأنشطة الكلامية على أنها أحداث صوتية فيزيائية مجردة. وربما كان علم اللغة ليس شيئاً آخر غير فيزياء الموجات الصوتية، فى أفضل أحواله هو علم الأصوات. ولكن من الواضح أن الأحداث الصوتية اللغوية تختلف عن الأحداث الصوتية الأخرى من خلال أنه بها ٨٦ ينقل شئ يسمى بوجه عام المعنى، ولا يمكن أن يسمى علم اللغة إلا دراسة العلاقة بين المعنى والصوت**. ولكن ما المعنى داخل نموذج سلوكى ؟ إذا ما أراد المراد

---

* لم يكن القواعديون الجدد بأقل من شلايشر فى كفاحهم من أجل تأسيس عملهم فى علم اللغة التاريخى – المقارن فى إطار العلوم الطبيعية ، ولكن فى الوقت الذى اتجه فيه شلايشر إلى البيولوجيا، فإن القواعديين الجدد قد نظروا إلى العلوم الفيزيائية الدقيقة ذات الطبيعة غير الحية مثل الجيولوجيا والطبيعيات بوصفها نماذج لهم . الموجز ص ٢٩٧ .

** وقد هيمن تفسير بلومفيلد لعلم اللغة على مواقف ووجهات نظر معظم الجهود فى علم اللغة الأمريكى فى أثناء الثلاثينات والأربعينيات ، بسبب مكانة كتابه « اللغة» بوصفه كتاباً دراسياً للطلاب (برغم أنه كثر كثيراً من هذا) ولتركيزه المتمعن على المنهجية. وكثير من الأعمال التى أنجزت فى تلك السنوات قد نظر إليها العلماء الذين قاموا بها بوصفها توضيحاً أو تطويراً لبعض الأفكار أو المقترحات التى عبر عنها بلومفيلد ، وقد أصبحت الفترة التالية تعرف الآن بوصفها عهد بلومفيلد، برغم أنه لايمكن القول إن كل خاصية من خصائصه يمكن إرجاعها مباشرة لتطورات بلومفيلد ، الموجز ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.

ألا يرتد إلى تعريفات عقلية فإنه لا يمكن أن ينظر إلى معنى نشاط كلامى إلا فى الموقف الفعلى الفعلى (الحى)، فهو بوصفه مثيراً يؤدى إلى النشاط الكلامى هذا، وفى رد الفعل الذى يعقب هذا النشاط الكلامى . إنى أعد هذه الرؤية جيدة وصحيحة، لأنه من أى جهة أخرى ينبغى أن ينتج معنى نشاط كلامى ، إذا لم ينتج عن سياق الفعل الحقيقى للنشاط الكلامى. ومن البدهى ألا يتجاهل أن المعنى - ومن الأفضل أن يقال العلاقة بين المعنى والصوت - يجب أن تكون موجودة فى أى نوع كان من الشفرة أيضاً فى المتكلم أو السامع، بحيث يجب على المرء أن يصل إلى تفريق بين المعنى الذاتى والمعنى الموضوعى (قارن A.A.Leont'ev ١٩٦٩) . وفى الحقيقة لم يكن رؤية ذلك ممكناً لبلومفيلد بسبب مبدأ إمكانية الملاحظة الصارم بشكل مطلق. وعلى الرغم من ذلك فإن تعريف بلومفيلد للمعنى أكثر رسوخاً إلى حد بعيد من تعريف المعنى بأنه « تصور» أو حتى بأنه ليس إلا «قيمة» شكلية على نحو ما يرجع إلى البنيوية الأوربية (حول الاستنباط الطريف للغاية لمفهوم المعنى انظر بلومفيلد ١٩٤٣) .

الآن يستخلص بلومفيلد فى الحقيقة نتيجة مفاجئة :

حتى يمكن أن يلحق بتتابع من الأحداث الصوتية معناها بدقة يجب على اللغوى أن يعرف عملياً كل ما أثر فى كل متكلم فى أى وقت كان بوصفه مثيراً ومن ثم شكل عاداته . ويشترط ذلك عالماً شمولياً (عالمياً) عارفاً بكل شئ ولما كان من الواضح فى الوقت الحالى أنه لايوجد ذلك (العالم) ، فإن وصف المعنى بادى الأمر غير ممكن فى هذا الوقت* .

* ورأى بلومفيلد الرافض لإمكانات التحليل الدلالى بنفس الدرجة من الصرامة التى يطلبها فى الجانب الشكلى من اللغة، قد شجع تقريباً جيلاً من اللغويين على تجاهل مواصلة الدراسات الدلالية على أى مستوى ، وحتى على استبعادها من الاهتمام الرئيسى اللغوى . ولم تكن هذه هى غاية بلومفيلد، وقد استاء عموماً من الإيحاء بأنه هو أو أى مجموعة أخرى ذات شأن من اللغويين، قد تجاهلوا المعنى أوسعوا لدراسة اللغة دون وضع المعنى فى الاعتبار . وكان ما طرحه هو أن التحليل الدلالى لايمكن أن يطمع للوصول بأى حالة للدقة العلمية المتاحة للتحليل الشكلى للمادة اللغوية كما تلاحظ وتسجل، وأن أى تحليل للمعانى يتطلب معرفة واسعة من خارج علم اللغة نفسه، وأن المعانى الصحيحة أو المفترضة لايمكن أن تستعمل بشكل صحيح بوصفها معايير فى الخطوات التحليلية لهذه الأسباب فقط، ولصعوبة الوصول للدقة فإن التحليل يخفق، وبذلك تخفق المعايير . الموجز ص ٣٢٤ ، ٣٤٣ .

ألم يبق بذلك لعلم اللغة شئ آخر غير الوصف الصوتى للأحداث الصوتية اللغوية ؟ الحمد لله أنه لم يكن الأمر بالنسبة له على هذا النحو لأن اللغوى يستطيع على الأقل أن يشكل الفرض التالى، الذى أورد بوصفه بدهية : ففى داخل جماعات معينة تكون منطوقات متعاقبة متشابهة أو متشابهة جزئياً ، (بلومفيلد ١٩٢٦، افتراض ١) ، وهو الشئ ذاته مثلما تكون ، بعض المنطوقات مختلفة ، . ويمكن أن تصور أهمية هذا الفرض من خلال المثال التالى :

فقد لوحظت فى جماعة لغوية معينة الأحداث الكلامية التالية :

fiš^1, ... , fiš^n, (سمكة) tiš^1,... tiš^n (منضدة) ، حيث ينبغى أن يوضح فقط بالإشارات أن الأمر قد تعلق فى كل مرة بأحداث مختلفة ، لانعرف بعد عنها قبل ٨٧ أى شيء ، إلى أى مدى تعد متماثلة أو متكافئة من وجهة نظر اللغوى. فمن غير الممكن أن ندرك معنىً كل حدث مفرد بدقة وإيجابية فى مصطلحات المثير ورد الفعل . ولكن من الممكن أن نحدد أن المواقف التى ظهرت فيها الأحداث fiš^1, ... , fiš^n تضمنت السمات التى لم تتضمنها المواقف التى ظهرت فيها الأحداث tiš^1, ... tiš^n ، والعكس بالعكس . ويمكن أن يحدد استكمالاً لذلك من خلال طرائق تجريبية أن أتباع الجماعة اللغوية المعينة يقومون برد فعل على فئة الأحداث fiš^1, ... , fiš^n على نحو مخالف بشكل واضح لرد فعلهم على فئة الأحداث tiš^1, ... , tiš^n وهكذا يمكن للغوى أن يقيم فئة >fisch< (سمكة) وفئة >tisch< (منضدة) . ويعرف منهما أنهما يختلفان من جهة المعنى البيواجتماعى (الحيوى - الاجتماعى) . وفى الحقيقة لايستطيع أن يفعل أكثر من ذلك .

وبذلك يصل بلومفيلد على نحو مفاجئ إلى نتيجة مشابهة لما وصلت إليه البنيوية الأوربية. فاللغوى ليست له علاقة إلا بالمشابهات والمتفرقات . ومع ذلك فهذا ينتج بالنسبة للبنيوية الأوربية عن خواص اللغة ذاتها ، أما بالنسبة لبلومفيلد فإنه لاينتج إلا عن اعتبار عملى. فما أكثر ما أشير بشكل مؤكد إلى أن إبعاد «المعنى» أيضاً

عن النظر اللغوى لايرجع إلى اعتبارات أساسية عن « جوهر» اللغة ، بل إلى أسباب عملية فقط *.

ويمكن أن ينهى هناعرض مؤلف بلومفيلد . فقد كانت أهمية بلومفيلد للبنيوية الأمريكية هى أنه قد حدد إطاراً صارماً للنشاط اللغوى. أما التوسيع المحدد الخاص لمنهج تحليله قد أنجزه أتباعه أكثر منه هو نفسه**. وتعرض فى صورة أمثلة هذه الطرائق فى كتاب هاريس ، علم اللغة التركيبى Structural Linguistics ، (١٩٥١ يستشهد هنا بطبعة هاريس ١٩٦٦) . وعلى الرغم من أنه لايمكن تجاهل أنه توجد مواضع تركيز متباينة داخل البنيوية الأمريكية فإن كتاب هاريس يمكن أن يعد أكثر تمثيلاً لها . ومن ثم سوف أقدم فيما يلى نهج هاريس فى صورة تفصيل مبسط، وأتناول أوجه عدول لغويين أمريكين آخرين عن منهج هاريس أحياناً فقط (ويمكن أن يوصى إلى جانب هاريس ١٩٦٦ بمؤلفات أساسية فى البنية الأمريكية ، مثل هوكيت Hockett ١٩٥٨ ، وجليسون Gleason ١٩٥٥ ، ونايده Nida ١٩٤٩ . وتقدم مجموعة مقالات مهمة فى كتاب جوس ١٩٥٧ نظرة عامة رائعة عن تطور البنيوية الأمريكية).

---

* يعالج رويتز موقف بلومفيلد من المعنى أيضاً ويحاول تفسيره مؤيداً فيما يبدو ذلك الموقف قائلاً : والدلالة، وهى دراسة المعنى اللغوى ، هى أقل جوانب علم اللغة خضوعاً للمعالجة العلمية لأن تفسر على أسس إمبريقية بشكل صارم، فبصرف النظر عن بعض المفردات الفنية المحدودة، تلك الشبيهة بالكلمات الدالة على الأشياء الكيميائية ، فإن التحليل الكامل لما تعنيه الكلمة أو صيغة الجملة لابن اللغة يجب أن يشتمل على قدر كبير وغير محدود من المعرفة فوق اللغوية، ومن معرفة الكثير من المدركات والمشاعر والأفكار والعواطف والآمال والمخاوف الخاصة ... الخ والتى يجب أن تبقى خاصة بالضرورة، والتى يمكن الوصول إليها بشكل مباشر من المرء نفسه، ويمكن استنتاجها فقط عند الآخرين عن طريق مايمكن أن يقولوه عنها أو عن طريق سلوكهم العام، وهذا هو تفسير ملاحظة بلومفيلد المتشائمة فى كتابه «اللغة» . «تعيين المعانى هو النقطة الضعيفة فى الدراسة اللغوية» . ص ٣٤٢ .

** إن هذا الموقف يرتبط أساساً بمفهوم العلم لدى بلومفيلد، ويمكن أن يتجلى ذلك فى عبارة رويتز فى الموجز إذ يقول : ولقد كانت المشكلة بالطبع ومازالت هى السؤال : ماهى معايير العلم التى تطبق على علم اللغة بوصفه علماً ؟ وبالنسبة لبلومفيلد فلا مجال للشك فى أن العلم هو الإمبريقية المفهومة والمطبقة بشدة. ومنهجه الإمريقى منهج اختزال يركز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة التى يمكن أن تعالج على نحو تام بناء على الأسس الإمبريقية كما فهمها هو، «فالعلم يتعامل فقط مع الوقائع التى يمكن الوصول إليها بسهولة فى زمانها ومكانها من جانب أى ملاحظ وكل ملاحظ أو يتعامل فقط مع الوقائع التى يوضع فى اتساق مع الزمان والمكان» ص٣٤١ ... لقد كان بلومفيلد عالماً حسبما فهم هو متطلبات العلم، فاللغوى عليه أن يعالج ما يمكنه أن يعالجه بشكل أفضل فى مجال علمه، معولاً على مجموعة من العمليات الملاحظة عموماً والقائمة على مادة ملاحظة على نحو عام» . ص ٣٤٣ .

٤-٢ التوزيعية

يتجاوز أتباع بلومفيلد الذين يطلق عليهم بدءاً من هنا التوزيعيين، بلومفيلد فى نقطة جوهرية، ويجذرون مذهبه : يزيحون المعنى خاصة بشكل نهائى وكلى عن النظر اللغوى . فإذا كان بلومفيلد قد تناول المعنى فى شكل غير محكم بقدر ما بلغ الأمر، فقد طرحت الآن الفرضية المشددة وهى أن إجراءات التحليل يجب أن تكون خالية من أى استناد إلى معنى المادة المحللة. وبذلك كما يقال حوكى الموقف الحقيقى للغوى ، الذى كان عليه، مسلحاً بالقلم والورقة وحدهما أن يفهم لغة دخيلة أو غريبة عنه كل الغرابة . ولايسمح بالاستناد إلى المعنى إلا بوصفه short cut طريقة مختصرة ، وبوصفه صلة استكشافية . ولكن لايجوز أن تؤسس أية خطوة تحليلية ، ونتيجة تحليلية بمعنى نظامى على اعتبارات تتعلق بالمعنى (انظر بلوك ١٩٤٨، هاريس ١٩٥٤، وهاريس ١٩٦٦، الباب الثانى).

وفى الحقيقة لايكمن الآن تسلح اللغوى فقط فى الوسائل المعينة على ضبط المادة اللغوية المحللة، فهو مايزال تحت يديه شئ ، يقع تحت تصرف كل عالم بوجه عام : الجهاز الشكلى المنطقى* (الكامن بالنسبة للتوزيعيين فى الحقيقة فى جبر الفئات الأساسى فقط، على نحو ماسيرى بعد قليل) . وقد أشير فيما سبق إلى أن هذه الإضافة لأبنية شكلية ، فارغة تجريبياً فرقت الوضعية الجديدة** عن الوضعية الأصلية، التى عدت أكواماً من الحقائق والمواد وحدها مصدر المعرفة. فالوضعية الجديدة على العكس مما سبق يمكن أن تنظم هذه الكميات من المواد وترتبها بإعداد إضافى لها . ومما يلاحظ بصفة خاصة أنه بمساعدة الطرائق الشكلية لايمكن مطلقاً أن يبلغ شيئاً يتجاوز ماتتضنه المواد ذاتها، وتعد هذه الطرائق وسائل معينة للوصف Deskription فقط .

وهدف تطبيق المنهج هو فقط ، لعمل عرض محكم وعام إلى حد ما عما

* يقصد بذلك der formallogische Apparat، أى مجموعة الوسائل المستخدمة فى التحليل المأخوذة من المنطق الصورى أو الشكلى ، وهى طريقة التحليل والمصطلحات والتصورات والأفكار ... الخ .

** من أهم أعلامها (يكاد يكونون من الألمان أساساً) ، كارناب ، وهانز ريشنباخ، أو عضاء حلقة فيينا : شليك ، ونويرات ، وهانزهان ، ومن المناطقة الرياضيين الفرد تارسكى وكارل بوبر .

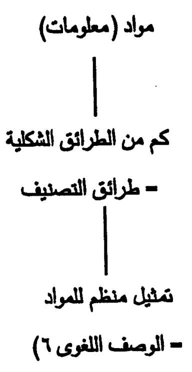
لاحظنا ... (هاريس ١٩٦٦، ص ١٥٢) ، والطرائق هى ، ... فقط طرق لترتيب المادة الأصلية ... ، (هاريس ، ص ٣) .

وقد طور هاريس مرة أخرى ذلك الاستدلال فى مناقشته لوضع علامات لغوية، إذ يمكن وفاء للإطار الفيزيائى والسلوكى يمكن لعنصر ما (مثل الصوت a) أن يكون رمزاً فقط ، وله ارتباط ، بسمات سلوكية ، أو ، موجات صوتية، . فإذا أقيمت هذه العناصر وكان لها علاقة واضحة بالوقائع الفيزيائية والسلوكية الملاحظة، فإنه يمكن أن تجرى عبرها عمليات شكلية مختلفة، تهدف إلى تنظيمها وتمثيلها تمثيلاً محكماً . وماينتج عن ذلك دائماً بسبب التطابق ١ : ١ المطلوب بين العناصر اللغوية (الرموز) والمواد يمكن أن يعاد نقل هذا النظام الخاص به دائماً وإرجاعه إلى الكم الملاحظ من الأنشطة الكلامية. ٨٩

، ومن ثم من الملائم تماماً عد هذه العناصر رموزاً منطقية محضة يمكن أن تؤدى عبرها عمليات مختلفة للمنطق الرياضى. وفى بداية عملنا نترجم تدفق الكلام إلى تكوين من هذه العناصر، وفى نهايته نعيد ترجمة تكوينات عناصرنا النهائية والأساسية إلى تدفق الكلام. وكل مايتطلب ليمكننا من عمل ذلك هو أنه فى البداية لابد أن يوجد ارتباط ١ :١ بين أجزاء الكلام وعناصرنا الأولى وألا تهدم أية عمليات أجريت على العناصر ذلك الارتباط واحد إلى واحد ، (هاريس Harris ١٩٦٦ ص ١٨) . وهكذا يمكن أن يحدد نهج التوزيعين فى مخطط على النحو التالى :

---

* يستخدم هاريس هنا مصطلح one - one correspondence مطابقاً لمصطلح one - one association، بمعنى الارتباط أو الاشتراك أو الاتفاق أو التطابق مما جعل مؤلف الكتاب يضع المصطلح الألمانى 1: 1 Entsprechung وإن كنت أرى أن الأولى هنا استخدام مصطلح Korrelation أو Korrrespondierung أو Association ليقابل المصطلح الانجليزى بدقة.



ماذا يوجد فى المواد الملاحظة، وما خواصها التى يمكن أن تدرك الآن لغوياً ، حين يستبعد المعنى ؟ فما يمكن للمرء أن يقوله عن العناصر اللغوية فى كل حال هو أنها ترد (تقع)(occur) vorkommen . وبناءً على ذلك يمكن أن يحدد فى أى محيط Umgebung (environment) ترد (تقع)، أى ما العناصر التى ترد قبلها أو بعدها داخل التدفق الكلامى . ذلك مع شروط تالية محددة بشكل أو بآخر يمكن أن نقدم أساساً راسخاً للتحليل اللغوى : ويطلق على حدث (واقعة) كلامى مقام بشكل محدد المنطوق Au Berung (utterance) . ويعرف بأنه مد (مطل) الكلام بين وقفتين . ويطلق على كم المنطوقات المدونة فى لغة ما مادة البحث اللغوية Corpus * هذه المادة اللغوية هى وحدها موضوع التحليل اللغوى. ويطلق على كم من كل محيطات عنصر ما داخل المادة اللغوى توزيع Distribution هذه العناصر. ويشار إلى التوزيع وهو مفهوم علائقى لأنه يمكن إيضاحه بأنه ، كم من أوجه ورود عنصر ما ، س ، فيما يتعلق بالعناصر المحيطة به ،. فإذا أراد المرء ذلك فإنه يمكن يوازى التوزيع مع ٩٠

* ترجم مصطلح Corpus أيضاً بصور مختلفة؛ فهو مادة مجموعة للبحث، متن، عينة البحث اللغوى، مادة ، مادة لغوية، مدونة، مجموعة المواد اللغوية المدونة – إما بالكتابة العادية أو بالكتابة الصوتية – بغرض التحليل والدراسة ، والتى تشكل بنية لغة بعينها. ولذا يمكن أن تترجم عبارة protokollierte ÄuBerungen التى استخدمها المؤلف إلى منطوقات مدونة ، أو مسجلة أو مثبتة أو موثقة ... وغير ذلك مما يصلح استعماله فى هذا السياق .

ما أطلق عليه لدى دى سوسير العلاقات الأفقية (النحوية) العنصر ما، إلا أن التوزيع يحدد على أساس فيزيائى*.

ويمكن الآن أن يعين هدف التحليل اللغوى : وهو تصنيف العناصر الموجودة فى المادة اللغوية على أساس علاقاتها التوزيعية.

ومازال صعوبة معينة تعتور عملية البداية فقط لتجزئة المنطوقات إلى أصغر عناصرها . فقد كان قد أشير فى سياق فونولوجيا براغ إلى أنه ينظر إلى واقعه كلامية معينة من الناحية الفيزيائية – الصوتية بادى الأمر على أنها سلسلة متصلة Kontinuum. وبالنسبة للبنيوية الأوربية لم يكن من الممكن تجزئة هذه السلسلة المتصلة أو تفريعها إلا بالنظر إلى النظام اللغوى، الذى لاتنجم وحداته بدورها إلا عن بنية علائقية مكونة من الصوت والمعنى . ويعد ذلك بالنسبة للفيزيائيين والسلوكين الأمريكيين غير مقبول كلية. فقد طورت طرائق مختلفة لتجزئة المنطوقات فى البداية . يسلك بلوخ (Bloch) (١٩٤٨) تقريباً مسلكاً فيزيائياً صارماً ، ذلك الذى حاول أن يضع حدود تجزئة بناءً على معطيات نطقية . وسلك بايك Pike (١٩٥٤حتى ١٩٦٠ ، ١٩٦٤) مسلكاً سلوكياً، أى أنه افترض أن المنطوق اللغوى مستمر، بل يقوم المتكلمون بالرد على ذلك، كما لو جزئ إلى أجزاء متفردة (قطع مميزة) . وبذلك تقدم ردود فعل المتكلمين التى يكشف عنها تجريبياً الأساس للتجزئة

---

* أرى خلافاً لما يذكر المؤلف أن التوزيع امتداد لنهج بلومفيلد فى التحليل وتطوير له، وهو مانبه إليه روبنز فى سياق عن نموذج التوزيع، إذ يقول : كان النموذج المفضل للعرض عموماً فى الفونولوجيا وفى القواعد هو نموذج التوزيع ، فقد تميز بعض اللغويين فى هذه الفترة بوصفهم «توزيعيين distributionalists »، والوصف اللغوى الذى التزموا به هو تعيين العلاقات التوزيعية للفونيمات فى التتابعات الفونيمية والعلاقات التوزيعية للمرفيمات فى مجموعات المرفيمات والمكونات . من هنا فإن ز.س. هاريس Z.S Harris الذى يمكن النظر لكتابه Methods in structural linguistics بوصفه تطويراً لبعض جوانب البلومفيلدية لأقصى مداها، أمكنه أن يكتب أن خطوات التحيل اللغوى، تجرى «بتطبيق مزدوج ذى خطوتين رئيسيتين هما : تعيين العناصر ، وتعيين توزيع هذه العناصر بالنسبة لبعضها» ، وبشكل أعم فى السنوات الأخيرة استعمل المصطلحات «البنائية structuralism والبنائى structuralist» بشكل محدد ليشير إلى التحليل اللغوى الذى يحتذى تفكير بلومفيلد. الموجز ص ٣٣٧

اللغوية. وهكذا فالأجزاء فى مفهوم بايك هى وحدات سلوك .* يقترح هاريس من ناحية أخرى أن تجرىء تجزئة أولية بشكل تحكمى فى البداية ثم يختبر هل تؤدى هذه التجزئة إلى مقولات ممكنة على نحو غاية فى التبسيط عن العلاقات التوزيعية ، فإذا لم تؤد إلى ذلك يجب أن تغير أو تصوب .

وعلى نحو ما يجرى هناك دائماً ، لم يصل المرء بعد مع تجزئة المنطوق إلى العناصر .

نفترض أن لدينا منطوقين مجزأين da^2f, a^1bc ، فإن فى البداية ليس هناك ما يضمن أن كلا الجزءين a^1, a^2 هما جزءان مثلان أيضاً . لكى نضمن ذلك توجد من جهة أخرى طرائق عدة؛ أكثرها شيوعاً ، المقترحة من هاريس أيضاً فى هذه الحالة وهى التحقق من ردود فعل ابن اللغة native speaker = : إن a^1, a^2 يستبدل ٩١

* مما لاشك فيه أن نحو بايك قد عدل كثيراً عن أسس التحليل لدى بلومفيلد، ويمكن أن توضح الفقرة التالية هذا الموقف وإن كانت طويلة، ففى السنوات الأخيرة طور ك. ل. بايك K.L. Pike ومساعدوه اتجاهاً متفرعاً بعض الشئ من تحليل المكونات المباشرة البلومفيلدى فى القواعد ... وهذا النظام من التحليل الذى نشأ من التحليل الذى نشأ من نظرية أعم للسلوك الإنسانى اقترحها بايك تعرف بالتجميمية Tagmemics بما أن التجميم tagmeme هو وحدتها القواعدية الأساسية.والتجميم يوجد فى وحدة واحدة وظيفية معينة فى تركيب أكبر، وطائفة من العناصر items التى تنجز هذه الوظيفة . وقد عرف بوصفه ، ارتباط وظيفة قواعدية أوحيز وظيفى slots بطائفة من العناصر التى يحل بعضها محل بعض تبادلياً وتقع فى هذا الحيز الوظيفى. ، فالمسند إليه (بوصفه تجميماً) يعرض أو يملأ بالاسم ، و ، المسند إليه يعرض أو يملأ بالفعل ، ... وهذه التجميمات تكون تركيبات أكبر كالعبارات clauses والجمل ، والجمل لا تحال إلى تتابعات من المكونات المباشرة (ثنائية عادة ؛ ولكن إلى سلاسل من المكونات المتساوية callateral (من هنا يستعمل أيضاً لقب ، تحليل سلاسل المكونات ، لهذه المقاربة) والاسم المسند إليه والاسم المفعول أو العبارات الاسمية ترتبط بالفعل بشكل متساو فى كثير من التحليلات التجميمية، بينما يكون الاسم المفعول به نفسه جزءاً من المجموعة الفعلية فى تحليل المكونات المباشرة العادية والتحليل التوليدى – التحويلى .

وفى تحديد التجميمات تؤخذ الوظيفة الدلالية وكذلك الوظيفة النحوية فى الاعتبار ، ومادام معنى طائفة محددة يمكن أن يربط بطائفة محددة من العناصر الشكلية باعتبارها ،مالئات fillers ، فإنه يمكن ،للمسند إليه ،، والموقع (location) والزمن والمعدل (qualifier) وأمثالها أن تكون كلها أحيزة أو وظائف تجميمية . وبتوظيف الدلالة تحليلياً لهذا الحد، وتعديل تراكيب المكونات المباشرة بشدة فى النحو ، تميز التجميمية تباعدها الرئيسية عن التحليل البلدمفيلوى، الموجز ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

كل منهما بالآخر بحيث تنشأ المنطوقات الجديدة da^1f, a^2bc . فإذا كان رد فعل ابن اللغة على a^2bc هو نفسه على المنطوق الأصلى a^1bc وعلى da^1f هو نفسه على المنطوق الأصلى da^2f فإنه يصلح أن تكون a^2,a^1 مثلين ، وبمعنى أدق كأنهما متكافئان بيو اجتماعيين . وعلى هذه الطريقة يمكن الآن أن تؤلف الأجزاء الملاحظة ، أى قطع الوقـائع الكلاميـة الملاحظة إلى فـئـات (أقـسـام) متكافئة (Äquivalenzklassen)، يمكن أن يطلق عليها من الآن عناصر صوتية . ويمكن أن يمثل الآن كل منطوق على أنه تأليف من عناصر متميزة متكررة .

وبسبب المبدأ الوارد فيما سبق ، التطابق ١:١ بين العناصر والمعطيات الملاحظة يصلح كذلك القيد الإضافى ، وهو أن الأجزاء $a^1 , ... a^n$ لايمكن أن تتألف إلى فئة إلا حين تشترك فى خصائص فيزيائية محددة، من خلالها تتميز عن أقسام (فئات) الأجزاء الأخرى.

إن نتيجة النهج الحالى هى إمكانية تمثيل المنطوقات على أنها سلاسل مما يطلق عليه بوجه عام أصوات اللغة. وربما يبدو هذا من جهة العطاء الإجرائى الضرورى ضعيفاً إلى حد ما ، ولكن يجب أن يتذكر أن : أ) الطرائق الحدسية الموجزة مسموحة فى كل وقت للغوى فى الدرس العملى ، وأن :ب) هذه النتيجة لاتكون ضعيفة مطلقاً حين يجب على المرء أن يحلل لغة غريبة ودخيلة كلية .

أما الخطوة الثانية لهذا التحليل فهى التثبت من توزيع العناصر الصوتية . ويفرق فى ذلك بين ثلاث حالات :

١ – لكل عنصرين مختلفين س ، ص توزيعات كاملة متساوية أى أنه حيث يرد س دائماً يمكن أن يرد ص أيضاً والعكس بالعكس (مثال ذلك فى الألمانية الراء اللسانية والراء الحلقية) . وتقع العناصر فى علاقة التنوعات الحرة (freie Variationen) .

٢ – كل عنصرين مختلفين س ، ص ليس لهما إلا توزيع مماثل جزئياً (مثال ذلك : يرد الصوتان f , t فى الألمانية كلاهما فى محيط (—isch)، وعلى العكس

من ذلك يرد t، وليس f فى المحيط ante -) *.

٣ – كل عنصرين مختلفين ليس لهما محيط مشترك يقعان فى علاقة توزيع تكاملية (Komplementare Distribution) بعضهما ببعض . (مثال ذلك ، الصوت t^h (النفسى) و الصوت t(غير النفسى) فى الألمانية ، لايرد صوت t^h إلا قبل حركة منبورة فى بداية المنطوق حيث لايرد صوت t غير النفسى تماماً ؛ أو صوت -- ich وصوت - ach فى الألمانية : فصوت (ç) لايرد إلا بعد حركات ناصعة أمامية ، ولايرد صوت (X) إلا بعد حركات مظلمة خلفية) **.

ويجرى الآن على أساس العلاقات فى التوزيعية تصنيف تال : فكل العناصر التى تقع بعضها مع بعض فى تنوع حر أو توزيع تكاملى تعد عناصر مشتركة فى الفئة ذاتها . ويطلق على الفئآت (الأقسام، التى تقع عناصرها بعضها إلى بعض فى تنوع حر أو توزيع تكاملى الفونيمات phoneme (مادامت هذه العناصر بداهة عناصر صوتية) . ويطلق على العناصر الصوتية بوصفها عناصر مشتركة فى تلك الفئات متغيرات صوتية (ألوفونات Allophone) . وليس من الصعوبة بمكان ملاحظة أن الفونيم النسبى هو متغير : إذ المتغير الصوتى مَواز للفونيم النسبى الموضوع فى البنيوية الأوربية . ولكن يوجد فرقان يعكسان بوضوح للغاية الأطر النظرية العلمية المختلفة ***:

٩٢

---

* يقصد أن صوت التاء (t) و (f) يصلح أن يدخلا فى محيط واحد مشترك هو (--isch) فتتشكل الوحدات (tisch= منضدة) و (fisch= سمكة) ، ولكن فى المحيط الثانى (ante -) لايصلح إلا دخول التاء ، فتتكون الوحدة (tante = عمة / خالة) أما (fante)* فلا وجود لها فى الألمانية.

** يقصد أن الصوت (ch) ينطق (شيناً حنكية مختلفة عن الشين الشجرية فى العربية) بعد حركات ناصعة خلفية (helle Vokale) مثل صوت الكسرة (i) وتنطق (خاء) بعد حركات غامقة (داكنة ، أمامية "dunkle Vokale " مثل صوت الفتحة (a) .

*** وقد ركز اللغويون الأمريكيون عنايتهم على التحليل الشكلى عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعى، وهو ما كان بلومفيلد قد ألح على وجوبه. وكانت الوحدتان الأساسيتان للوصف هما الفونيم الذى وسع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة ... والمرفيم ، وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعد . وقد فسر التمييز بين الصوت الكلامى والفونيم بشكل عام بوصفه تمييزاً بين عضو وفئة class، واستعمل الفون (الصوت) phone ، والألوفون (المغاير) allphone ليشير الأصوات الكلام. ليشير الأصوات الكلام. أما التحليل القواعدى فقد حذا حذو المنهج الفونولوجى القائم فعلاً، مستعملاً المرفmorph والألومورف allomorph (المغاير الصوفى) والمورفيم (الوحدة الصرفية) بنفس الطريقة . الموجز ص ٣٣٦.

١ – فى التوزيعية ليس الفونيم ، قيمة اجتماعية ، وليس مصطلحاً ، لنظام خلف المواد ، ، بل هو فى المرحلة الأخـيـرة ، فـئـة من الوقـائع Klasse von Ereignissen .

٢ – يحدد الفونيم دون أدنى صلة بالمعنى ، بينما كانت الوظيفة الأساسية للفونيم فى البنيوية الأوربية هى بالتحديد الوظيفة الفارقة دلالياً .

إن الفونيمات ، كما تحدد دائماً ، ليست إلا لبنات بناء من وحدات لغوية أعلى، أى من علامات لغوية حقيقة أو مورفيمات ، وقد حددت الأخيرة فى كل المدارس اللغوية الأوربية بأنها أصغر وحدات حاملة للمعنى. وبدهى أن التوزيعيين الأمريكيين لايستطيعون أن يستخدموا هذا المعيار، ويجب أن يحددوا المورفيمات من جهة أخرى عبر علاقات توزيعية فقط. ويورد هاريس العناصر المورفولوجية بوصفها تتابعات فونيمية، تظهر توزيعاً مميزاً محدداً . وربما يتغاضى هنا عن تفاصيل النهج ، ولاتوضح إلا تصنيفات العناصر المورفولوجية : فالعناصر المورفولوجى تندمج فى فئات، يطلق عليها مورفيمات حين تقع فى تنوع حر أو توزيع تكاملى بعضها إلى بعض. وهكذا فإن ذلك تكرير للنهج ذاته كما هى الحال لدى العناصر الصوتية على مستوى أعلى فقط .

لنأخذ مثالا مبسطاً ، يمكن أن تسجل التتابعات الفونيمية الألمانية (= العناصر المورفولوجية) : er- و en - فى فئة ، مورفيم الجمع ‹ لأن كليهما لايردان فى كل مرة إلا بعد مورفيمات، ولايمكن أن يرد بعدهما أى فونيم آخر (قارن) : die Männer (الرجال) و die Frauen(النساء) . ولما كانا واقعين فى توزيع تكاملى يمكن أن يعدا متغيرين صوتين للوحدة الصرفية (الجمع) .

٩٣ ويمكن أن تقتضى علاقات متباينة للغاية التوزيع المختلف للمتغيرات الصوتية؛ فتارة يكون المحيط المورفيمى (كما فى مثالنا) وتارة يكون المحيط الصوتى (حول تحليل هذه العلاقات انظر هاريس ١٩٤٢) .

ويمكن مع التحليل المورفيمى أن تظهر حالات جد معقدة كما هى الحال تقريباً مع الأفعال غير المطردة (الشاذة) ، إذ يؤثر مثلاً أن تعرض صيغة الفعل took

بشكل حدسى للغاية على أنها تتابع من موزميمين، أى تتابع مورفيم الأصل ومورفيم الماضى. ولكن كلا المورفيمين قد مزجا فى صيغة took بعضها مع بعض مزجاً كاملاً *. وحتى تحل تلك الحالات على أساس توزيعى محض يحتاج إلى إجراءات كثيرة إلى حد ما. وفى الواقع هذه هى النقاط التى اختلفت فيها طرائق البنيويين الأمريكين اختلافاً بعيداً ، برغم كل الانتظام Uniformität المنهجى الخاص بها فى غير ذلك.

وثمة مشكلة أخرى قدمت مع ما تُنوول تحت عنوان المورفوفونيمية (Morphophonemik) **، وهى يمكن لمورفيم أن يتحقق تبعاً لتعريفه السابق فى تتابعات فونيمية مختلفة. ولكن لو عرفت هذه المعاقبات (Alternationen) اطراداً، فقد يكون مفيداً تماماً لأسباب وصف موجز ونظامى أن يوجد للبدائل المختلفة تمثيل موحد.

---

* يوضح روبنز هذه المشكلة فى سياق العلاقة بين طبيعة التحليل وأقسام اللغات، قائلاً : والتعيين القواعدى بطريقة توزيعية خالصة والمصوغ بطريقة مشابهة للتعيين الفونيمى التتابعى، يعلق أهمية كبيرة – فى الطريقة الخاصة بقضية التحليل على اللغات وأقسام اللغات التى يمكن أن تكون فيها المورفيمات المتتابعة متضاهية فى علاقة واحد بواحد مع الفونيمات المتتابعة أو مجموعات الفونيمات، ويكون أفضل تغير ألومورفى بين الصيغ المقيدة (التحوير sandhi الداخلى) هو أقل تغير، ففى الانجليزية تكون كلمتان مثل cats, baked قابلتين للتحليل مرفيمياً بشكل أسهل من mice , took، ففى بعض الأحيان تقام مرفات صفرية لتقدم تتابعاً نظرياً عندما لايوفر شكل الكلمة تتابعاً ، فكلمة took تحلل بوصفها + o / tuk / وتكون / tuk / ألومرفالـ / teik / ويكون Ø ألو مرفاً للاحقة الزمن الماضى مثل /d - / أو / t - / الخ ، وتحل mice بوصفها "Ø+/mais / " وتكون / mais / ألومرفاً لـ / maws / ويكون Ø الومرفاً للاحقة الجمع مثل / s - / أو / z - / أو / iz - / أو / n - / .... الخ . الموجز ص ٣٣٩ .

** لاشك أن العلاقة بين المحيط المورفيمى والمحيط الصوتى معقدة متشابكة، ولذا كانا يجمعان فى الدرس اللغوى تحت مجال واحد، كما يؤكد روبنز : والعلاقة بين مستوى القواعد (مرفيميات morphemics) والفونولوجيا والفونولوجيا (فونيمات phonemics) كانت هى ميدان المورفوفونيمات ، mophophonemicsوهى حلقة الاتصال بين الجانبى الرئيسيين للتحليل اللغوى الشكلى (استعمل لغويو براغ مصطلح مرفوفنلجيا morphophondogy بمعنى مشابه)، وقد فهم هذا فى البداية بوصفه علاقة التأليف composition، فالمورفيمات تتألف أو تتكون من الفونيمات، وهذه العلاقة يصعب تأكيدها فى مواجهة التغير الألومرفى الذى تكون فيه التتابعات الفونيمية المختلفة، وأحيانا بشكل كامل، تكون متساوية مرفونيمياً . وفيما بعد فسر الكتاب عموماً العلاقة بين الفونيم والمورفيم بوصفها علاقة تمثيل، فالفونيمات تكون المورفات ، وهى بذلك تمثل المورفيم بوصفه فئة . ص ٣٣٨ .

فى الألمانية مثلاً تتبادل باطراد المتغيرات المورفيمية مع صوامت نهائية مجهورة أو مهموسة (كلمة <Mund > :Munt (تنطق t حين تكون فى النهاية)، غير mund فى dem munde (للفم : أى تنطق dحين لاتكون فى النهــاية) . فالعلاقات التوزيعية واضحة : فالصامت المهموس يأتى فى نهاية الكلمة (بعبارة توزيعية ، قبل وقفة)، حيث لايرد الصامت المجهور. ويمكن للمرء فى هذه الحال أن يجمع كلا الفونيمين / t / و / d /. فى فئة واحدة، يطلق عليها مورفوفونيم (يشار إليها بحروف كبيرة) . فكل من mund و munt يمكن أن يمثلا الآن بوحدة واحدة : munD .

بيد أنه لم يحبذ فكرة المورفوفونيمية كل التوزيعيين بأية حال. فحين تحدد الوحدات المورفولوجية بسبب عدم إمكانية (استخدام) معيار المعنى، على أساس الوحدات الفونولوجية فإنه ينتج عن ذلك أن الوحدات الفونولوجية يجب أن تحدد أولاً دون أية صلة بالوحدات المورفولوجية. ذلك هو المبدأ المشهور وفصل المستويات separation of levels *، ينبغى من خلاله أن تتجنب تعريفات دائرية. (يتخذ بايك موقفاً صارماً بعض الشئ، وهو ما يعبر عنه من قبل عنوان مقالته سنة ١٩٤٧ : شروط قواعدية لتحليل فونيمى <grammatical prerequisites to phonemic analysis> ، ولكن فى المورفوفونيمية مستويان يمزجان بعضهما ببعض : فالمورفيم يمثل بوصفه تتابعاً من مورفوفونيمات لايمكن أن تحدد من جهتها إلا حين يعرف المرء المورفيمات . وقد أجرى بعد الانتهاء من التحليل المورفولوجى من خلال تطبيق دائم لمعيار التوزيع تصنيفات أعلى دائماً. بادى الأمر يمكن أن تبنى فئات من

٩٤

---

* ويحدد روبنز ذلك قائلاً : «وقد اعتبر المستويان منظمين تراتبياً بمعنى أن التحليل المورفيمى يفترض مسبقاً تحليلاً فونيما، وليس النقيض بالنقيض، وقد أكد بعض اللغويين على مبدأ فصل المستويات»، برغم أن هذا ليس كما يوجد عند بلومفيلد ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ج . ل . تراجر G.L.Trager، الذى وصل إلى حد القول، إنه لايمكن لأى تحليل قواعدى من أى نوع أن يستعمل بشكل صحيح فى التحليل الفونيمى، وعلى النقيض فإن التحليل القواعدى يبدأ فقط حين يكتمل التحليل الفونيمى فى اللغة، والتخلى المتعمد عن هذه «المتطلبات القواعدية» بوصفها حدوداً قواعدية للكلمات ، قد أعطى وزناً كبيراً – ويرى البعض أنه مفرط – للفونيمات المفصلية التى تحدد الكلمات الفونيمية (التتابعات الفونيمية الشبيهة بالكلمة والتى يمكن تحديدها عن طريق المفصل » . الموجز ص ٣٣٨ .

مورفيمات ترد فى محيط مميز محدد. مثلاً يمكن أن تجمع كل المورفيمات فى الألمانية التى ترد فى محيط : "-ich heisse" (أسمى) فى فئة واحدة، يمكن أن يطلق عليها ، الأعلام ، . ولكن ربما لم يربط بكلمة ، علم ، أى شئ مضمونى ولا أى تضمين دلالى، لأن فئة الأعلام هى فئة توزيعية محضة. أما إلى أى مدى تترابط هنا خواص توزيعية للمورفيمات بخواص معانيها فسؤال آخر تماماً ، ليس اللغوى عى أية حال مختصاً بالإجابة عنه (انظر حول ذلك هاريس ١٩٥٤، وهناك بيانات مرجعية أخرى) .

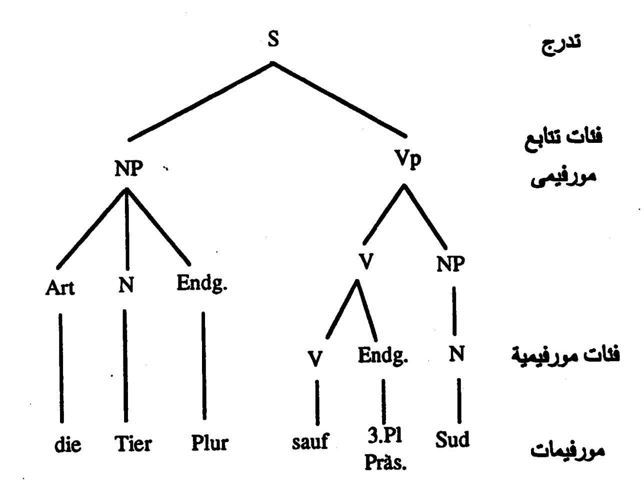
وبعد بناء فئات المورفيمات يمكن للمرء أن يستمر فى بناء أقسام من فئات المورفيمات، فعلى سبيل المثال يمكن أن تجمع كل الفئات التى ترد فى المحيط بعد فئة ، أداة (تعريف/تنكير) ، فى قسم أعلى من جهة التدرج ، الذوات ، أو ، الأسماء، . أخيراً يمكن أيضاً – باستمرار بمراعاة علاقات توزيعية فقط – أن تبنى أقسام من تتابعات مورفيمية، فعلى سبيل المثال تشترك الأسماء فى محيطات مهمة كثيرة مع تتابع أداة (تعريف /تنكير) + أسماء : فكل من ،Peter، (بيتر) ، و ،der Peter ، (البيتر)* يرد فى المحيط : ،trinkt Bier- ، (– يشرب البيرة) .

وأخيراً يمكن يستكمل هذا ،البناء الضخم (المكون من وحدات مستقلة)block building ، المتدرج حتى أعلى وحدة ، إلى الجملة (أى منطوق يمثل بوصفه تدرجاً من أقسام (فئات) (انظر هاريس ١٩٤٦)، وللإيضاح على نحو أدق دون تفصيلات يمكن هنا أن يقدم مثال ، يوضح كيف يمكن أن يمثل منطوق محدد فى مصطلحات

---

* يقصد الاسم مع الـ أو بغير الـ له موقع محدد هو موقع الفاعلية (كما فى العربية حسين والحسين...)، وهكذا تهيمن فكرة التوزيع على التحليل فى مستوياته (مراحله) المختلفة ويحدد التوزيع لعنصر ماهو مجموع كل المحيطات التى يقع فيها، مجموع كل المواقع التى يقع فيها بالنظر إلى صلته بالمواقع الأخرى (موقع الاسم (الفاعلية)، موقع الفعل ، موقع المفعول (المفعولية ...) . وبعبارة أخرى : تتخذ العناصر مواضع محددة فى السلسلة الكلامية التى توصف من خلال الأحوال أو المحيطات السياقات التى تقع فيها ، فكل عنصر لغوى له سياقات محددة يرد فيها وسياقات أخرى لايرد فيها، ويسمى مجموع هذه السياقات (المحيطات ، الأحوال) : توزيع هذا العنصر اللغوى، وهكذا لاتصنف الوحدات اللغوية على أساس معناها، بل على مايحيط بها من وحدات أخرى ثم على أساس من سلسلة كلامية .

٩٥



di : ti : e zauf en zu : D

di : ti : re zaufenzuD

أجزاء صرفية — di : ti : re zau fen zu : t

مورفوفونيمات — di : tʰ i : Rəzaufen zu : t

تدرج من أقسام (فئات) محددة توزيعياً :

المنطوق : Die Tiere saufen Sud

(الحيوانات تشرب المُغْلَى)

مفتاح المصطلحات : Satz = S (جملة)، و Nominalphrase = NP (مركب اسمى)، و Vrbalphrase = VP (مركب فعلى)، و Verb = V (فعل)، و Nomen = N (اسم) و Art = A (أداة تعريف)*.

* أبقيت المثال باللغة الألمانية حتى لاتضيع الفروق الدقيقة عند ترجمته إلى اللغة العربية وبخاصة عند توزيع الأجزاء الصرفية والمورفوفونيمات والفونيمات ... وهو مثال مشهور متكرر فى مؤلفات علم اللغة بوجه عام.

يجرى التحليل، كما هو موضح ، من أسفل إلى أعلى ،. وثمة منهج مطور أيضاً فى البنيوية الأمريكية على العكس من ذلك ، من أعلى إلى أسفل ، ، أى تجزأ الوحدة الأعلى إلى أكبر قدر ممكن من الوحدات الأصغر، ثم تجزأ هذه الأخيرة مرة أخرى إلى أكبر قدر ممكن من الوحدات الأصغر الخ الخ . ويطلق على أكبر قدر ممكن من الوحدات تلك التى يمكن أن تجزأ إليها الوحدة المعطاة : المكونات المباشرة (IC) للوحدات المتجزأة (حول تحليل المكونات المباشرة IC فى المجال المورفولوجى – التركيبى الذى يرجع إلى بلومفيلد، انظر ولس Wells ١٩٤٧ أ، وحول تطبيق هذا النهج فى الفونولوجيا، انظر هوكيت Hockett ١٩٥٥) . ومن البدهى أن التحليل إلى المكونات المباشرة أيضاً يسير على أساس معايير توزيعية محضة *.

ويمكن لذلك ألا يشار فى النهاية إلا إلى شئ واحد ، وهو : يمكن على أساس تحليل توزيعى لمادة لغوية أن تقام صياغات تركيبية «نماذج patterns » لبناء المنطوقات التى تعد مميزة للغة المعنية.

٩٦

فعلى سبيل المثال يمكن أن يتكون فى الألمانية مركب اسمى من : Art + N + A (أداة تعريف / تنكير + صفة + اسم وليس : Art + N + A (أداة ... + اسم + صفة) على نحو ما هو ممكن فى اللغات الرومانية (وفى العربية أيضاً) . ويمكن الآن أن يسخر وصف تقابلى مطروح على هذا النحو فى تدريبات محددة فى تدريس اللغات الأجنبية . وفى الحقيقة يجب أن يسلم بأن أعمالاً توزيعية فى هذا الاتجاه – النمطى – جد نادرة وأن كما كبيراً من البحوث يظل مقتصراً على أنظمة فونولوجية للغات مفردة.

---

* يحاول روبنز أن يميز ماقدمه تحليل بلومفيلد عن خلفائه فيقول : برغم أن بلومفيلد كرس بعض العناية للتعريف الشكلى للكلمة بوصفها وحدة قواعدية، إلا أن اللغويين الأمريكيين المتأخرين لم يعطوه كبير وزن فى الوصف القواعدى، وقد وصف تركيب الجملة عن طريق تحليل المكونات المباشرة immediate constituent الذى تتصل فيه المرفيمات بعضها ببعض، فى شكل أشجار تمثل الترتيب والتركيب الصاعد (مثل هذا التحليل كان متضمناً فى «الإعراب والتحليل» للتعليم التقليدى ، واستخدم جزئياً فى نظرية المراتب ليسبرسن) . وقد أقام بلومفيلد تمييزاً أساسياً بين التراكيب / المركزية والتراكيب اللامركزية، وفقاً لما إذا كان التركيب نفسه بشكل عام مشابهاً أو غير مشابه نحوياً لأى من مكوناته المباشرة . أما الأجيال التالية فقد أعطت الأفضلية للتقسيمات الثنائية للمكونات . الموجز ص ٣٣٧ .

٤ - ٣ موجز وموقف

إنه من الواضح من العرض الموجود فى صفحة ٩٥ (فى الأصل) أن مطلب بلومفيلد المذكور فيما سبق، بوجوب رجوع القول العلمى إلى أقوال عن وقائع فيزيائية، أو إلى أقوال عن لغة العلم، قد وفى تماماً فى التوزيعية . أما السؤال المحتم الآن، وهو ما وضع النظام المصفى (المستخلص) توزيعياً من المواد اللغوية -حقيقة-، أو ما علاقة هذا النظام بالواقع.

وقد مثل توادل (Twaddell) سنة ١٩٣٥ الرأى القائل بأن الفونيم وحدة افتراضية محضة لايوجد لها واقع إلا فى رأس اللغوى فقط. وقد تطور فى إثر هذه الجملة جدل حاد (سوداش Swadesh ١٩٣٥ ، وتوادل Twaddell ١٩٣٦، واندراد Andrade ١٩٣٦) صَبَّ فيما بعد فى الجدل المشهور بين أنصار «الشعوذة» وأنصار «الحقيقة العقدية» (انظر من بين المراجع : هوكيت ١٩٤٨، ١٩٥٢، وهاريس ١٩٤١ و ١٩٥٤). فقد كان النظام بالنسبة لإحداهما ليس شيئاً آخر غير تجريد يمكن أن يستخرج (بالسحر)* من مواد وفق قواعد معينة، بينما يعد النظام والبنية بالنسبة للثانية موجودين حقيقة فى المواد. ويتضح تعبير المزاح «الحقيقة العقدية» المستخدم للموقف الثانى من الفكرة التهكمية، وهو أنه إذا كانت البنية المتحصلة من المواد بمناهج شكلية، رياضية موجودة حقيقة فى المواد، فإن الإله بوصفه خالقاً لهذه المواد يجب أن يكون رياضياً **. وقد وفق أغلب التوزيعيين الأمريكيين إلى الرأى القائل بأنه ليس الموقف الأول ولا الثانى صحيحين. فقد جانب موقف الشعوذة الصواب ، لأن : ٩٧

---

* كان يجب أن أضع كلمة بالسحر بين قوسين مقابلة للمعنى الذى قصده المؤلف ويتفق وسياق الشعوذة ، فقد استخدم الفعل (Herauszaubern) ولايعنى خلق أو سحر فقط وإنما إخراج شئ من شئ بطريقة لعبة السحر التى تمارسها فئة معينة خبيرة بقواعدها.

** فى الحقيقة لا أوافق المؤلف على إدراج الإله فى سياق المزاح أو التهكم حتى وإن كان المؤلف يذكر ذلك على سبيل السخرية من تلك الفئة كما تدل العبارة دلالة ضمنية لاتخفى على الحاذق الفطن، ولذلك غيرتها من حقيقة / صدق إلهى إلى حقيقة أو صدق عقدى تجنباً لما يثيره استعمال المؤلف.

١ - الأمر يدور فى « القوانين » ليس حول قواعد ملزمة، وجدت للمتعة، بل حول قواعد علمية بمعنى يؤخذ بجدة، ولأنه..

٢ - يجب أن يكون للبنية المتحصلة دائماً، وإن كان مايزال على نحو دال أساسها الواقعى فى المواد، حين لايكون منهج التحليل المطبق ميكانيكاً . ومن جهة أخرى أيضاً لا يمكن أن يكون الكلام عن حقيقة عقدية، إذ لايتعلق الأمر مع النظام دائماً حول نموذج الواقع ولا حول الواقع ذاته مطلقاً . ويمكن أن يلاحظ هنا فضلاً عن ذلك بشكل ملح أنه حتى مع رأى - الحقيقة العقدية - يوجد فرق كبير فى مقابل الاعتقاد (دجمة Dogma)* الأوربى بثنائية اللغة - الكلام : ففى البنيوية الأوربية كان النظام اللغوى شيئاً ، يكمن خلف المواد، ويتحقق فيها ، بينما يرى أتباع الحقيقة العقدية النظام فى كل الأحوال فى المواد ذاتها. وبذلك تظل الأنشطة الكلامية (المنطوقات) الحقيقية فى البنيوية الأمريكية ، الموضوع الحقيقى الوحيد «لعلم اللغة » وبذلك ترتبط بالنحاة الجدد . فالنظام بوصفه الموضوع الواقعى لعلم اللغة، فى كل حال، فكرة غير معقولة [٧] .

نعود مرة أخرى إلى مسألة استقلال علم اللغة : يمكن حسب رؤى التوزيعيين ألا يحدد علم اللغة فى الحقيقة موضوعه بشكل مستقل، ولكن فى المجال الموجه إليه، أى فى مجال أوجه اطراد التوزيع للإشارات الكلامية ينهج نهجاً مستقلاً. ولكن من الجدير بالملاحظة أن يجد المرء باستمرار سواء لدى بلومفيلد أو لدى هاريس أفكار مفادها أن علم اللغة يصف فى حقيقة الأمر السلوك، العادات، أى العادات الكلامية الملزمة اجتماعياً، التى تفهم على أنها اطرادات توزيع فى المنطوقات. ولذا أراد بايك أيضاً (من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٠) من البداية أن يضم علم إلى« نظرية موحدة لبنية السلوك الإنسانى » ، بحيث تكون كل الوحدات والأنظمة آخر الأمر وحدات سلوك وأنظمة سلوك (قارن ماسبق ص٩٠ فى الأصل) . ولكن حتى حين يصدق أنه فى

---

* أراد القواعديون الجدد أن يجعلوا علم اللغة التاريخى علماً منضبطاً متوافقاً مع تلك العلوم الطبيعية التى حققت تقدماً مدهشاً فى القرن التاسع عشر، وكان منها علم البيولوجيا على وجه ملحوظ. وقد آمن علماء القرن التاسع عشر بقوة بعمومية القوانين الطبيعية التى فهمت فهماً صحيحاً، كما أن اتساق الطبيعية كان دجمة dogma سائدة . الموجز ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

تصور البنيونيين الأمريكيين أيضاً يعد علم اللغة فرعاً مستقلاً * فإنه يعزى حسب علمي إلى هذا التصور في مقابل فكرة الاستقلال الأوربية، التي دلت دائماً على أسبقية أيضاً، ميزتان جوهريتان :

١ - أوضحت التوزيعية حقيقة مدى ضيق مجال علم اللغة المستقل. فالاقتصار الذاتي العقلي ، على نحو ما بُيِّن أيضاً ، قد تلاشى مرة أخرى في النحو التوليدي. ولو كان لدى المرء الرأي بأن نتائج التوزيعية يمكن أن تستخدم استخداماً جد ضعيف وفقير، فإنه يظل لها الفضل في أنها قد عرضت ذلك [٨] . ٩٨

٢ - حتى حين توجد البنيوية الأمريكية مستقلة فإنه لايوجد عائق أساسي دون أن تدخل الأنشطة اللغوية في تأثير متبادل مثمر مع علوم السلوك ، وعلى العكس من ذلك يمكن أن يوجد في التصور الأوربي علم للسلوك، على وجد التحديد علم النفس اللغوي، وهوعلم ،متلق ، فقط بسبب النظام المسبق الأساسي للوحدات اللغوية قبل وحدات السلوك. وبعبارة أخرى يكمن فضل البنيوية الأمريكية ، بغض النظر عن عاصفتها المطهرة المضادة للميتافزيقيا، في أن أنها قد طورت نموذجاً عقلياً للتعاون بين العلوم المشتركة. وأظن أن علم اللغة الحالي الذي ألقيت عليه مهام بقدر متزايد دائماً، لها علاقة بدور اللغة في السلوك الإنساني الاجتماعي، ربما لزم أن يوصل بالبنيوية الأمريكية أكثر من أية قوالب (صياغات) مستقلة أخرى .

* يلقي روبنز الضوء على هذه الفكرة قائلاً : ولقد كانت المشكلة بالطبع ومازالت هي السؤال : ما هي معايير العلم التي تطبق على علم اللغة بوصفه علماً ؟ وبالنسبة لبلومفيلد فلا مجال للشك في أن العلم هو الامبريقية المفهومية المطبقة بدقة شديدة، ومنهجه الامبريقي منهج اختزالي يركز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة التي يمكن أن تعالج على نحو تام بناء على الأسس الامبريقية كما فهمها هو ،فالعلم يتعامل مع الوقائع التي يمكن الوصول إليها بسهولة في زمانها ومكانها من جانب أي ملاحظ وكل ملاحظ أو يتعامل فقط مع الوقائع التي توضع في اتساق مع الزمان والمكان ، وقاده هذا في التطبيق على العلوم الانسانية إلى اعتناق المذهب السلوكي، وكان هذا هو المبدأ الذي فتحه لمريديه ، والذي حاول مريدوه عموماً أن يتقيدوا به ويشرحوه . الموجز ٣٤١ .



الباب الخامس

النحو التوليدي

٩٩

٥ - ١ نحو بنية المركبات

(Die PS- Grammatik)

بادى الأمر ثمة ملحوظة اصطلاحية : وهى، للنحو التوليدى ، دلالة تقنية ، ستوضح فيما يلى؛ ومن جهة أخرى يسمى بهذا المصطلح مدرسة لغوية خاصة تطورت فى البداية عن البنيوية الأمريكية الكلاسيكية، وفى المقام الأول قد صيغت على يد نعوم تشومسكى (N.Chomsky)، تلميذ هاريس، وليس نموذج تشومسكى للنحو أساساً إلا نمطاً خاصاً لنحو توليدى – بالمعنى التقنى للمصطلح، ولكن ما دام لايشير إلى شئ آخر بشكل واضح فإنى سوف أستخدم فيما يلى «النحو التوليدى» وصفاً لمدرسة تشومسكى.

ففى بداية النحو التوليدى نشأت تساؤلات ومراجعات كانت قد وجهت بلاشك إلى تصورات التوزيعية، قوبلت بسرعة شديدة برفض كلى، وأدت إلى موقف مضاد لايعرف مهادنة ضد التوزيعية . وقد دارت هذه المراجعات حول مشكلة، ما النتيجة النهائية والإنجاز الخاص لوصف توزيعى. وقد فهم من التوزيعيين أنفسهم ضمنياً بدرجة أقل أو أكثر أن تحليل مادة لغوية لمنطوقات واردة حقيقة فى لغة ما ينبغى أن توفر أساساً لتحديد، عبر المنطوقات الملاحظة، ما المنطوقات الممكنة فى اللغة المعنية بوجه عام، أىٌّ منها يعد صحيحاً ، وأىٌّ منها يعد غير صحيح . ويطلق على جهاز التقرير العام لما هو «صحيح» وما هو «غير صحيح» فى لغة ما «ل» بوجه عام نحو اللغة «ن» . ولم ينجز التوزيعيون بوجه عام أفكاراً محورية حول شكل نحو ما (باستثناء هوكيت ١٩٥٤ مثلاً) * غير أن المشكلة تطرح بكل حدة، حين يمارس ، ليس بشكل ضمنى فقط، بل بشكل صريح، التحليل اللغوى بهدف إمكان وصف (تحديد) كل المنطوقات أو الجمل الممكنة فى لغة ما : وبعبارة أخرى إن نتيجة التحليل اللغوى للغة (ل) يجب أن يكون إعداداً، نحواً يقدم تعريفاً واضحاً لمفهوم ١٠٠

* هنا ثغرة فى مراحل تطور النظرية النحوية، وبخاصة النظرية التجميمية التى هى امتداد للبنائية ونهج بلومفيلد بوجه خاص ، وقد حققت نجاحاً كبيراً فى النحو ، وكان هدف التحليل فيها إظهار حقائق البنية النحوية، وقد طورها عدد من الباحثين بعد مؤسسها بايك إلا أنه مازال هناك مسائل لم تستطع هذه النظرية أن تضع حلاً لها. وما يهمنا هنا أن نظرية النحو التحويلى قد استفادت أيضاً من النماذج التحليلية التى اتبعتها النظرية التجميمية فى التحليل النحوى .

«نحوى فى اللغة (ل)» بمصطلحات ، المنطوق الملاحظ فى اللغة (ل) (تشومسكى Chomsky ١٩٥٧ ، ص١٥) . وللنحو، المتضمن فى المنهج التوزيعى الكلاسيكى، صورة بدائية لقائمة احتوت كل وحدات المستويات المختلفة، أى العناصر الفونولوجية، والمورفولوجية ... الخ إلى جانب بيان توزيعى لتلك العناصر. وينتج نمط القوائم هذا عن اقتصار إجراءات التحليل على العمليتين التجزئة Segmentation والتصنيف Klassifikation ، ولكن حسب رأى التوليديين لم يقتصر التوزيعون وحدهم، بل كل المدارس البنيوية الأوربية أيضاً، على هاتين العمليين، حتى وإن حدث ذلك فى إطار نظرى شديد التباين . وقد وصف التوليديون علم اللغة الذى لايرتكز إلا على التجزئة والتصنيف بصفة سباب ، تصنيفى Taxonomisch ، (انظر حول تشومسكى ١٩٦٤ ، وبيرفش Bierwisch ١٩٦٦ وغيرهما) .

ولذا فنحو القوائم لايمكن أن يكفى الهدف المتضمن فيما سبق لأن كم الجمل التى تعد نحوية فى لغة ما (ل) من المحتمل ألا تكون نهائية . وتكمن هذه اللانهائية المحتملة فى نهج بناء الجملة على نحو يؤسسه العطف مثلاً (فبالنسبة للتعبير a^1 وa^2 ... و . . . و a^n يمكن أن يبنى تعبير a^1 وa^2 و ... وa^{n} و a^{n+1} (للعرض التقنى لهذه الفكرة انظر تشومسكى ١٩٥٧* ، ص١٨ ومابعدها ، وتشومسكى ١٩٥٦)، وفضلاً عن ذلك توجد تلك الأنواع من العروض فى كل النشريات الأخرى تقريباً للتوليديين متكررة باستمرار) . ولسرد (بمعنى ، تحديد ‹) كم لا نهائى يحتاج إلى جهاز قاعدى ، وبعبارة أدق ، جهاز قاعدى إرجاعى لايمكن أن يكون إلا نهائياً دائماً. ويحور تشومسكى (١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨) وبوستال Postal (١٩٦٤ ، و١٩٦٤ أ) الآن النماذج التصنيفية وبخاصة المكونات المباشرة (انظر ص ٩٥ فى الأصل) ويصوغانها فى نحو ، فى نظام قاعدى يكفى هذه المطالب . ويطلق على ذلك النحو

---

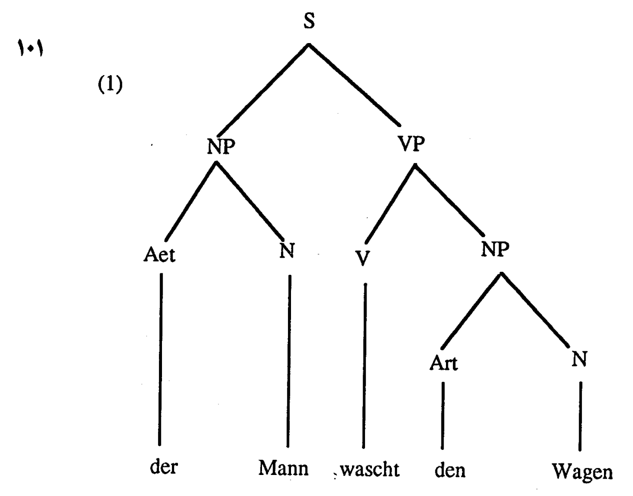
* ونقطة التحول فى علم اللغة فى هذا القرن ترتبط عموماً بعام ١٩٥٧ ، عندما نشر لأول مرة ، كتاب تشومسكى ، التراكيب النحوية "syntactic structures" الذى قدم على نحو بعيد الأثر للجمهور اللغوى فى أمريكا فى البداية ، ثم فى بقية العالم المتحدث بالإنجليزية. وأخيراً للمجتمع اللغوى برمته ، قدم ما سمى بالقواعد التوليدية – التحويلية. وقد ترجمه إلى العربية يوسف يؤيل عزيز ، ولا أدرى لم قوبلت هذه الترجمة بالإهمال فى أوساط اللغويين !! .

المؤسس على نموذج المكونات المباشرة، نحو بنية المركبات

(Phrasen - Strukturgrammatik =) ps - Grammatik

وفى نحو المكونات المباشر تمثل جملة ما على أنها تدرج من الوحدات التى يمكن أن تحلل فى خطوات إلى وحدات أصغر، وهو مايمكن أن تعرض فى صورة رسم شجرى أو علامات - المركبات :

١٠١



[الرجل يغسل السيارة] (S = (ج) جملة، NP = (م س) مركب اسمى، و VP = (م ف) مركب فعلى و Art = (أ) أداة تعريف/تنكير، وN=(س) اسم ، وV= (ف) فعل).

ولسرد جمل هذا النمط، أى لتحديدها نحوياً فى الألمانية ، يمكن أن يشكل نحو بنية المركبات على النحو التالى :

(2)

(1) S $\longrightarrow$ NP VP

(2) VP $\longrightarrow$ V NP

(3) NP ——> Art . N

(4) Art. ——> der, des , dem , den , die , das usw.

(5) N ——> Mann, Wagen , Frau , Hund usw.

(6) V ——> wasch - , Kauf - , usw .

ويفهم السهم على أنه توجيه إلى أنه حيث يظهر أ دائماً يمكن أن يحل محله (ب) . ويطلق على نمط القواعد هذا طبقاً لذلك «قواعد إعادة الكتابة "rewrite rules" (حول الوصف الشكلى لقواعد بنية المركبات، انظر تشومسكى ١٩٦٣، وتشومسكى / ميلر ١٩٦٣، ويعد مدخلاً طيباً إلى النظر الرياضى للقواعد بوجه عام مدخل جروس / لنتن Gross / Lentin ١٩٧١) . وإذا اتبعت توجيهات القواعد (٢) ، فيتحصل مثلاً القسم التالى :

	S		
	NP	VP	
	NP	V	Np
(3)	Art N	V	Art N
	der N	V	den N
	der Mann	V	den Wagen
	der Mann	V	den Wagen
	der Mann	wasch -	den Wagen
	(الرجل)	(يغسل)	(السيارة)

وليس من الصعب أن يرى كيف يشكل من القسم (٣) الرسم الشجرى (١) .

ومن البدهى كذلك أن النحو يجب أن تكون له قواعد تورد مثلاً الشكل- ١٠٢ wasch فى الصيغة الصحيحة wäscht (يغسل) (قواعد مورفوفونيمية) . مثل هذا

الجهاز يحول دون قيام جملة غير نحوية مثل : < den Mann wascht die * Wagen (ويمكن أن ينجز هذا إلى حد ما على الأقل من خلال قواعد مورفونيمية أيضاً) . هذا - كما أنه من البدهي أن يشترط معجم أكثر اكتمالاً بوصفه القواعد (٤) - (٦) - ويمكن للقواعد (٢) أن تسرد كل الجمل الألمانية من نمط البنية المعطاة أو تولدها. وبناء على ذلك يلحق النحو من خلال منهج التوليد بالجمل وصفاً للبنية ، وهى بنية المكونات المباشرة الخاصة بها.

وعلى الرغم من أنه من المؤكد أن هذه القواعد يمكن أن تولد جملاً كثيرة أكثر مما سجلها لغوى ما بالملاحظة فى أى وقت فى مادة لغوية ، فإنها لايمكن أن تولد بعد أبداً جملاً كثيرة بشكل لانهائى. ولايكون ذلك ممكناً إلا حين يدخل فى النحو قواعد إرجاعية (rekursive Regeln) ، أى قواعد من نمط أ ــ ب (أ) ، حيث يظهر العنصر المستبدل مرة أخرى على يسار السهم، وهو ما يؤدى إلى الاشتقاق التالى :

(٤)

أ

ب أ

ب ب أ

ب ب ب أ

وينبغى أن يعنى وضع قوسين حول (أ) على يسار السهم أنه لايجب أن يظهر هذا العنصر (أ) إجبارياً ، أى أن عملية إعادة الكتابة يمكن أن تقطع من خلال حذف أ فى موضع جزافى .

ومن المؤكد أن القارئ يمكنه أن يعرض بنفسه بلا مجهود ، أثر اللانهائية، لقاعدة م س ــ أ س (م س) من خلال أبنية مركبات اسمية معطوفة جد كثيرة.

ويمكن الآن أن تنتج مثل ذلك القواعد الموسعة جملاً كثيرة لانهائية فى اللغة الألمانية ، ولكن يظل أنه ليست كلها. فقد وجب على وجه التحديد أن يستمر فى توسيع النحو لإدخال قواعد أخرى؛ المركبات الفعلية المعقدة (hat ... gewaschen قد غسل) وما أشبه أو المركبات الظرفية مثل (هنا) morgen ,"hierher و ها هنا ، "auf die StraBe ،فى الشارع، وما أشبه)ومركبات كثيرة أخرى. وقد بين

١٠٣ تشومسكى (١٩٥٧، الباب الخامس) أنه توجد برغم كل تلك التوسيعات حدود أساسية لنحو بنية المركبات : ففى كل لغة طبيعية يجب أن توجد جمل من بنية لايمكن أن تولد بوجه عام للغاية من نظام - إعادة الكتابة أو بهذه الطريقة المعقدة فقط إلى حد أنه تضيع عبر هذه التعقيدات أوجه تعميم مهمة لغوياً . ويمكن أن يوضح ذلك من خلال مثال (استناداً إلى تشومسكى ١٩٥٧) :

1 . Der Gärtner gieBt die Petunien.

١ - يروى البستانى نباتات البَطُونية .

2. Die Petunien gieBen den Gärther.

٢ - تروى نباتات البطونية البستانى .

فى الحقيقة يمكن أن تعد الجملتان نحويتين ، أى أن الجملة الثانية يجوز أن يذكرها النحو*. وعلى الرغم من ذلك يجب أن يوجد فى وصف لغوى كامل للألمانية جهاز (من المحتمل خارج النحو الخاص) يحدد الجملة الثانية بأنها أقل اعتياداً على الأقل من الجملة الأولى. ومن الواضح أن للعلاقات المتضمنة هنا صلات تقع بين المسند إليه والمفعول لفعل مثل gieBen (يصب ، يروى ، يسقى) أو لايجوز أن تقع بينهما . ويحدد المسند إليه والمفعول ، فضلاً عن ذلك، فى مفاهيم نحو بنية المركبات: NP مركب اسمى يحكمه مباشرة الاسم S (= Subjekt) المسند إليه، و NP مركب اسمى يحكمه مباشرة مركب فعلى VP (= Objekt) (المفعول) .

وإذا نظرنا الآن فى الجملتين :

1 . Die Petunien werden vom Gärtner gegossen.

١ - رُوِيَتْ نباتاتُ البَطُونية (من البستانى) **

* من الممكن أن نقابل الجملتين بجملتين عربيتين توضحان المعنى المقصود وهما - الرجل القوى يهزم المرض . و - المرض يهزم الرجل القوى . فالرجل جاء مرة فى موقع الفاعلية ومرة فى موقع المفعولية وكذا المرض. .

** وضعت (من البستانى) بين القوسين ، لأن الجملة مبنية للمجهول ومع ذلك يظهر الفاعل مسبوقاً بحزف ("von"من) طبقاً للطريقة الغالبة للبناء للمجهول فى اللغات الأوربية (بما فيها الألمانية) ، وهو نظام يخالف نظام البناء للمجهول فى العربية . وهناك طرق كثيرة لترجمة هذه الجملة إلى العربية، ومن الأفضل فى رأيى أن تحول إلى جملة بناء للمعلوم .

1. Der Gartner wird von den Petunien gegossen.

٢- رُوِىَ البستانىُّ (من نباتات البطونية).

ويجب أن تقدم هنا أيضاً قيود اختيار Selektionsbeschrankungen. غير أن الأمر فى ذلك يدور بشكل حدسى حول القيود ذاتها كما هى الحال بالنسبة لـ (5)، إلا أن ما قيل مع (5) عن المسند إليه يجب أن يقال عن المفعول. والعكس بالعكس. وحين يولد الآن نحو بنية المركبات الجمل (5) والجمل (6) أيضاً فإنه يجب أن توضع قيود اختيار[٩] تارة لجمل البناء للمعلوم، وتارة لجمل البناء للمجهول. غير أن تعميماً مهماً قد تلاشى فى الوصف اللغوى، وهو أن الأمر يدور فى ذلك حول القيود ذاتها أساساً. تلك التعميمات يمكن أن يحافظ عليها فى ذلك إذا لم تولد جمل البناء للمجهول مباشرة، بل مشتقة من جمل البناء للمعلوم، إذ يحتاج إلى أن توضع قيود الاختيار مرة واحدة، وذلك لجمل البناء للمعلوم.

١٠٤ غير أن مثل ذلك الاشتقاق لم يعد من الممكن أن ينجزه نحو بنية المركبات، لأنه يجب هنا أن تحول العلامة المركبية P-Marker إلى علامة مركبية أخرى. ولكن قاعدة إعادة الكتابة لا تستطيع أن تستبدل إلا رموزاً مفردة، وليس تدرجات كاملة من الرموز. ومن ثم ثمة حاجة إلى نمط آخر من القواعد، وهذه القواعد يطلق عليها تحويلات (Transformationen)*. وهكذا فإن نحو المركبات ليس إلا جزءاً من نحو توليدى، يجب أن يتضمن فضلاً عن ذلك جزءاً تحويلاً. وبعبارة أخرى: لايكفى تحليل جملة ما بالنظر إلى بنية المكونات المباشرة الخاصة بها، فهى (الجملة) يجب أن تمثل أساساً على مستوى تحويلى أيضاً، أى بالنظر إلى علاقاتها بالجمل الأخرى.

وقد برهن بوستال (١٩٦٤ أ) على أنه ليس نموذج المكونات المباشرة وحده،

---

* وأحد الجوانب المميزة لـ «التراكيب النحوية» هو استعمال العلاقات التحويلية المشكلة فى صورة قواعد rules، ووصف الفروق بين جمل الأنماط المختلفة موضحة بأمثلة من الانجليزية، ولكنها (أى القواعد) قابلة فى الأساس للتطبيق على كل اللغات، فجمل النفى وجمل الاستفهام والجمل المبنية للمجهول قد عوملت كلها باعتبارها تحويلات transforms لنمط جملة «نواة kernel»، أكثر أساسية تمثله الجمل الإخبارية المثبتة، الموجز ص ٣٥٧.

بل كل النماذج التصنيفية يمكن أن تحلل وتصاغ على أنها نحو بنية المركبات. ولعله تبعاً لذلك قد ثبت بالدليل عدم مناسبة نحو بنية المركبات ، عدم مناسبة كل النظريات التصنيفية فى الوقت ذاته. ولايعنى عدم المناسبة هنا بشكل واضح ابتداءً إلا «عدم الكفاية» . وخلاف المستوى التصنيفى يجب أن يقدم كذلك بشكل إضافى مستوى – التحويل T-Ebene .

وقد أُثبت للنظرية التصنيفية عدم كفاية مشابهة ، ظاهرة ابتداءً من الناحية التقنية فقط – بدءاً بتشومسكى ، وهاله ، ولوكوف (١٩٥٦)– فى المجال الذى وقع بالنسبة للتوليديين – إذ تقع بالنسبة لهم كما يتضح مما سبق ، صياغة الجملة ، أى النحو، فى المركز – بدرجة أكبر على الهامش، أى فى مجال التحليل الفونيمى (Phonenik) . ولكن لما كان التحليل الفونيمى أو من الأفضل الفونولوجيا الجزء الذى درساً عميقاً والأساس الأكثر رسوخاً فى النظرية التصنيفية فلاغرابة أن الجدل فى هذا المجال كان الجدل الذى استمر مدة طويلة للغاية والأكثر حدة ، الذى وقع بين التوليديين والتوزيعيين (المراجع : هاله ١٩٥٩، ١٩٦٢، وتشومسكى / هاله ١٩٦٨، ويوستال ١٩٨٦، وتشومسكى ١٩٦٤، ١٩٦٦، ولامب ١٩٦٦م ،وهاوسهولد / ١٩٦٥ ، ١٩٦٦) .

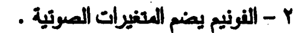
ويتذكر المرء أن التوزيعين عرفوا ثلاث مستويات : المستوى المورفونيمى والمستوى الفونيمى والمستوى الصوتى . وإذا ما حولت النتائج التوزيعية، كما هى الحال فى النحو تماماً ، وعرضت بواسطة نظام قاعدى، يصير من «تقرير» عن علاقات التوزيع قاعدة تحقيق.

(٧) الوحدة المورفونيمية M تضم الفونيمات يرد فى المحيط $P^1 \ldots P^n$ ١٠٥

P^1 يرد فى المحيط $X^1 \ldots Y^1$

....

P^n يرد فى المحيط $X^n \ldots Y^n$



٢ – الفونيم يضم المتغيرات الصوتية .

P^1 يرد فى المحيط X^1 ____ Y^1

....

P^2 يرد فى المحيط X^n ____ Y^n

قواعد الفونولوجيا التوليدية

$$1.\ M \longrightarrow \left\{ \begin{array}{l} P^1 / X^1 - Y^1 \\ \dots\dots\dots \\ P^n / X^n -- Y^1 \end{array} \right\}$$

$$1.\ p \longrightarrow \left\{ \begin{array}{l} p^1 / X^1 -- Y^1 \\ \dots\dots\dots \\ p^n / X^n - Y^1 \end{array} \right\}$$

(M = وحدة مورفيمية، P= فونيم ، p= متغير صوتى ، X = س

y = ص ، 1-n (للعدد من أ : ن))

يعنى السهم مرة أخرى توجيه – إعادة الكتابة . وقد استطاع هاله Halle (١٩٥٩) من خلال هذه الصياغة أن يبين أن إدخال مستوى التمثيل الفونيمى يعد أمراً زائداً ويجعل تحويل مباشر من التمثيل المورفوفونيمى إلى تمثيل صوتى أوجه التعميم اللغوية ممكنة، وهى التى يجب أن توضع مرتين فى نهج المستويات الثلاثة، ومن ثم تتلاشى بوصفها تعميمات.

وهذا أيضاً لايظهر ابتداءً إلا بعد مراجعة تقنية محضة. ولكن فى الحقيقة يتهدد هنا مبدأ من المبادىء الأساسية للتوزيعية وهو افتراض علاقة أحادية المعنى بين الأبنية اللغوية والوقائع الفيزيائية التى يمكن ملاحظتها ، وهو مايبنيه المثال التالى :

التمثيل المورفوفونيمى للكلمتين الألمانيتين ، Bund ، (جماعة/ جمعية) وbunt ، (متعدد الألوان) :

/ bunD / ___ / bunt /

التمثيل الصوتى :

[bunt] ___ [bunt]

يُمثّل العنصر الصوتى الفيزيائى هو نفسه (t) هنا تارة بوصفه /D/ وتارة بوصفه / t / ، دون أن يقعد من خلال منهج ميكانيكى قائم على الحقائق الصوتية الممكن ملاحظتها فقط، متى كان ذلك التمثيل ضرورياً . وتوجد مبادئ توزيعية أخرى كثيرة، تُهدر من خلال النقل المباشر للتمثيل المورفوفونيمى إلى التمثيل الصوتى (انظر كذلك تشومسكى ١٩٦٤، ويوستال ١٩٦٨)، غير أن إهدار وصية المذهب الفيزيائى يبدو لى هو الأكثر حِسماً . ١٠٦

ويحول التشبث بمذهب الفيزيائية دون التقرير الأمثل للاطرادات اللغوية – هكذا صيغت حجة التوليديين. وحاول كل من لامب Lamb وهوكيت Hockett وهاوسهولدرHouseholder أن يتداركوا فى تحد لأوجه نقد التوليديين، بنموذج ، النحو الطبقى ، stratificational grammar ، النقص المبين فى نموذج التوزيعيين بالحفاظ على المبادئ الأساسية فى البنيوية الأمريكية الكلاسيكية *. وعلى الرغم

* استمدت نظرية ،القواعد الطبقاتية التى قدمها لامب بعض خصائصها من نظرية براغ (القواعد هنا Grammar تستعمل بمعناها الأوسع لتغطى التحليل الشكلى برمته، كما هو الشأن فى الاستعمال التحويلى) . والمستويات والطبقات المختلفة مستويات مفترضة فى التركيب اللغوى لتحليل الجمل. وعلى سبيل المثال مستوى الدلالة الذى تظهر فيه وحدات المعنى المميزة فى اللغة فى شكل شبكة العلاقات، ومستوى المعجم الذى تتصل فيه الوحدات المعجمية المميزة ... تتصل معاً فى تركيب الجملة والمستوى المورفيمى الذى تظهر فيه المورفيمات فى سلسلة متتابعة، والمستوى الفونيمى الذى تؤلف فيه الحزم المتزامنة للملامح المميزة سلسلة من الوحدات الفونيمية وهذا يصور الانتقال من المعنى المقصود إلى الشكل المنظم تسلسلياً وصوتياً .

والمستويات يتصل بعضها ببعض بطريقة تسلسلية هرمية ، وتربطها معها علاقة التمثيل أو التحقق بكون المستوى المعجمى ، والمستوى المورفيمى تمثله الملامح المميزة للمستوى الأدنى وهو المستوى الفونيمى .. انظر تفاصيل هذه النظرية فى الموجز ص٣٥٦ وعلم اللغة لجاد الرب ص١٨١ ومابعدها.

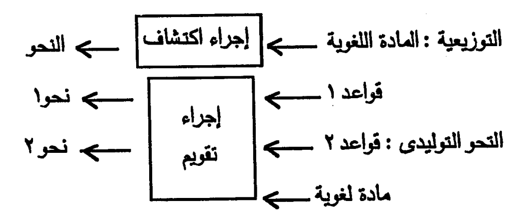
من أن ذلك قد حدث دون قدرة على الإقناع ، لم يعد من الممكن التغلب على الشُّقَة بين كلا المعسكرين. ويبين ذلك أنه مازال يكمن خلف استكمال القواعد بجهاز تحويل وخلف الجدل حول التحليل الفونيمى الشئ الكثير الأكثر حسماً إلا حد ما. وإذا افترضنا أنه لم يحدث فى مقابل نموذج المكونات المباشرة التصنيفى شئ آخر غير (إعادة) صياغته فى نحو بنية المركبات – نغض النظر إذن عن التحويلات ومسألة الفونيم كلية – فلعله قد نتج عن ذلك فقط من خلال مسألة وضع النظرية اللغوية تحول كامل: إذ يرجع سواء فى نموذج المكونات المباشرة أو فى نموذج هاريس «من أسفل إلى أعلى»، أيضاً، كل المصطلحات اللغوية أساساً إلى مصطلحات وصفية للموضوعات الملاحظة.

وقد أدلى نحو – بنية المركبات على العكس من ذلك بأقوال عما لم يلاحظ بعد، وربما أيضاً لم يلاحظ على الإطلاق أيضاً. إن له قوة تقديرية "predictive power". ومن ثم فإن مصطلحات مثل مركب اسمى، جملة ... الخ، لاتتعلق مباشرة بالملاحظات إنها على الأرجح مصطلحات لاتظفر بتفسيرها إلا فى النظام الكلى للنظرية (انظر تشومسكى ١٩٦١). فالنظرية ككل ابتداءً يمكن أن تسبر وتقوم بموادها. وينتج عن ذلك أيضاً أن النظرية لاتتشكل من المواد بشكل آلى. فمن غير الممكن أن يعلق على إقامة إجراءات الاكتشاف "discovery procedures" الآلية تلك ، التى كانت جهود التوزيعيين قد وجهت إليها توجهاً مركزياً. إذ لايمكن أن يقدم لإنشاء نظرية (أى للنحو) أية قواعد اطلاقاً إلا القواعد الاستكشافية. ولكن حسب تشومسكى (انظر ١٩٥٧، الباب السادس) لايمكن أن يقدم ذلك أيضاً بشكلى بعدى أى نهج آلى للتحقق من نظرية ما بأنها أفضل نظرية للمجال المختار للمواد. الإمكانية الوحيدة هى : تقديم المواد وتقديم نظريتين يمكن أن يتحقق من خلال منهج تقويم أى نظرية أفضل من الأخرى *: ١٠٧

---

* يعد تشومسكى هو الذى تحدى بصراحة ووضوح، معظم مجمل الأسس الفلسفية للمبادئ البلومفيلدية للعمل بقدر ما يتعلق الأمر بعلم اللغة.

ومفهوم بلومفيلد عن العلم كان مفهوماً إمبريقياً بشكل قوى، أما تشومسكى فيصرح بتفسيره العقلى للعلم على الأقل فيما يتعلق الأمر بعلم اللغة ، وهذا يتخذ صورتين من صور التفكير حول اللغة على طرف نقيض من صور التفكير عن البلومفيلديين، ففى المقام الأول ينظر تشومسكى وهؤلاء الذين يتبعون مقاربته العامة، ينظرون إلى اللغة «من الداخل» أى مقدرة ، ابن اللغة على استعمال وفهم لغته. والإمبريقيين – إخلاصاً منهم لمبادئهم – قد نظروا اللغة «من الخارج» كما تفعل العلوم الطبيعية . وشغلوا أنفسهم تماماً بالظواهر التى فى المتناول عموماً للكلام والكتابة . الموجز ص ٣٤٤.



(أنظر تشومسكى ١٩٥٧، ص ٥١)

يقوم منهج التقويم ضمن مايقوم عليه ، على معيار البساطة : فالقواعد الأبسط أفضل من القواعد الأقل بساطة، طالما تتعلق كلتاهما بالمواد ذاتها بالدرجة ذاتها من المناسبة ، حيث تفهم البساطة هنا على أنها معيار امبريقى وليست معياراً شكلياً.[١٠] ومن الواضح أن نوعين من القواعد لايمكن أن يقارن بعضهما ببعض ، ولا أن يقوما بشكل تقابلى إلا حين يشكلان حسب الأسس ذاتها. وهكذا يجب أن يكون كل من ق١ و ق٢ قواعد توليدية. فلا يمكن إذن أن يقارن بين قائمة من الأنحاء ونحو توليدى بشكل آلى. ولذلك يجب أن تبنى معايير أخرى خارجية بدرجة أكثر وأقل أساس المناقشة. (عدم ملاحظة هذه الحيطة قد انتزع فضلاً عن ذلك من مناقشة الفونيم المذكورة من قبل، واقعيتها إلى حد ما) .

ومع تغيير فى الرؤى حول وضع النظرية ووضع المصطلحات النظرية أكمل تشومسكى إلى حد ما بالنسبة لعلم اللغة مجرد شئ كان قد ظهر. من قبل فى نظرية العلم الخاصة بالتجريبية المنطقية. وبذلك مايزال لايستطيع المرء هنا أن يتحدث عن تطور لغوى مميز. أما ذلك التطور المميز الذى صنع أيضاً قطيعة بشكل نهائى وكلى مع البنيوية الأمريكية الكلاسيكية، فلم ينجز إلا بعد سنة ١٩٥٧، فقد عثرت نتائج هذه المرحلة الثانية من النحو التوليدى على تعبيرها الأكثر اكتمالاً لدى (كتاب) تشومسكى سنة (١٩٦٥). ويمكن أن تحدد معالم ، نموذج المعيار، فى النحو التوليدى المطروح فيه، فى المبحث التالى .

٥-٢ نموذج المعيار

إن السمة الرائعة للمرحلة الثانية فى مدرسة تشومسكى هى عودتها إلى المذهب العقلانى Mentalismus*. فالنحو التوليدى ينبغى كنظرية أن يضع فى اعتباره القدرة العقلية للانسان، على إمكان إنتاج وفهم جمل كثيرة بشكل لانهائى فى لغته، أى أيضاً الجمل التى لم تسمع من قبل مطلقاً، أى الجمل التى ربما لم ترد مطلقاً داخل جماعته اللغوية. وهذا مايسمى الجانب الخلاق "kreative" فى الاستعمال اللغوى الإنسانى (انظر بوصفها «علامات» للطريق إلى المذهب العقلانى، تشومسكى ١٩٦٤، وكاتز ١٩٦٤، وتشومسكى ١٩٥٩، وكذلك تشومسكى ١٩٦٥). ولما كانت الوسائل الموجودة فى مخ الانسان الآن يمكن أن تكون نهائية فقط فإنه يجب على النظرية اللغوية أن تحدد كيف صنع الإنسان «استعمالاً لانهائياً من وسائل نهائية». ومع تلقى هذه الكلمة من ف. ف هومبولت يشير النحو التوليدى إلى أنه يريد أن ينظر فى إرث مخالف تماماً وضع بوصفه علم اللغة الحالى، وهو (أى الإرث) ماسوف يستمر فى تناوله تناولاً مفصلاً فيما يلى.

ويصور الكم النهائى للوسائل «فى مخ الإنسان المتكلم نوعاً من المعرفة (knowledge) حول أوجه الاطراد فى لغته، وتلك (أى المعرفة) تمارس فى الإنجاز

---

* يظهر ذلك فى الصورة الثانية للتفكير المناقض لتفكير البلومفيلديين، إذ يقول روبنز فى الموجز: ووجهة نظر تشوسكى «الداخلية» تسمح له باللجوء بالضرورة إلى الإدراكات وردود الفعل الشخصية، والخاصة والفردية المعروفة للمتكلم - السامع على نحو مباشر (بما فى ذلك بالطبع اللغوى الذى يدرس لغته)، ولتلك الإدراكات وردود الأفعال التى يستدل عليها فى الآخرين من خلال كلامهم أوسلوكهم الآخر بشكل غير مباشر فحسب. وهذا من أجل تحديد المقبولية وعدمها والصياغة المتساوية، والتكافؤ، والصياغة الصحيحة وغير الصحيحة، وأحكام المتكلمين الخاصة عن الفروق وظلال الفروق الدلالية، وتحديدهم للملاءمة السياقية للمفردات وصيغ الجمل ... وفى المقام الثانى ليس العقل أو المخ الإنسانى صفحة بيضاء أو وعاء فارغاً للإمبريقيين، لاعمل له إلا انتظار الانطباعات والمعلومات التى تنطبع عليه من الخارج. فالعقليون ينظرون للمخ باعتباره مزوداً وراثياً ببرنامج غنى ومفصل بوضوح لاستقبال وتفسير وتخزين واستعمال المعلومات العشوائية التى تزوده بها أعضاء الحس. وهذا يساوى «الأفكار الفطرية» عند العقليين الديكارتيين الكلاسكيين فى القرن السابع عشر، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

الفعلى للغة. وهذه المعرفة مستقرة دون وعى (مستقرة فى العمق deep seated، ضمنية " tacit " تشومسكى ١٩٦٥ ص ١) . كما تشاء ، ويعبر عنها دائماً فى أشكال حدس (Intuitionen) المتكلم فى صورة ماهو ممكن أو غير ممكن فى لغته، الحال كذلك أو ليست كذلك . فكل متكلم للألمانية لديه نظرة حدسية عميقة، فى أن جملة مثل : " Der alten Frau Hans brachte zum Bahnhof den Koffer" جملة غير صحيحة، وفى أنها أقل خطأ تارة أخرى من جملة : " Die alter Frauen bringte Hans die Koffer aufs Bahnhof" ولدى المتكلم كذلك نظرات حدسية حول كون تعبيرات معينة ثنائية المعنى ، غامضة "ambig" " Das Toten von Fliegen" قتل الذباب (أو أى شئ يطير) ، أو أن تعبيرات أخرى ثانية تقع (توجد) فى علاقة وثيقة تكفى لتساوى المعنى ("Es miBfallt mir , wie Hans sich be- tragt" ساءتنى الطريقة التى تصرف بها هانز) "Mir miBfallt das Betragen uon Hans" (ساءنى سلوك هانز) مثل تلك الأحكام الحدسية يمكن أن يصدرها ابن اللغة native speaker عن لغته وفيها . ويطلق تشومسكى على هذا النظام ، المستقر فى العمق «للمعرفة» الكفاءة اللغوية ، ** Kompetenz لابن اللغة ، وهى موضوع

---

* كان الجانب الإبداعى غير المحدود لمعرفة المتكلم الأصلى للغته هو الذى ميز فيه تشومسكى واللغويون التحويليون - التوليديون الآخرون، تصورهم للكفاءة عما اعتبروه السوسيرى الأكثر محدودية للغويين «البلومفيلديين» ... ولاشك أن كل اللغويين التحويليين قد التزموا بأهداف تصور تشومسكى للغة، وهى يمكن إحرازها بصياغة الأوصاف اللغوية فى شكل قواعد تجسد المقدرة الإبداعية لمتكلم اللغة الأصلى على إنتاج وفهم عدد لانهائى من الجمل (كل الجمل القواعدية للغة فقط) التى لم ينطق معظمها أو يسمعه من قبل ، وهذا عن طريق القواعد المتكررة والوسائل الأخرى فى القواعد المصوغة للغات . الموجز ص ٣٥٩ .

** ويرى س . كنجيسر S.Kanngiesser أن الكفاءة عند المتكلم السامع تعنى : ١- أن كل جمل اللغة السائدة عندهم ، كذلك الجمل التى لم تنطق ولم تسمع من قبل ذلك يمكن إنتاجها وفهمها. ٢- أنها تستطيع تمييز الجمل النحوية (أى التى جاءت حسب نظام اللغة وقواعدها) من الجمل غير النحوية، كما يمكنها أن تتعرف على مدى صحة الجملة أو درجة النحوية فيها . ٣- أنها تتعرف على إذا ما كانت الجملة أكثر وضوحاً فى مجال الدلالة من غيرها . ٤- أنه يمكنها إنتاج الجمل وتفسيرها فى اللغة بناءً على طريقة فعالة. وليس من شك فى أنه حرص على المقابلة بين مفهوم الكفاءة (وتعنى معرفة المتكلم السامع بلغته) والأداء (السلوك / الاستخدام المتحقق للغة) الذى تنعكس فيه هذه الكفاءة أو يتوقف على وجودها. Generative Linguistik S. 194

النظرية اللغوية. وبعبارة أخرى : تعد النظرية اللغوية للغة ما(ل) الوصف الشكلى ١٠٩ لكفاءة متحدث اللغة (ل) . ولايصير مفهوم الكفاءة واضحاً كل الوضوح إلا من خلال حده فى مقابل مقابله المفهومى ، الأداء اللغوى "performanz". فالأداء هو السلوك الكلامى الفعلى لانسان ما ، حيث لايضم فى ذلك مفهومياً الإنتاج اللغوى فقط، بل الإدراك اللغوى أيضاً . وهكذا فالأداء يعنى السلوك اللغوى وشروط هذا السلوك على الإطلاق. أما أحد هذه الشروط وأكثرها جوهرية حقيقة هو وجود الكفاءة. ودون هذا النظام القاعدى، الكامن فى العمق ، لايمكن أن ينشأ بوجه أى سلوك لغوى. فالكفاءة تعد أساس الأداء. * ولايمكن أن نستوعب الكفاءة بأية حال فى الأداء، لأن الأداء توجهه قيود وعوامل إضافية لاتعد فى الحقيقة لغوية، مثل قيود الذاكرة. وسوف يعرض ذلك فى النحو التوليدى على نحو مفصل من خلال ما تسمى التضمنيات أو التحديدات. ويمكن لمتكلم ألمانى مثلاً أن ينسى السابقة المنفصلة لفعل ما ، التى تقع طبقاً للقواعد فى نهاية الجملة، فى منطوق فعلى، حين يقع بينها وبين الفعل أشياء كثيرة. إذن يمكن أن تكون منطوقاته غير نحوية . وعلى العكس من ذلك يمكن أن يحدث أنه لايفهم جملة نحوية، لأنها ربما نطقت معقدة جداً ، طويلة جداً، سريعة جداً الخ . ويمكن أخيراً أيضاً أن تستلزم عوامل الأداء أن لاتقبل جمل متعددة جيدة السبك نحوياً بوجه عام من ابن اللغة على أنها جمل فى لغته وعلى العكس من ذلك تقبل جمل غير نحوية على أنها صحيحة وهكذا فإن النحوية Grammatikalität

---

** يقول د. الراجحى فى كتابه «النحو العربى والدرس الحديث ص١١٧ : وهذان المصطلحان الأداء performance والكفاءة competence يمثلان حجر الزاوية فى النظرية اللغوية عند تشومسكى. إن الأداء أو السطح يعكس الكفاءة أى يعكس ما يجرى فى العمق من عمليات . ومعنى ذلك أن اللغة التى ننطقها فعلاً إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة، تختفى وراء الوعى،بل وراء الوعى الباطن أحياناً، ودراسة «الأداء» أى دراسة «بنية السطح» تقدم التفسير الصوتى للغة. أما دراسة «الكفاءة» أى «بنية العمق» فتقدم التفسير الدلالى لها .

والمقبولية Akzeptabilität لايقعان معاً (لايتوافقان)* ومن ثم لايمكن لمادة من المنطوقات الملاحظة أيضاً أن تكون الأساس للتحليل اللغوى لأنها يمكن أن تتضمن فعلاً ما هو غير نحوى. وبذلك يظهر مفهوم المنطوق الذى كان مركزياً فى التوزيعية، بأنه وثيق الصلة لغوياً بوجه عام. ويدخل مكانه الجملة التى تصور على أنها عنصر الكفاءة فى مقابل المنطوق على أنه عنصر الأداء. ويطرح عدم اجتماع النحوية والمقبولية السؤال التالى: من خلال أى مناهج تجريبية موضوعية يمكن أن تحدد نحوية جمل معينة، ويتوافق هذا السؤال مع سؤال آخر وهو: كيف يكتسب المرء مدخلاً موثوقاً به إلى أوجه حدس متكلم ما، تتحقق فيها كفاءته ؟

ومن المميز بشكل مطلق للنحو التوليدى أن هذه الأسئلة قد جُنِّبت. ويرى ١١٠ تشومسكى (١٩٦٥، ص ١٩-٢٠) أنه «بالنسبة للمفاهيم الأعمق والأهم فى علم اللغة، ليس من الممكن أن تكون بأية حال معايير تجريبية، بل إنها ليست ضرورية أيضاً، إذ إن علم اللغة يقف على أدلة كافية فيما يتعلق بأوجه حدس متكلم ما، نعم إنه يغص بتلك الأدلة ويحتاج إلى نظرية أكثر من حاجته إلى مواد**.

---

* ويحدد مصطلح النحوية بأن تكون الجملة التى تنتجها القواعد التوليدية أو القواعد التحويلية صحيحة نحوياً، ويرى تشومسكى أن النحوية مسألة درجة لامسألة نوع. أما المقبولية فتحدد بأنها مدى قبول الجماعة اللغوية لاستعمال لغوى معين على مستوى مفرداتى أو مستوى معجمى أو مستوى نحوى.
وكما ذكر د. الراجحى: لابد أن تسعى دراسة «الأداء والكفاءة» إلى معرفة مايسميه تشومسكى «بالنحوية» فى اللغة grammaticality، أى بالقواعد التى على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى صاحب اللغة. ومعنى ذلك أن هدف النحو هو أن يميز كل ماهو «نحوى» مما «ليس نحويا» فى اللغة، أى أن النحو ينبغى أن ينتظم كل الجمل التى تكون مقبولة نحوياً، على أن ينتظم كل هذه الجمل النحوية فحسب. السابق ص ١١٧، ١١٨.

** أكد تشومسكى نفسه ص٩ من كتابه جوانب النظرية النحوية "Aspekte der Syntax Theorie" على فكرة أن اللغة نظام قد استقاها من الفلسفة العقلية أكثر من رجوعه إلى دى سوسير مباشر، ففكرة أن اللغة تعتمد على نظام يحدد تفسير جملها الكثيرة غير المحددة ليست جديدة، فقد كانت واضحة قبل أكثر من مائة عام لدى فلهلم فون هومبلت (١٧٦٧ - ١٨٣٥م) فى مقدمة مطولة لوصفه لغة جاوة القديمة ألفها عن علم اللغة العام (يقصد كتاب تنوع بنية اللغة الإنسانية) حيث يرى أن اللغة تنتج من وسائل محددة استعمالات غير نهائية، كما أن القول بأن النحو ينبغى أن يصف العملية التى تسهل ذلك كان مجال الاهتمام فى الجانب الإبداعى لاستعمال اللغة، كذلك أيضاً فى مجال الفلسفة العقلية عن اللغة والفهم.

، مشكلة النحوى هو إنشاء وصف، وإن أمكن ، تفسير لكم ضخم من مواد لايمكن السؤال عنها متعلقة بحدس لابن اللغة (فى الغالب، هو نفسه ...) ، (تشومسكى ص ٢٠).

وقد وضحت مراراً الثنائية المفهومية ، الكفاءة - الأداء ، بمساعدة مقارنات كثيرة : فقد أدخل بيرفش (١٩٦٥) صورة نظام قواعد المرور الذى مايزال لايقول شيئاً عن السلوك الحقيقى للمشاركين. ويتحدث ميلر (١٩٦٦) عن نظام من قواعد الحساب المنطقية، التى يجب على كل من يريد أن يحسب أن يعرفها حقيقة ، التى يمكنه أن يستبدلها مع مهام الحساب العملية بكل الحيل والطرق المختصرة التى ترجع إلى الخبرة. أما الصياغة الساطعة المعروفة لى فتوجد لدى هلبج Helbig (١٩٧١ ص ٢٩٧) : ،الكفاءة تعنى ما يعرف ... المتكلم، والاستعمال هو ما يعمله ،. وليس من الصعب أن نرى أن كل ذلك يرجع إلى أخذ النموذج الأوربى - البنيوى : اللغة - الكلام، وهو ما اعترف به تشومسكى (١٩٦٥ص٤) مباشرة أيضاً. ولايوجد فى مقابل اللغة Language عند سوسير إلا فرقان :

١ - ينظر إلى اللغة من الناحية العقلية مباشرة على أنها كفاءة.

٢ - الكفاءة ليست محتوى، مخزناً استاتيكياً من العلامات بل نظام قاعدى دينامى*.

ومن الأهمية بمكان أن يشار إلى أن كلمة ،توليدى، لاتعنى أن النحو لاينبغى أن يكون صورة لعمليات إنتاج الجملة التى تدور فى (مخ) المتكلم. أما الانتاج اللغوى فليس إلا نوعاً من السلوك اللغوى. بيد أن النحو التوليدى يصف ما يعد أساس كل

* يتحدد هذا النظام فى أثناء عملية اكتساب اللغة الأولى، كما يرى التوليديون ، باعتباره نشاطاً ومقدرة خاصين على نقيض معظم أشكال التعليم الأخرى، وهذا النشاط يعتمد على مكون معين موجود فى العقل أو المخ على نحو وراثى، وهو جهاز اكتساب اللغة .Language Acquistion Device (LAD)، وهو بشكل محدد جانب القواعد العمومية. وفى ضوء هذا فإن اكتساب اللغة الأولى الذى ينجزه كل الأطفال الطبيعيين دون ملاحظة غالباً ، ودون تعليم منظم، يتميز بشكل محدد عن تعلم الثانية فيما بعد، وعن الدراسة المتعمقة فى المدرسة للغة المرء الأولى، وهى عمل يباشره المرء بشكل واع ويتطلب تعليماً من آخرين أو هى على الأقل تعليم ذاتى متعمد . الموجز ص ٣٤٥

أنواع السلوك اللغوى، أى الإدراك اللغوى أيضاً Sprachperzeption . وهو يعد فى مقابل سلوك المتكلم أو السامع محايداً تماماً .

الآن ماذا يجب أن يعرف المتكلم (بمعنى متكلم اللغة الأم، أو ابن اللغة، وليس متحدثاً بها !) حتى يستطيع أن يسلك فى لغته سلوك كفاءة ؟ وبعبارة أخرى : ما عناصر الكفاءة التى يجب أن يشتمل عليها نحو ما ؟ .

إن المتكلم ببساطة شديدة عليه أن يعرف العلاقات بين الصوت والمعنى، السارية فى لغته . ويجب كذلك أن يكون لديه :

١ – «الفبائية» منها تبنى الصور الصوتية .

٢ – «ألفبائية» منها تبنى المعانى .

٣ – أ) «قواعد» تحدد شكل الصور الصوتية فى جملة مترابطة.

١١١

ب) قواعد، تحدد معنى جملة ما من معنى أجزائها.

جـ) قواعد ، تنقل عبرها العلاقة بين الصورة الصوتية ومعنى جملة ما .

٤ – معجم، تسجل فيه الوحدات الأساسية للغة مع خواصها الدلالية والصوتية ومن المحتمل النحوية .

وقد أدخل هاله M.Halle السمات الفارقة لياكوبسون (انظر ص ٤٨ فى الأصل) بوصفها ألفبائية صوتية فى إطار النحوى التوليدى (انظر الصياغة الأخرى تشومسكى / هاله ١٩٦٨) . وتحدد نظرية ياكوبسون كما صالحاً عالمياً من السمات الثنائية، منها تنظم اللغات المفردة إمكاناتها . وهكذا فالنظرية بوجه إجمالى تحدد عالمياً ما الأصوات التى تقدر بأنها أصوات لغوية *. ومن الواضح أنه بإلهام من هذه

* تختلف العموميات اللغوية أو القواعد العمومية لدى البلومفيلديين عنها لدى التوليديين، فقد كان تأكيد بلومفيلد على التحليل الشكلى المفصل للغات المختلفة هو الذى حدد رأيه فى العموميات أو القواعد العمومية، بوصفها ممارسة استقرائية بشكل خالص يجب أن تتبع فقط على أساس المعلومات المتراكمة، من أعداد ضخمة من اللغات أكثر كثيراً مما تم إنجازه حتى الآن . من هنا كانت معالجة الرافضة بعض الشئ للموضوع بوصفها مخالفة لتحديد تشومسكى للقواعد العمومية، بوصفها الفرضية المركزية لفهم بنية اللغة ، ومقدرتنا كلنا على أن نكتسب أو «ندخل فى ذاتنا internalize »، هذا النظام الغنى المركب الدقيق للقواعد من التعرض سنوات قليلة لكتلة عشوائية ومحدودة جداً من المادة اللغوية . الموجز ٣٤٦ .

النظرية الفونولوجية – الصوتية طور كاتس وفودر (Katz/fodor)(١٩٦٣) وكاتس / بوستال (Katz / Postal)(١٩٦٤) وكاتس (١٩٦٩) نظرية عن السمات الدلالية التى تحدد بشكل عالمى ما المعانى الممكنة . وبذلك تقدم نظرية السمات وصفاً شكلياً، لجهاز معرفى وإدراكى للكائن الحى ، (بيرفش ١٩٧٠ ، ص ١٨٢) . وتنتقى اللغات المفردة إمكاناتها الخاصة من هذه الألفبائية المفهومية الممكنة عالمياً.

ويمكن الآن أن يوصف معجم لغة ما بأنه كم من الثنائيات P⁀S، حيث تقدم P الشكل الفونولوجى ، و S الشكل الدلالى لوحدة ما فى مصطلحات أوجه تخصيص السمات. ويطابق الشكل الفونولوجى فى المعجم لنحوتوليدى مايعد فى التوزيعية البناء المورفوفونيمى لوحدة ما .

والجملة بوصفها تأليفاً من وحدات معجمية ليست فى شكلها الدلالى ولا فى شكلها الصوتى توالياً كمياً بسيطاً لوحدات معجمية مفردة . ولاينتج التفسير الصوتى أو الدلالى لجملة ما إلا من الوحدات المفردة الواردة فيه بالإضافة إلى بنيتها النحوية أو الترتيب التركيبى لهذه الوحدات . ويعرض للمكون الصوتى فى نحو توليدى ثلاث مهام :

١ – يجب أن يحدد معالم التنغيم والنبر للجملة كلها.

٢ – يجب على الوحدات المعجمية ، التى لاتظهر ابتداءً إلا فى شكلها الأصلى المجرد ، أن تورد تبعاً للعلاقات النحوية فى الجملة فى صيغتها المورفولوجية المجردة (مثل : wäscht _ wasch، حين يقع مسند إليه الجملة فى المفرد، انظر المثال السابق) . ١١٢

٣ – يجب أن يحول الشكل الفونولوجى إلى شكل صوتى معين، وهو مايجلب معه أحياناً تغيرات مباشرة فى السمات (مثل : حين تحول <Bund> من تمثيل مورفوفونيمى أو فونولوجى / bund / إلى التمثيل الصوتى (bunt)، طالما تقع قبل حد الكلمة) .

ويمكن أن تمثل عملية المكون الفونولوجى عملية فى شجرة البنية النحوية،

سلستها الأخيرة (terminal string) هى الوحدات المعجمية فى صيغتها الفونولوجية الأساسية، حيث تورد هذه السلسلة بمراعاة البنية النحوية فى تمثيل أخير، يقدم كيف نطقت الجملة المعنية أو عبر عنها منطقياً، وتقدم ما يجب أن يعرف متكلم حتى يستطيع نطق الجملة المعنية .

ومايسرى على المكون الفونولوجى، يسرى مع تغيرات ضرورية أيضاً على المكون الدلالى : يجب أن يتضمن قواعد تلحق بالجملة بأكملها على أساس الشكل الدلالى لوحداتها المفردة بالإضافة إلى بنيتها النحوية تفسير دلالى أو قرآءة دلالية (reading) . ويطلق على هذه القواعد قواعد الإسقاط (Projektionsregeln) خرجها تخصيص لما يعرف متكلم ما، حين يفهم جملة فى إنجاز فعلى .

ومن الواضح الآن أنه لايمكن أن تجرى (عمليات) القواعد الدلالية والفونولوجية على بنية نحوية هى ذاتها. وفى الغالب يكون تبعاً لتنغيمات ابن اللغة لجملتين أو عدة جمل ذات شكل صوتى مختلف تماماً المعانى ذاتها، وعلى العكس من ذلك يمكن أن يكون لجملة واحدة معانى مختلفة. وفى الحال الأولى يتحدث عن كم من جمل مترادفة، وفى الحال الثانية عن ترادف تركيبى، أمثلة ذلك :

(١) ١ – هانز كتب رسالةً.

٢ – رسالةً كتب هانز.

٣ – كانت رسالة، ماكتبها هانز .

٤ – كان مكتوب رسالة، مافعله هانز .

(هل لكل هذه الجمل فى الحقيقة معنى متطابق، أمرهين ، أما الحاسم فهو أن كل متكلّم ألمانى لديه حدس*، بأن هذه الجمل من جهة المعنى توجد فى علاقة جد

* فالنحو عند تشومسكى – كما يقول د. الراجحى – لابد أن يهتم «بالحدس» Intuition عند المتكلم، لأنه ليس آلة تصدر أصواتاً وفقاً لعوامل خارجية، وإنما هناك هذا الشئ الداخلى الذى يجعله يتحرك وهو متحرر من هذه العوامل . «فالحدس» ليس عنصراً ثانوياً فى الدرس اللغوى، وإنما هو عنصر جوهرى، ولما كان الحدس إنسانياً، فإن النظرية كما قلنا تسعى إلى معرفة كل الظواهر الكلية فى كل اللغات. وليس يعنى ذلك أن هذه الظواهر يمكن أن نجدها فى كل لغة، ولكنها يمكن أن تدرس بمعزل عن لغة معينة . السابق ص ١٢٠ .

وثيقة بعضها ببعض تقريباً أكثرمن جملة، : ، لم يعد هانز يكتب رسالة منذ زمن طويل، . ١١٣

أما الترادف التركيبى فمثل :

(٢) يتقزز هانز من موت العناكب.

- أ) يتقزز هانز، حين يميت عناكب.

ب) يتقزز هانز ، من الكيفية التى تموت عليها العناكب (أو أى كائن حى آخر).

ففى المثال (٢) تكون «العناكب» تارة ، و «هانز» تارة المسند إليه للفعل (مات/ أمات). ويجب أن تؤخذ فى الاعتبار فى الوصف اللغوى تلك العلاقات المتباينة بين الفعل وبنية المركب الاسمى، التى (أى العلاقات) تعد باستمرار أساس التفسيرات الدلالية المختلفة للجملة. ويعنى ذلك أنه يجب أن يلحق بكل جملة تمثيلان نحويان : التمثيل - العميق - أساس التفسير الدلالى ، والتمثيل الآخر - السطحى - أساس التفسير الصوتى .

وتولد بنية العمق (البنية العميقة Tiefenstruktur) من أساس النحو، بينما تُشْتَق أبنية السطح (الأبنية السطحية Oberflächenstrukturen) من الأبنية العميقة بواسطة قواعد التحويل *.

---

* إن اعتبار اللغة «عملاً عقلياً ، أو ، آلة للفكر والتعبير الذاتى ، يعنى أن للغة جانبين ، جانباً داخليا ، وآخر خارجياً . وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين . أما الأول فيعبر عن الفكر ، وأما الثانى فيعبر عن شكلها الفيزيقى باعتبارها أصواتاً ملفوظة. وهذه الأفكار هى التى ظهرت بعد ذلك عند تشومسكى تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية. ولما كانت البنية العميقة تعبر عن ، المعنى ، فى كل اللغات فإنها تعكس ، أشكال الفكر الإنسانى ، ، وعلينا أن نعرف كيف ، تتحول ، هذه البنية إلى كلام على «السطح ، . وهذا هو الأصل فى ، النحو التحويلى ، الذى يهتم بالقوانين التى تحدد البنية التحتية، وتربطها ببنية السطح . ولما كانت اللغة لانهائية فيما تنتج من جمل برغم ، انحصار، مادتها الصوتية، فإن هذا النحو يهتم أيضاً بدراسة النظام الأساسى الذى تتولد به قوانين البنية العميقة ، قبل تحويلها إلى كلام على السطح . د. الراجحى ، السابق ص ١٢٦، ١٢٧ .

ويتميز هذا النموذج لإنتاج أبنية نحوية عن النموذج القديم فى أربع نقاط على الأقل :

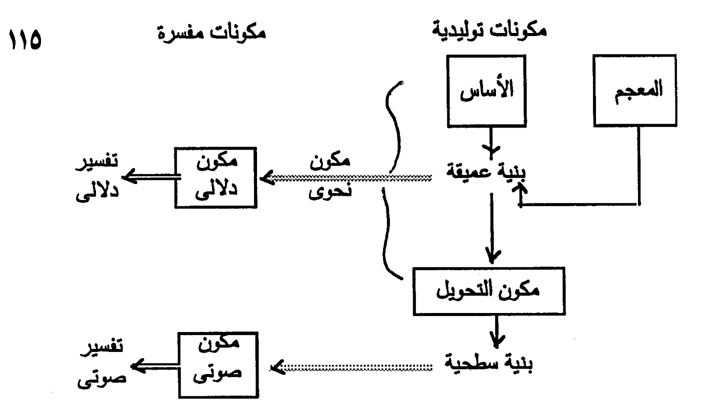
١ - لم يعد يطابق الأساس نحو بنية المركبات القديم. ففى الحقيقة تضع نواةً قواعد التوليد باستمرار قواعدُ إعادة الكتابة التى يعد خرجها بنية شجرية معنونة. ولكن الأساس يوسع من خلال جهاز من قواعد التفريع وقواعد الاختيار. وتستمر الأولى فى تحديد الفصائل المعجمية، مثل الاسم، والفعل والأداء فى فئات فرعية مثل: أسماء حية (دالة على شئ حى) وأسماء مجردة (دالة على شئ مجرد) الخ . وتحدد الثانية هذه الفصائل فيما يتعلق بقيود التوارد فى مقابل الفصائل الأخرى، مثل وجوب أن يكون للفعل ، مات ، اسم حى بوصفه مسنداً إليه ، ووجوب أن يكون للفعل ، أكل ، اسم محسوس بوصفه مفعولاً ... الخ . وقد عدت هذه القواعد حسب شكلها قواعد تحويل T - Regeln ، إلى حد أن الأساس أيضاً لم يعد خالياً من التحويل. ووظيفتها تكمن فى أنه فى السلسلة النهائية للبنية الشجرية لاتوضع إلا العناصر المعجمية ،المناسبة بعضها لبعض ، ، وأنه إذن على سبيل المثال يمنع تأليف الفعل ، أكل ، مع مفعول مجرد، مثل ، العدل ، أو على الأقل يوصف بأنه خارج على القواعد . ومن الصعب أن يقرر إلى أى مدى تعد السمات المستخدمة هنا ، حى، مجرد ... الخ سمات نحوية محضة وليست كما سلف سمات دلالية. إن تشومسكى (١٩٦٥) مازال يعدها سمات نحوية دون أن يقيم وزناً كبيراً لهذا السؤال .

١١٤ ٢ - كان للتحويلات فى الصياغة القديمة بدرجة أكثر أو أقل جمل بينها ارتباط بعضها ببعض (مثل جملة البناء للمعلوم وجملة البناء للمجهول) . فهى الآن تحول البنية العميقة لجملة ما إلى بنيتها السطحية أو أبنيتها السطحية . وتوصف وظيفتها فى الغالب بوظيفة فلتر لايسمح إلى حد ما بمرور الأبنية إلا حين يكون لها شكل معين ، وهو شكل نماذج الجملة ، السطحية ، المسموح بها فى اللغة المعينة، أى المحددة.

٣ - لاتتبادل بنية عميقة فى إطار أية ظروف مع جملة معينة ، ومن المحتمل مع جملة بسيطة جداً . فالبنية العميقة TS بنية نظرية. وهكذا حين يقال إن جملة

المثال (٢) ذات المعنين ، لها جملتا البنية العميقة أ) ، و ب) فإن ذلك ليس إلا استعمالاً مجازياً موجزاً لتعبير ، جملة (٢) لها تارة البنية العميقة ذاتها كما فى أ) ، وتارة البنية العميقة كما فى ب) ، . وكذلك لاتتطابق فى جملة بسيطة جداً البنية العميقة مع البنية السطحية مطلقاً ، إذ إن تعريف البنية العميقة هو بنية نظرية موضحة أساسية. وإذا قيل فى أثناء الحجاج اللغوى : لجملة ، هانز يشرب اللبن ، بنية سطحيةOS مماثلة TS ، فإن ذلك تارة أخرى ليس إلا اختصاراً للتعبير الصحيح : ، تؤدى تحويلات قليلة بوجه خاص ، عادية تقريباً من البنية العميقة إلى البنية السطحية لهذه الجملة ، .

٤ – حين تعد البنية العميقة أساس التفسير الدلالى فمن الجائز منطقياً أنه لم يعد لجمل التحويل أى تأثير مغير للمعنى، فقد وجد فى النظام القديم جمل تحويل اوردت جملة ما مثلاً فى صورة منفية، أى غيرت معناها. غير أن الفكرة الكلية للبنية العميقة غير ممكنة مع السماح بجمل التحويل هذه. وهكذا فقد وجب فى النموذج المعيار Standardmodell مثلاً أن يعلم النفى من قبل فى البنية العميقة ، وبخاصة أن الصيغة المحددة للنفى .قد عنيت بها جملة التحويل (مثلاً البنية العميقة ، نفى ein ← البنية السطحية ، Kein ، أو nicht ein ،) (حول إبعاد جملة التحويل المغيرة للمعنى انظر بوجه خاص كاتس / بوستال ١٩٦٤) .ويبرز مما قيل أن ، مكون التوليد، الخاص هو النحو. فالمكون الدلالى :لايفسر إلا البنية العميقة، أى تتشكل من السمات الدلالية للوحدات المعجمية بالإضافة إلى علاقاتها النحوية فى البنية العميقة، قراءة دلالية. وكذلك تفسيرى interpretativ محض ، ذلك المكون الصوتى الذى يتشكل من السمات الفونولوجية للوحدات على أساس تنظيمها فى البنية السطحية لها، ،قراءة، صوتية للجملة. وبذلك يمكن أن يخطط نموذج المعيار على النحو التالى:



يبين هذا المخطط بوضوح، كيف تعد العلاقة بين الصوت والمعنى بين الدال والمدلول فى نموذج النحو التوليدى علاقة لم توفر إلا بشكل ظاهرى للغاية فقط . واختلاف الأبنية النحوية التى تعد أساس الجانب الصوتى والجانب الدلالى هى حسب كاتس/بوستال (١٩٦٤، ص٢) تفسيرات للقول الفصل لدى سوسير عن اعتباطية العلامة اللغوية.

ومن الخصائص الجوهرية للنحو التوليدى ميله العالمى (الكلى) الذى وُضّح بفكرة ألفبائية العالمية (الكلية) للسمات بالنسبة للفونولوجيا وعلم الدلالة. ولكن العالمية (مذهب الكلية أو الشمولية) Universalismus يذهب بعيداً بناء على ذلك : إذ إن نموذج المعيار إلى جانب كل تحديداته المعقدة فيما يتعلق بالشكل والنظام وإمكانات تطبيق القواعد ليس نموذجاً فقط لفهم اللغة الانجليزية مثلاً ، بل هو نموذج عالمى يحدد بوجه عام شكل نحو ما وبناءه. وكما تحدد الألفبائية الفونولوجية العالمية مفهوم « الصوت اللغوى الممكن » فإن نموذج المعيار يحدد بشكل إجمالى مفهوم « النحو الممكن » . ولما كان النحو الخاص للغة (ل) بوصفه نظرية لـ (ل) يحدد مفهوم «الجملة فى ل » ، فإنه يمكن أن يعد النموذج العام للنحو آلية Mechanismus لتعريف الجملة ومن ثم اللغة بوجه عام .

وهذه المبادئ الكلية العامة لبناء نحو ما شئ مختلف تماماً عن الإجراءات العامة تقريباً للتوزيعية القائمة على منهج التصنيف ، وشئ مختلف أيضاً عن المخطط العام للتحديد فى الجلوسماتية * لأنه فى كلتا المدرستين الأخريين لزم أن يدور الأمر حول دعائم شكلية، منطقية محضة ، خالية من الناحية المضمونية – التجريبية ، أى لا تحكم بأى شئ على الحقائق مسبقاً. على العكس من ذلك تعد الدعامة العامة الكلية فى النحو التوليدى قولاً مضمونياً ، متخصصاً للغاية حول طبيعة الحقائق، أى حول طبيعة اللغات الطبيعية. ولأن ما تسمى الكليات الشكلية التى لاتحدد إلا الشكل وليس المضمون المعين للقواعد ، يخصص فعلاً بشكل غير مباشر الشكل المحدد للإنتاج الذى يمكن أن تولده هذه القواعد . فهى إذن بشكل دائم أيضاً أقوال عن الشكل المحدد للجمل التى يمكن أن ترد فى لغات طبيعية وهى تحكم مسبقاً من جهة أخرى بشكل محدد للغاية أيضاً بعدم إمكانية جمل معينة، فى تلك اللغة باستمرار أيضاً **.

١١٦

---

* يتضح الخلاف بين المنهج التوليدى والمناهج السابقة للتحليل اللغوى فى إيضاح د. الراجحى حين يقول : إن دراسة اللغة كما يراها تشومسكى لاينبغى أن تتوقف عند هذا المنهج الوصفى باعتباره «مستقلاً» لايتجاوز حدود المادة المباشرة، وإنما ينبغى أن تعيننا الدراسة اللغوية على فهم «الطبيعة البشرية». ويلفت تشومسكى الاهتمام إلى الأطفال على وجه الخصوص. إنهم – فى سن الخامسة مثلاً – يستطيعون أن ينطقوا كل يوم مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل، ويستطيعون أن يفهموا ما يقال لهم من «كلام» لم يسبق لهم أن يسمعوه . ومعنى ذلك أن هناك أصولاً «عميقة» فى التركيب الإنسانى تجعله يتميز بهذه القدرة، وعلينا نحن أن نبحث عن الأصول العميقة لدى الإنسان، وهو يرى أيضاً أن هناك مبادئ مشتركة أو كلية universales فى كل اللغات الإنسانية حتى إنه ليرى أن هذه المبادئ يمكن أن تحدد «بيولوجيا» ، بمعنى أنها تمثل جزءاً مما نسميه «الطبيعة» البشرية، وعلى اللغوى إذن أن يضع فى حسبانه أولاً «قدرة» الإنسان على اللغة. ومن ثم فإن وصف البنية السطحية لايقدم شيئاً، بل لايعتبر علماً، لأنه لايفسر شيئاً، ولكن الأهم هو أن تصل إلى البنية التحتية أو العميقة ، لأنها هى التى تقفنا على قوانين الطبيعة البشرية. الكتاب السابق ص ١١٤ ، ١١٥ .

** النظرية اللغوية إذن عليها أن تفهم كيف يستطيع المتكلم أن ينتج جملاً لاحصر لها من عناصر لغوية محدودة ، وأن تميز ما هو مقبول نحوياً مما ليس مقبولاً، أى أن النحو ينبغى أن يكون صالحاً لتوليد كل الجمل النحوية فى اللغة . وكما قلنا إن النظرية تسعى إلى معرفة الظواهر الكلية فى كل اللغات. وكما ستبين الصفحات التالية قد شكلت نظرية تشومسكى اتجاها مستقلاً خاصاً بالعقليين الذين يرون أن العقل الإنسانى هو وسيلة المعرفة، بل هو اتجاه مضاد للبلومفيلديين الوصفيين التجريبيين الذين يرون أننا نصل إلى المعرفة عن طريق التجربة .

إن فكرة الكليات تقدم الأساس الحقيقى لما يطلق عليه النحو التوليدى «الكفاية» الواصفة والشارحة لنظرية لغوية. ويمكن أن يسلم لنحو خاص، أى للنظرية فى لغة معينة، بكفاية واصفة حين تستطيع أن تسرد كل الجمل فى لغة معينة وألا تصف الجمل غير النحوية بأنها نحوية، وحين تلحق كذلك بكل هذه الجمل وصفاً للبنية، متساوقا مع أوجه حدس ابن اللغة. غير أن الكفاية الشارحة لاتدرك النحو إلا حين تشتق مبادئ بنائها من نظرية لغوية عالمية، وبعبارة أخرى، حين يشرح النحو العلاقات فى لغة معينة بأنه حالة خاصة لما هو ممكن حسب الحتميات الكلية (العالمية) (انظر تشومسكى ١٩٦٥، الباب الأول ص ٦).

٥ - ٣ *التفسير العقلي الديكارتي* لنموذج المعيار

إن للنحو التوليدى بوصفه وصفاً لكفاءة المتكلم، وبوصفه إيضاحاً صريحاً لأوجه حدسه وضعاً عقلياً. الآن ماذا نشأ عن الكليات فى إطار هذا التفسير العقلى ؟ فبوصفها كليات يجب أن تكون أجزاء من « معرفة » الإنسان المتكلم باعتباره نوعاً بيولوجيا خاصاً، تقدم مستقلة عن الخبرات اللغوية الخاصة للإنسان الفرد. وهى تطابق مخططات الإدراك المتعلقة بالخبرة الفطرية، التى يجلبها كل طفل معه بوصفها مهيئة لاكتساب لغته الأم . ووفق النموذج السلوكى يجب أن يكتسب طفل ما على أساس ما يسمع لغوياً فى بيئته (= المعلومات الأولية) بلا قيد من خلال التجربة والخطأ المتوفرة عبر عمليات مشروطية كفاءته الخاصة باللغة الأم، نحوه*. وعلى ١١٧

* أساس الإمبريقية هو فرضية أن كل أنواع المعرفة الإنسانية تُستمد ظاهرياً من انطباعات الحس والعمليات التى يجريها العقل عليها بالتجريد والتعميم. وتظهر صيغتها الصارمة فى اعتراض هيوم التام على أى مكون مسبق apriori. والذى يقابل هذا فى جوانب كثيرة هو الموقف العقلى الذى يدافع عنه ديكارت وتابعوه. فالعقليون ينشدون اليقين فى المعرفة ، ليس فى انطباعات الحواس التى لايمكن استبعاد قابليتها للخطأ بشكل تام ، ولكن فى الحقائق التى لاجدال فيها فى العقل الإنسانى ... والجانب المشهور من الخلاف الإمبريقى قد دار حول مسألة الأفكار الفطرية innate ، فلوك وباركى وهيوم ينكرون وجود أى أفكار مغروسة فى العقل الإنسانى سابقة للتجربة، بينما ينظر العقليون الديكارتيون لأفكار فطرية معينة باعتبارها الأساس لأى يقين فى معرفتنا، وهذه الأفكار تضم فكرة العدد والشكل figure والمفاهيم المنطقية والرياضية. ووجهتا النظر قريبتان - لمدى معين - فى الحقيقة إحداهما من الأخرى أكثر من قربهما فى المصطلحات ، والتجربة فى العالم وكذلك المعرفة ليستا مجرد انطباعات للحس، والدور الذى تقوم ه الأفكار الفطرية العقلية يماثل إلى حد معين دور «العمليات التى تحدث داخل عقولنا. والتى يسلم بها لوك. والمسألة موضع الخلاف بشكل رئيسى هى المدى الذى يقوم فيه العقل الإنسانى بدور إيجابى فى الإدراك واكتساب المعرفة. الموجز ص ١٩١ ، ١٩٢ .

العكس من ذلك يدلل تشومسكى على أن الطفل يجلب معه مفهوماً خاصاً للغاية «للنحو الممكن»، وأن الخبرة اللغوية الأولى تعد أساساً بوجه خاص لتشكيل الأجزاء الخاصة اللغوية من كفاءته. ليس هناك ما يمكنه – كما هى الحال لدى تشومسكى – أن يوضح بشكل معقول أن الطفل فى أثناء أقصر وقت ممكن يكتسب أو يدخل فى ذاته (يتذوت internalisiert) مع خبرة لغوية ضرورية للغاية فقط فى أغلب الأحوال، أى فى أحوال توجه بيئة الطفل التى تربى فيها إياه ، توجيهاً لغوياً شكلياً على نحو أضعف ما يكون ، جهازاً معقداً مثل النحو التوليدى للغته (قارن حول ذلك أيضاً ميلر Miller، وجالانتر Galanter، وبريبرام Pribram ١٩٦٠) . وهكذا ينظر إلى الكليات على أنها إيضاح للمقدرة اللغوية الإنسانية بوجه عام . ومن المحتمل أن يكون تصور وجود جهاز لغوى شديد التنظيم ثابت وفق ضرب ما الأساس، على نحو ما افترض التوليديون دون إشكال إلى حد أن كفاءات كل متكلم برغم الخبرة اللغوية المتباينة بشكل متسق. وتتلقى الفكرة القديمة التى علت لدى دى سوسير تعليلاً اجتماعياً وهى أن اللغة توجد لدى كل متكلم مفرد فى صورة نسخة مطابقة، أساس إيضاح شبه بيولوجى فى النحو التوليدى : فالإنسان قد سبق تشكيله لغوياً بحيث إن الخبرة اللغوية المتباينة التى تقتضيها البيئة لأتباع جماعة لغوية معينة لا تؤثر على بناء الكفاءات . على كل حال تعد الخبرة اللغوية مسؤولة عن أوجه الأداء المتباينة – وهى فكرة تدور أيضاً فى علم اللغة الاجتماعى الحديث.

ويترك تشومسكى، بافتراض أن المعرفة ممكنة للإنسان مستقلة عن الخبرة وخارجها، أرض التجريبية بوجه عام. وذلك بدهى فقط، حين يسعى إلى إرثه الفلسفى العقلانية (المذهب العقلى (Rationalismus)) فى صياغة ديكارتية . (انظر تشومسكى ١٩٦٦ أ، ١٩٦٨) . وليس هنا مكان تحليل البناء العلوى الكلى الذى بحثه تشومسكى بحثاً عاماً وجمع أجزاءه من الناحية الفلسفية العقلية. ولكنى أريد أن ألفت النظر إلى نقطة معينة ، وهى الصياغة العقلية لمبدأ الإبداعية *. فقد وقع الجانب

---

* قادت عناية هومبولت بالجانب الإبداعى للغة لتعريف اللغة كما أشرنا من قبل بأنها طاقة energeia ، أى قدرة عند المتكلم السامع، وليست « عملاً » أى وصف القواعديين المحدد الميت. ويذهب رويلز إلى أن « نظرية اللغة عند همبولت تؤكد على المقدرة اللغوية الإبداعية الكامنة فى مخ كل متكلم أو عقله، واللغة يجب أن تتماثل مع القدرة الفعالة التى ينتج بها المتكلمون الأقوال وبها يفهمونها، ولا تتماثل –

الإبداعى للاستعمال اللغوى الإنسانى، أى المقدرة على جمل جديدة كثيرة لانهائية بشكل محتمل، فى البداية تماماً لأفكار النحو التوليدى. فقد عثر تشومسكى على فكرة لانهائية الاستعمال اللغوى الإنسانى لدى ديكارت، وربطها الآن بفكرة جعلت ١١٨ أكثر من غيرها نكوص تشومسكى عن علم اللغة الامريكى المتقدم واضحاً، وهى فكرة تحرر الكلام الإنسانى من المثير ، Stimulusfreiheit ، * ، فبعد بلومفيلد لم يكن الكلام شيئاً آخر غير نوع مميز من رد فعل على مثير الموقف (انظر قصة جاك وجيل) . وفى الحقيقة من غير الممكن عملياً اشتراط رد الفعل اللغوى فى كل حال مفردة بدقة، ولكن ذلك لايحتاج إلى اتخاذ مهمة الجانب العقلى الذى يعمل الإنسان تبعاً له مثل كل نظام فيزيائى آخر أيضاً. فحين لايكون ممكناً أيضاً أن يشرح بدقة لماذا قالت جيل هذا وليس شيئاً آخر، فإنه لايوجد من سبب لأن يختلق لها لذلك إرادة حرة. ولكن الآن حين تكمن معللةً حسب تشومسكى إمكانية الاستعمال اللغوى الإبداعى فى خواص اللغة ذاتها، فى آليات كل جهاز لغوى فطرى مستقل عن الخبرة، فإن ذلك يعنى أن الاستعمال اللغوى الإبداعى يتغذى بوجه خاص من ،المصادر اللداخلية، الخاصة باللغة ، وهكذا فإنه متحرر بذلك من أى ضبط ،تحكم، من مثيرات خارجية وداخلية.

- مع النتاج الملاحظ لأفعال الكلام والكتابة، فهى حسب كلماته مقدرة إبداعية (energeia , Tätigkeit, Erzeugung) وليس مجرد نتاج (ergon, werk, Erzeugtes) . وتبقى اللغة أقل تماثلاً مع النتاجات الميتة لتحليل القواعديين. والمقدرة اللغوية عبارة عن جانب جوهرى من جوانب العقل الإنسانى ، ص ٢٨٥.

* أكد الإمبريقيون على الاختلافات الفردية للغات المستقلة وعلى الحاجة إلى تنظيم الفئات والأقسام على ضوء الملاحظة، بينما ظل العقليون يبحثون عما هو مشترك بين كل اللغات تحت الاختلافات السطحية، كما يقول رونز، ويؤكد ذلك الخلاف المستمر بين المعسكرين. أما الاتجاهات الوصفية لما يسمى الآن العصر البلومفيلدى فقد اختزلت افتراض العموميات إلى حدها الأدنى، وقامت بوصف الصيغ الملاحظة العليا عن طريق فئات وأقسام خاصة، مستنبطة لكل لغة بشكل مستقل، وتشترك فى القليل مع اللغات . وقد صرح بلومفيلد بأن التعميمات الوحيدة المفيدة عن اللغات عبارة عن تعميمات استقرائية... ويمكن أخيراً أن نرجع الخلاف إلى اختلاف النظرة إلى اللغة، بمعنى أن الخلاف بين الامبريقيين والعقليين يرجع إلى حد ما إلى الفرق الناشئ بين بحث اللغات من الخارج على أساس الاستعمال الملاحظ سواء من قبل الكتاب المعترف بهم أو المتحدثين المقبولين اجتماعياً، وبين البحث فى اللغات من الداخل بوصفها جزءاً من الموهبة الإنسانية الطبيعية وتجلياً لعقلية الإنسان. الموجز ٢١١، ٢١٣.

، ولكن الاستعمال العادى للغة لايبتدع وليس نهائى المدى بشكل محتمل فحسب، بل هو أيضاً متحرر من ضبط لمثيرات طردية سواء أكان خارجية أو داخلية. وبسبب هذه التحرر من ضبط المثير يمكن للغة أن تستخدم وسيلة للفكر والتعبير الذاتى كما تفعل ليس فقط بالنسبة للعبقرى وللموهوب بشكل استثنائى، بل فى الحقيقة بالنسبة لكل إنسان عادى ، (تشومسكى ١٩٦٨، ص ١١). ولايكاد المرء يتخلص من تذكر الكلمة «السيئة» الإنسان فى داخلنا ، فى هذا السياق *.

وعلى فضلاً عن ذلك من خلال الإيضاح البيولوجى - العقلى للكليات اللغوية بفرض الاعتباطية الموسع (وليس الأضيق) لدى سوسير (انظر ص٣٥) ، لأنه حين تحدد بنية اللغة، وبخاصة إمكانات بناء المعنى من خلال معطيات عقلية، فإنه يمكن للغة أن تسلك سلوكاً اعتباطياً، فى مقابل العالم الواقعى، وليس فى مقابل العالم، على نحو مايكون الإنسان قادراً على إدراكه. فالإدراك المفهومى للعالم واللغة يوجدان فى علاقة حتمية. وإذا كان تشومسكى بذلك يقترب من فايسجربر اقتراباً واضحاً أيضاً فإنه يجب أن يوضح أنه (أى تشومسكى) فى مقابل الأخير يرتبط بالجانب الأفضل للمثالية ، وهو الجانب الإنسانى الكلى . إن القدرات والعمليات العقلية بالنسبة لتشومسكى مشتركة بين كل الناس ولايتعلق بالمعطيات اللغوية القومية، فاللغات أخيراً لاتختلف إلا فى أشكال ظواهرها «السطحية ، أما الخواص «الأعمق» والأكثر حسماً للغة فهى كلية (عالمية).

١١٩

---

* ربما تدل هذه العبارة التهكمية على موقف المؤلف، وهو موقف روبنز من قبل حين أرخ لهذا الاتجاه يكشفه استخدام الادعاء والاعتقاد ... الخ ، يقول : وفى وقت أحدث أعاد تشومسكى والقواعديون التوليديون التأكيد بطريقة مشابهة بشكل لافت للنظر لكل من هؤلاء القواعديين العقايين ويلسمليف ١٩٢٨م، أعادوا التأكيد على أهمية العموميات اللغوية مشيرين إلى أنه فى المستويات الأعمق للتركيب اللغوى سنجد أن اللغات تشترك فى مظاهر الصيغة (الشكل) التى هى عبارة من ملكة إنسانية مشتركة يتحقق بشكل مختلف على مستوى السطح فى اللغات المختلفة، ويدعون فى الواقع أنه دون هذا التصور فإن علم اللغة محكوم عليه بأن ينحصر داخل إمبريقية ضيقة، وأن يفقد أهميته نسبياً، ويعتقدون فوق ذلك أن القواعد العمومية الأساسية هى التفسير المقنع الوحيد لمقدرة الأطفال على السيطرة على لغتهم الأولى، على أساس تعرضهم بشكل ملائم لسلاسل من الكلام العشوائى . الموجز ص ٢١١ ، ٢١٢

قد رأى ديكارت الجوانب الإبداعية للسلوك الإنسانى متضمنة فى خواص الأرواح التى وهبها الخالق للناس. وربما كان من غير المجدى مطلقاً أن نسخر من هذا الموقف لديكارت من خلال الرأى الذى يمكن أن يمس تشومسكى. ففى الواقع لم يرس تشومسكى الأفكار الفطرية فى « جوهر ثان » ، بل فى معطيات فيزيائية - مادية أيضاً، . أى فى مورفولوجيا الخ . وبذلك يصير افتراض الكليات - أوردت كل الفروض عن الواقع العقلى للنموذج اللغوى فى سياق العلوم التجريبية - مع علم الأحياء وعلم فسيولوجيا الأعصاب. وهكذا فحين يرى بيرفش (١٩٦٦) مثلاً أن نظرية السمات الفونولوجية تقدم نموذجاً للترابطات الفسيولوجية العصبية لنموذج الأعصاب فربما كان ذلك مقولة خاطئة، ولكنها ليست عديمة الجدوى. ومن ثم يطرح السؤال التالى ما العلاقة التى يتراءى فيها علم اللغة التوليدى مع علوم تجريبية مجاورة ، علم فسيولوجيا الأعصاب وعلم النفس. وعلى الرغم من التأكيد على الواقع السيكولوجى للنحو لم ير أى عالم توليدى أن النموذج اللغوى صورة علاقات فسيولوجية عصبية. إنه ليس إلا وصفاً شكلياً للمعرفة التى توجد على أن نحو كان بشكل طبيعى فى الأبنية السيكولوجية العصبية . غير أن هذه الأبنية والأبنية اللغوية لايحتاجان إلى أن يتشاكلا . وبعبارة أخرى : ما يصفه علم اللغة يتساوق فقط مع ما ينبغى أن يوجد من الناحية السيكولوجية العصبية. وعلى أساس فرضية التساوق هذه

---

* يتلخص رأى ديكارت فيما يلى : ويختلف الإنسان عن الحيوان عن ديكارت فى أن الحيوان آلة، أى يمكن تفسير كل ما يصدر عنه تفسيراً آلياً mechanical explanation، ذلك أن الأجسام المادية كلها تخضع للقوانين الآلية، والحيوان جسم مادى لأنه لاعقل له ولا شعور. ... أما الإنسان فيختلف عن الحيوان اختلافاً جوهرياً ، إنه ليس آلة، ومن ثم لايخضع للتفسير الآلى ... ويركز ديكارت أهم فرق بين الإنسان والحيوان فى القدرة على اللغة، فالإنسان قادر على اللغة والحيوان عاجز عنها.

وهذا المنهج الديكارتى فى التفريق بين الحيوان والإنسان هو الذى أصل فكرة الجانب الخلاق فى اللغة creative aspect، وفى الحقيقة كما أشرنا مرارا لقد بدت هذه الفكرة أكثر وضوحاً ورسوخاً عن المفكر الألمانى فون هومبولت، الذ يراه تشومسكى صاحب فضل كبير فى ربطه اللغة بالعقل، وفى تقديم منهج توليدى لدراسة اللغة . د. الراجحى ، الكتاب السابق ص ١٢١ وما بعدها .

بدأ نشاط بحثى لغوى نفسى واسع، بإلهام من ج ميلر G. Miller بوجه خاص. وفى البداية نشرت بحوث كثيرة يبدو أنها تثبت الواقع السيكولوجى للنحو التوليدى بمفهوم فرضية التساوق. وقد صار بحث فودر Fodor / بيفر Bever (١٩٦٥) كلاسيكياً، إذ عرض فيه واقع التحويلات. ولكن يلاحظ أن كل هذه الأعمال فى الحقيقة تقوم على ١٢٠ النموذج الأول للنحو التوليدى المحدود فى طموحه. وفى الواقع ليست هناك تجارب مقنعة على أساس نموذج المعيار، معروفة لى. وكذلك لقد مضى اليوم التحمس الأولى لافتراض التساوق لدى علماء علم النفس، وسوف أعود إليه بعد قليل بشكل موجز فى الإضاءة. أما السؤال المهم فى هذا السياق فهو ما الصلة الوثيقة فى مثل تلك البحوث التى أقامها علماء اللغة التوليديين أنفسهم . ولما كان النحو التوليدى كذلك يشغل الموقع ذاته الذى يشغله علم اللغة الأوربى ، المستقل ، ، فإن ذلك يتخذ دافعاً لتقديم تقويم موجز لعلم اللغة البنيوى المستقل، ويقابل فى صورة تقويم مرة أخرى بعلم اللغة الأولى – المادى (نحو النحاة الجدد – البنيوية الأمريكية) .

٥ - ٤ إضاءة : موجز لعلم اللغة الأوربي والنحو التوليدي

صار لكل بحث نفسى فى التجربة دائماً علاقة بالسلوك اللغوى. وربما لايفعل غيره ذلك. ويعنى هذا أن النتائج اللغوية النفسية يجب أن تؤول إلى قياسات وأشكال تنظيم لحقائق السلوك الملاحظة ، ولكن بأية كيفية تفسر التجارب دائماً أيضاً، تظل مقاييس (متغيرات) Parameter السلوك اللغوى ، التى تبحث هناك، أساسية. ويسرى الشئ ذاته على بحوث نفسية عصبية لايمكن تجرى إلا قياسات وملاحظات أيضاً على المتكلم أو السامع ، أى على الإنسان الذى يسلك سلوكاً لغوياً *. وعلى العكس من ذلك لايصف النحو التوليدى السلوك ولا مقياس تغير السلوك. بل ما يعد أساس السلوك ، أى الكفاءة ، العثور على المدخل إلى الحقيقة عبر أوجه الحدس فقط ، ولما كانت هذه فى الغالب هى أوجه حدس اللغوى ذاته، فإن الكل يؤول إلى المنهج القديم الأصلى للاستبطان. وهكذا إذا أسقط النموذج اللغوى فى مخ الإنسان من جهة فى صورة فرضية التساوق فإنه ينكر بإصرار أنه لإثبات هذه الفرضية أو دحضها يمكن أن تكون النتائج النفسية والعصبية المتحصلة من مناهج تجريبيةَ ذات صلة . (يصير هذا الاعتراض المذهل واضحاً للغاية لدى كاتس Katz ١٩٦٤) .

١٢١ وهكذا لم يستق النحو التوليدى مرة أخرى بنموذجه الكفاءة – والأداء التقسيم الثنائى القديم إلى اللغة والكلام فقط ، بل استقى معه فى الوقت نفسه أيضاً تصور استقلال وأسبقية علم الكفاءة (= علم اللغة) فى مقابل علوم الأداء، وهو ما استنبط من علاقات واقعية مفترضة فى مخ الإنسان. فهذا النموذج حفزته أبنية عليا غاية فى التباين : المذهب الاجتماعى لدى سوسير وأفكار نظرية العلم بوضوح فى

---

* لاشك أن النظرية الميكانيكية المادية قد أثرت فى تشومسكى كما أثرت فى بلو مفيلد سابقاً ، وليس أدل على ذلك من قول الأخير : «حديث الإنسان لنفسه أو تفكيره » ، و «الصور الذهنية والشعور وما شابه عبارة عن مجرد تعبيرات شائعة بين الناس عن حركات مادية مختلفة، إلا أن مفهوم بلومفيلد عن العلم كما أشرنا فيما سبق كان امبريقياً بشكل قوى – أما تشومسكى فقد صرح مراراً بتفسيره العقلى للعلم، وتلكما صورتان مختلفان من صور التفكير حول اللغة .

الجلوسماتية ، والمثالية لدى فايسجربر وأخيراً رجوع تشومسكى إلى المذهب العقلانى وفروضه حول بنية المخ على النحو الذى عرضت به ، لايمكن اختبارها تجريبياً . ويبقى الآن أن نتساءل ماذا يكمن فى الحقيقة خلف كل هذه الأشكال الظاهرة للتحفيز المتناقضة بوصفه نهجاً جامعاً، وبعبارة أخرى على المرء أن يصفى دى سوسير من المذهب الاجتماعى وتشومسكى من المذهب العقلى وينظر ماذا يبقى من مقدمات تجريبية *.

إن مجال المواد الموجود ابتداءً هو الكلام الإنسانى فى عمومه. وهو ما أشرت إليه فى هذا الكتاب غالباً بالسلوك اللغوى . وفى الحقيقة لايفهم تحت السلوك اللغوى الكلام المباشر بمعنى حرفى فحسب، بل فهم اللغة أيضاً، والسلوك اللغوى المكتوب أيضاً، باختصار السلوك بأكمله المتعلق باللغة على أى نحو كانت حيث يضم بلاشك أيضاً السلوك وأوجه الحدس عن اللغة.

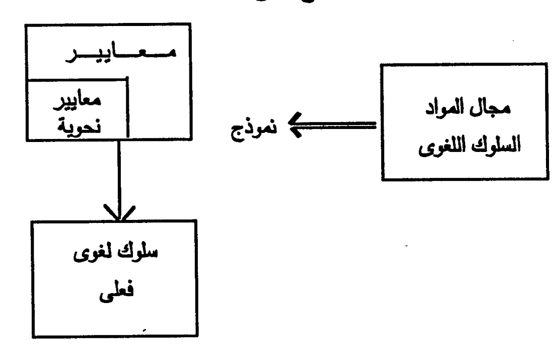
إن علم اللغة منذ دى سوسير يبنى من ، هذه الكومة المضطربة ، نموذجاً يفرق

---

* فى الحقيقة يعد هذا التساؤل مهماً، ويحتاج إلى وقفة طويلة لتبين مدى تأثر كل منهما بمذاهب اجتماعية وعقلية ونفسية وفلسفية وللكشف عن الادعاء باستقلال علم اللغة بوجه عام، كما أنه ينبغى فى هذا المقام أن تشير إلى ملاحظة مهمة للغاية وهى أن تفكير هومبلت نفسه قد تأثر بتفكير هردر (Herder) تأثيراً شديداً ، وقد أشار روبنز إلى ذلك بوضوح حين قال : وعلى الرغم من أن المقدرة اللغوية مقدرة عامة فإن هومبولت يتبع مبادئ تفكير هردر فى التأكيد على شخصية كل لغة مختلفة بوصفها خاصية مميزة للأمة أو الجماعة التى تتكلمها (هنا تبرز دعاوى القرن التاسع عشر القومية القائمة على الهوية اللغوية)، فالأساس النطقى للكلام أمر مشترك عن كل الناس، ولكن الصوت ليس له دور إلا بوصفه المادة السلبية للبنية أو التركيب الشكلى للغة (innere Sprachform) . وهى عند هومبولت البنية الدلالية والقواعدية للغة معينة ، والتى تنظم العناصر والأنماط والقواعد المفروضة على المادة الخام للكلام . وهى جزئياً أمر مشترك لدى كل الناس وقائم فى المؤهلات العقلية للإنسان ، ولكن جزئياً أيضاً فإن الـ Sprochform المستقل لكل لغة يشكل هويتها الشكلية واختلافها عن كل اللغات الأخرى . وهذا المبدأ المنظم لكل لغة يحكم تركيبها المقطعى وقواعدها ومعجمها ، والتمييز بين القواعد والمعجم تمييز ذو دلالة تعليمية فحسب والإمكانيات الأخيرة للبنية اللغوية الداخلية لكل لغة هى ساحة أدبائه، وما هو أكثر أهمية هو أن لغة الشعب المعين وتفكيره يتعذر الفصل بينهما، وهو مبولت ينتقل بمفهوم هردر عن التطور المتوازى للتفكير واللغة لمدى أبعد ، فلغة الناس هى روحهم ، وروحهم هى لغتهم ، الموجز ص ٢٨٦ .

ابتداء التحقيقات الفعلية للسلوك اللغوى (الكلام، الأداء) عن المعايير الموجهة لهذا السلوك، حيث ينبغى ألا تراعى أن ينظر فى استلزامها من خلال تكوينها فى السلوك. فعلم اللغة البنيوى يقول إنه لايوجد هذا الاستزام مطلقاً أيضاً . ولكن من المنطقى أنه يمكن أن يعنى ذلك فقط أنه قد جـرد هذا فى كنمـوذج . ولاينظر كـذلك فى بنيـة المعايير بأكملها (أى متضمنة المعايير الأسلوبية مثلاً) بل فى ، النواة الأعمق ، للمعايير فقط، النحو ، بحيث ينشأ النموذج التالى :

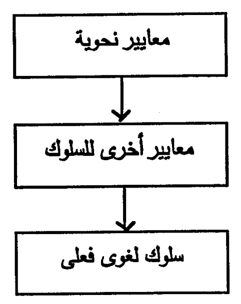
١٢٢



وكما يلاحظ ليست هذه صورة للواقع، بل نموذج يجرد فيه من خلال أى جوانب يمكن تحفيزها دائماً أيضاً من علاقات واقعية معينة. وقد أكدت مراراً على أنه لايوجد ما يعترض عليه ضد هذا . ولكن الآن قد أخطأ علم البينوى خطأين :

١ - ما يمكن أن يكون جانب السلوك ، قد خرج من السلوك . فقد وضع قبل هذا ما له فى الوقت نفسه نتائج خطيرة محددة بالنسبة للنموذج التعاون بين العلوم.

٢ - يفسر النموذج بالصورة المباشرة للواقع ، وتنسى خطوات التجريد ، إلى حد أنه الآن تبعاً لذلك لم ينشأ نموذج مقصود من الناحية الواقعية مطلقاً ، وواقعى أيضاً فى علاقات الأسبقية الخاصة به :



يصير الاختبار التجريبى لهذا النموذج المقصود من الناحية الواقعية ممكناً من خلال العلاقة الضمنية الجديرة بالملاحظة بين علم اللغة وعلوم السلوك التجريبية : فالنموذج يحول دون اختباره الخاص.

إن لاعقلانية هذا النموذج والأبنية العليا الميتافزيقية التى اكتست بها بعض مدارس علم اللغة لاتعفينا من واجب اكتشاف النواة العقلية التجريبية للنهج وطرقها بشكل مناسب كما يقال تجريبياً ، وعدم الحكم على علم اللغة البنيوى المستقل حكماً نهائياً إلا بعد ذلك. إنى أعد ذلك أمراً غير مقبول، وهو أن نهاجم دوركايم والوضعية المنطقية والديكارتية ... الخ . وأن نعنى دى سوسير والجلوسماتية وتشومسكى .. الخ . إن ذلك لايجوز لأنه – كما قيل – هذه ، الخلفيات ، المتشكلة ذاتياً ليس لها فى الغالب أية علاقة بالنظرية الحقيقة لدوركايم والوضعية المنطقية ... الخ ، بل إنها ليست سوى زخارف غير محقة. وحتى نعثر على النواة التجريبية لايسأل ماذا قالت المدارس اللغوية من الناحية النظرية ذاتها، بل ماذا فعلت هذه المدارس من الناحية العملية *.

١٢٣

* لاشك أن المؤلف محق فيما يذهب إليه، وهذه وجهة نظر جريئة جديرة بالاحترام، ولكن كما لوحظ من عرض المدارس والأصول الاجتماعية أو النفسية أو الفلسفية التى اعتمدت عليها أنها تحدث تغيرات جوهرية فى الأصول المنقولة من هذه العلوم، ولايجوز استقاء هذه الأصول من المدراس، بل لابد من العودة إلى المؤلفات الأصلية لتحديد الأفكار الأصلية التى تعرضت لتحويرات كبيرة أبعدتها عن الأصل، وشكلت لها خصوصية داخل البحث اللغوى . وهذا ما أراده المؤلف من الفروق الكبيرة فى الحالتين . وهو السبب الحقيقى الذى دفعنى إلى ضرورة تضمن الهوامش وإن طالت، الأصول الحقيقية المختلفة التى قامت عليها المدارس اللغوية ، فمن خلال المقابلة بينهما تتجلى أمامنا الفروق بين الأصول والتحويرات.

فى نشاطها البحثى العملى اشترطت أنه يوجد شئ فى السلوك اللغوى الإنسانى، لايحدده هذا السلوك ، بل تحدده ضمنياً قيود غير لغوية أخرى للسلوك . أما ما هو هذا الشئ ، فإنه يصير واضحاً فى النحو التوليدى : إنه النظرات الحدسية لابن اللغة فيما يعد فى لغته صحيحاً أو خطأ . ويبدو لى أن ذلك يسرى تماماً على المدارس البنيوية الأوربية أيضاً ، ما وُضِّح بالأمثلة فى الجلوسماتية : فالسلوك المحورى للجلوسماتية هو اختبار الإحلال Kommutationstest، الذى لايمكن أن يعمل إلا إذا عرف المرء ماقيود الدلالة التى تنتج من خلال تغيرات على مستوى التعبير ، والعكس بالعكس . وطالما لايستطيع اللغوى أن يعرف هذا بنفسه بناءً على معرفته باللغة المدروسة، فإنه يجب أن يعتمد على حكم ابن اللغة - وهذا بالضبط مافعله بوضوح النحو التوليدى. ويعنى هذا أن ماقد فعله فى الواقع علم اللغة البنيوى بأكمله هو «الإيضاح الشكلى والدقيق لآراء أبناء اللغة وأوجه حدسهم عن لغتهم» *. فإذا وضعنا هذا موضع كل التعبيرات المعتمة، مثل : اللغة، والتكوين اللغوى ، والنظام والكفاءة، واللغة الأم ... الخ، فإنه يمكن أن تتحول شروط علم اللغة البنيوى الآن إلى سؤالين محتملين تجريبياً بشكل تام ، وهما :

١ - ما العلاقة بين « آراء» أبناء اللغة وسلوكهم اللغوى المحدد ؟ هل يشترط السلوك اللغوى هذه الآراء ؟

٢ - هل يمكن دراسة هذه الآراء مستقلة وغير تابعة لقيود الحياة الاجتماعية للإنسان ؟ هذا يعنى هل يمكن أن تؤسس « أوجه الحدس » مكاناً صغيراً يتصرف فيه علم اللغة بشكل مستقل ؟

من المنطقى جداً أن يجاب عن هذه الأسئلة بالنفى، على الرغم من أنه من البدهى ألا يفعل المرء ذلك متسرعاً. وبالنسبة للسؤال الأول أحيل إلى طرائق لعلم

---

* يمكن فى هذا المقام أن نذكر الملاحظة الختامية التى اختتم بها عرض النحو التوليدى عند تشومسكى بعبارة «ومشاركة تشومسكى فى دراسة تاريخ علم اللغة قد نشأت من اقتناعه بأن كثيراً من مقاربته اللغوية هو أساساً، عبارة عن تطور مصوغ بشكل أفضل للممارسة الأوربية التقليدية (والمرء يمكنه أن يضيف : وللممارسة الهندية السنسكريتية (ص ٢٧٨ من قبل) . ولم يكن هذا كله خالياً من الجدال الحاد، وهو مازاد بالتأكيد من الاهتمام الحالى بتاريخ الموضوع الموجز ٣٦٣ . وماتعبر عنه معالجة المؤلف تعبيراً ضمنياً لايمكن أن يخفى على القارئ .

اللغة السوفيتى (A. A Leont'ev أ . أ . ليونتيف ١٩٦٩أ ، ١٩٧١) ، والآراء تبعاً له، ١٢٤ أى ماصاغها علم اللغة فى نماذج «نمذجها» ، لاتقوم مع السلوك اللغوى الفعلى الأولى إلا بوظيفة « نظام للضبط Kontrollsystem » ، فهى نظام ضابط للكلام، شبه ماوراء لغوى يبنى خلال التعليم (المدرسة .. الخ) ، ويمكن أن يرجع إليه عند صعوبات وعقبات فى السلوك اللغوى الأولى *. وتوجد أفكار مشابهة اليوم فى علم اللغة النفسى الأمريكى، قارن بيفر Bever (١٩٧٠) الذى يتحدث عن « نظام معرفى «ابيستمولوجى» epistemological system » بدلاً من وحدات ضابطة. وفضلاً عن ذلك انتهى بيفر يتعلق فيما بأوجه الحدس لدى تشومسكى إلى نتيجة قاسية :

« ... يعتمد الوصف الشكلى للغة باستعمال تحويلات على وجه من أوجه الحدس المنفكة الصلة عن أغلب سلوك الكلام السائر » .

«.. يجبرنا ذلك كما هو واضح على رفض الادعاء بأن نحواً لغوياً ما داخلى بأى معنى نفسى بالنسبة لتلك الأداءات اللغوية مثل الكلام والسمع .... » .

وبذلك يستغنى عن فرضة التساوق فى شكلها الكلاسيكى . وبالنسبة للسؤال الثانى أريد فى الوقت الحالى أن أمثل الرأى التالى : من الممكن بلاشك أن توصف أوجه الحدس والآراء فى حد ذاتها ، وأن تنظيم ، وأن تكتشف ترابطها التركيبية (وهذا أفضل مما فعلت كل المدارس الأخرى، ويبقى الإسهام الإيجابى للنحو التوليدى) . ولكن يظل المرء فى الأساس على مستوى الكفاية الوصفية . فإيضاح نظام هذه الآراء يعنى افتراض من أى قيود ومن خلال أى قيود تشكلت، وبعبارة أخرى: لايمكن أن يسمى التفسير إلا تفسيراً وراثياً (جينياً) genetische Erklarung، وقد أورد فيجوتسكى

* للعلماء الروس جهود كبيرة فى البحث اللغوى لم يكشف عنها بوضوح إلا فى السنوات الأخيرة، وقد أشرنا إلى بعض جهودهم فى مجال الفونولوجيا، ويقول روبنز : كان اللغويون الروس فى القرن التاسع عشر على صلة بالتطورات الأوربية العامة، وعلى مايبدو فإن مفهوم الفونيم قد توصل إليه العلماء الشرقيون والعلماء الغربيون فى نفس الوقت وبنفس الشكل (راجع ما قيل عن كورتناى وسويت) . ولكن سيطرت آراء مار على علم اللغة الروسى فترة طويلة (انظر تفصيل ذلك ص٣٣١و٣٣٢) ، ثم عاد التعاون الدولى فى الدراسات اللغوية بعد الحرب، وشرع اللغويون الروس فى العمل باحتكاك أقوى مع علماء أوربا الغربية وأمريكا، ونوقشت التطورات الغربية الجارية بحماس وبشكل مثمر .

(Vygotskij) تحويل سؤال « ماذا ؟ » إلى سؤال « كيف ؟ » على نحو مثالى مطلق فى كتابه « التفكير والكلام » . بيد أن ذلك التحويل يبين فى الوقت نفسه أنه لم يعد من الممكن شرح « ماهو لغوى » من خلال « ماهو لغوى » فقط، بل يجب أن يوضح ما هو لغوى من خلال القيود غير اللغوية لنشأته. ويجب أن يستمر فى تطوير منهج دراسة اللغة داخلياً «Immanenzmethode» البنيوى إلى منهج جينى بنيوى ، يمكن وحده أن يكفل كفاية تفسيرية للنظرية. ويمكن هنا أن يصير علم النفس الاجتماعى السوفيتى فى إرث فيجوتسكى وروبنشتاينس Rubinšteins(انظر أيضــاً أ . ن . ليونتيف ١٩٦٧) نموذجاً لعلم اللغة أيضاً .

من البدهى ألا تقتصر الفرضية عن منهج جينى بنيدى على السؤال الثانى المذكور فيما سبق . فلاتدرس أوجه الحدس النحوية لابن اللغة حسب هذا المنهج فحسب ، بل السلوك اللغوى بمفهومه الأشمل الموضح فيما سلف بوجه عام . ويعنى هذا أنه لاينظر إلى الأنواع المختلفة للسلوك المتعلق باللغة بوجه خاص فى علاقتها المتبادلة على أنها ثابتة، بل على أنها وحدة من وظائف لغوية تشكلت فى ذاتها وصارت بنيتها على أساس الخبرات الاجتماعية واللغوية لدى كل فرد مفرد، وتتحول دون توقف مع خبرة متقدمة . ويوضح هذا المنظور بمثال : فى كل النماذج اللغوية وبوضوح خاص فى الجلوسماتية توجد اللغة المكتوبة واللغة الصوتية * فى علاقة ثابتة ؛ إما أن تعد اللغة المكتوبة مشتقة من اللغة الصوتية، وإما أن ينظر إلى كليهما على أنهما مشتقان من شكل غير مختلف فى جوهره يعد أساس للتوحد بينهما . ولكن يمكن أن يفترض بكل تأكيد أن هذين الشكلين للسلوك بالنسبة للفرد يتغلغل كل منهما فى الآخر ، ولذا يدخلان فى علاقة بنيوية تحددها كلية أهمية الوظائف التى يفى بها كلا الشكلين فى حياة الفرد. ولذا يشتمل السؤال الجينى « كيف يصير الشئ ؟ »معه على ضرورة المعرفة الكلية غير اللغوية المحددة لكل فرد. ومن البدهى ألا يعنى ذلك أن هذه الخبرة لم تتوفر اجتماعياً . ولكن ما هو اجتماعى لم يفترض هنا، بل وضع على أساسه المادى المعين فى مخ الأفراد (قارن حول ذلك بافلوف ١٩٦٨)، وهو

١٢٥

* ربما قصد بذلك اللغة المنطوقة وإن لم يستخدم المصطلح الخاص بها وهو gesprochene Sprache، وإنما كانت المقابلة فى المتن بين مصطلحى Lautsprache, و Schriftsprache .

ذلك الذى يمكن أن يبدو بالنسبة له الرأى القديم للنحاة الجدد عن وجود منفرد للغات الفردية واقعياً ولطيفاً وإن لم يكن محدداً .

وينبغى أن يناقش مرة أخرى بإيجاز انطلاقاً من الموقف الجينى الفرضية التوليدية للكليات والفرضية الديكارتية المرتبطة بها عن الفطرية «innateness» ، من خلال ثلاثة جوانب :

١ - مما لاشك فيه أنه لايجب أن تفسر الأبنية الكلية الموجودة للسلوك، وبخاصة السلوك اللغوى من الأبنية المورفولوجية الفطرية للمخ أى من بيولوجيا الإنسان. فقد أكد علماء وظائف الأعضاء وعلماء النفس الروس مراراً على أن قشرة دماغ الإنسان (Cortex) تتميز «بمطاوعة» عالية ، حيث تقدم من خلال ذلك إمكانية ألا تتشكل وظائف دماغية عليا إلا مع الخبرات . ولما كانت هذه الخبرات ١٢٦ تتوفر اجتماعياً دائماً فيمكن أن يقال إنه بالنسبة للإنسان بوصفه كائناً حياً اجتماعياً (حقيقة اجتماعية) يتوقف التاريخ البيولوجى ويبدأ التاريخ الاجتماعى (قارن لوريا Lurija ١٩٧٠، وأ . ن. ليونتيف A.N. Leont'ev ١٩٦٧) . ويصنع ذلك ابتداءً التقدم العظيم للإنسانية على الجانب الآخر، ويجعله ممكناً فى استقلال عن تطوره البيولوجى. ويمكن أن تفسر أبنية السلوك الكلية على هذا الأساس على أنها أبنية حوفظ عليه عالمياً (كلياً) من خلال جدل الإنسان مع بيئته ، وتُسلم من جيل إلى جيل . فلا تجد الكليات تبعاً لذلك تفسيرها فى الأبنية الأبدية ، للعقل ، ولا فى بيولوجيا المخ بل فى وظيفتها بالنسبة للانسان الفاعل اجتماعياً (حول موقف مشابه ، انظر بوتنام ١٩٦٧) .

٢ - استنبط تشومسكى الجانب الإبداعى للسلوك اللغوى الإنسانى من خواص اللغة ذاتها مقدمة بيولوجياً . وقد كان هذا مبدأ دراسة اللغة داخلياً البنيوى فى ثوبه التوليدى. فالإبداعية تعنى أن كل إنسان قادر على إنتاج جمل كثيرة (نترك الكلمة الأكثر تقنية ، لانهائية بشكل محتمل ،) كما يشاء وعلى فهمها والحكم عليها بالنظر إلى نحويتها. والآن ثمة حقيقة ثابتة عن الخبرة، وهى أنه ليس «الرجل فى الشارع» وحده بل كل ابن للغة لديه صعوبات كبرى فى إنتاج جمل أوفهمها جمل لم يتحدثها

ولم يسمعها من قبل نهائياً، وهو مايمكن أن يصل إلى حد عدم الإمكان التام. هذه الحقيقة لم يفسرها نموذج الكفاءة – الأداء : فكل جملة سردها النظام القاعدى النحوى (أى بمفهوم جمل كثيرة لانهائية) يمكن أن تقرر أساساً بالنسبة لنحويتها وخواص أخرى أيضاً لكل متكلم ، إذ إنه لما كان يمتلك حقاً هذا النظام القاعدى عقلياً ، أى الكفاءة ، فإنه لايستطيع أن يقرر فى حال معينة أن ذلك يعد من عوامل الأداء فقط. فإذا لم يقبل هذا التفسير البعيد فإنه تظل الحقيقة العارية باقية، وهى أن كل متكلم مفرد لايستعمل إلا كما محدوداً (وهو ما لايعنى أنه يمكن الإحاطة به بسهولة وفى الحال)، يستطيع الحكم عليه والفصل فيه. وتظل الجوانب القصية للغة من غير الممكن أن يفصل فيها أو يحددها. أما الوضع الآن حقيقة وما يقرب من مفهوم الإبداعية ، فهو الحقيقة القائلة أنه فى مجرى تاريخ مجتمع ما تظهر مضامين ١٢٧ تواصلية جديدة ودلالات ومفاهيم جديدة لاتنتهى يمكن أن توجد لها من خلال جهود مجتمعية جمعية أشكال تعبير أيضاً أو أن يعاد خلقها. وهكذا فإن الإبداعية اللغوية شئ أ) اجتماعى وب) تاريخى ، وأظن أن هذه الإبداعية ممكنة فقط لأن اللغة فى مجالات واسعة مفتوحة وغير محددة ، ومن ثم فإن حيز الإبداعية بالمفهوم الواقعى الكلمة يتسع لإبداعية ابتكارية (مايشبه ذلك تماماً لدى هوكيت فى مقدمة عمله ١٩٦٧، وهوكيت ١٩٦٨) .

٣ – على الرغم من ، المطاوعة ، العالية للمخ الإنسانى فإن من البدهى أن إمكانات الإنسان غير محدودة . وتوجد بلاشك حدود للقدرة على التخزين، للإدراك... الخ مشروطة بيولوجياً . ومن ثم لاتحتاج قيود سارية عالمياً للجهاز القاعدى اللغوى إلى أن تفسر من معطيات لغوية خاصة، بل تجد تفسيرها بشكل بدهى للغاية فى قوانين عامة للإدراك والسلوك (انظر حول ذلك مثلاً بيفر Bever ١٩٧٠) . وعلى العكس من ذلك فقد أصر تشومسكى دائماً على خصوصية الكليات اللغوية وعلى أساسها البيولوجى، وذلك يبدو لى أنه التعبير الأخير مؤقتا للفهم اللغوى غير العقلى للاستقلال المساق منذ ى سوسير.

ويمكن أن يكون النقيض الذى تمثله المدرستان اللغويتان الآليتان – الماديتان

المعالجتان فى هذا الكتاب (نحو النحاة الجدد والتوزيعية) لاتجاه علم اللغة المفسر فى الاضاءة ، واضحاً بشكل كاف. فقد أشرت غالباً فى الأبواب المتقدمة إلى ذلك إلى حد أننى يمكن أن أقتصر هنا على سرد مختصرات: لا استقلالية للغة فى مقابل السلوك اللغوى، والبنية اللغوية نموذج للمواد، وتنظيم فى علم السلوك بوصفه علم المبادئ، واستقلال علم اللغة فقط مجال ممكن وحيد (من البدهى أنه محدود للغاية) لعلاقات التوزيع الفيزيائية الممكن ملاحظتها .

وأريد أن أبرز هنا كذلك بوجه خاص فى النهاية نقطة واحدة فقط ؛ إذ لم يفسر علم اللغة البنيوى غير المادى دائماً (البنيوية الأوربية، والنحو التوليدى) - كما بُيِّن - إلا آراء الإنسان وأوجه حدسه عن اللغة، الآن ما يعنيه المرء أو يعرفه ليس مطابقاً لما يعرف أو يعنى من خلاله شيئاً . وقد وقع علم اللغة غير المادى باستمرار ١٢٨ فى خطأ أنه يعد الترابطات المعايشة ذاتياً ترابطات موضوعية أو على الأقل أفضل مدخل إلى الترابطات الموضوعية (حيث تكمن قرابة عميقة بالظاهراتية Phanomenologismus، انظر فرهار Verhaar ١٩٧٠). الآن لم يحذرنا أحد بصورة معكوسة من تلك الانحرافات تحذيراً شديداً، مثل ذلك الذى اجتهد فى بدايات علم اللغة البنيوى مع دى سوسير بوصفه أهم شاهد عليه - ألا وهو اميل دوركايم؛ إذ يمكن أن يكتب الباب الثانى كاملاً تقريباً من كتابه « القواعد » ، برغم مرور أكثر من سبعين سنة على صدوره، رداً حديثاً على النحو التوليدى. فالباب يتخلله التذكير بمعالجة الوقائع الاجتماعية مثل الأشياء. ويعنى هذا لدى دور كايم أن تعد هذه الوقائع غريبة وغير معروفة على أى نحو. ومن البدهى أن الآراء التى هى لدى الناس عن الوقائع الاجتماعية ليست هى ذاتها واقعة اجتماعية. ولكن لايجوز للعالم أن يستقى أياً من هذه الآراء شرطاً لبحثه. وليس لهذا علاقة إطلاقاً بمسألة فقد الشرط وإشكالية «الملاحظة المحضة» . فالمقصود فقط هو أنه بدون هدم الثقة تجاه الأشياء المدروسة ودون تغريب هذه الأشياء لايمكن أن يُبْدأ بفهم علمى «فهذا الفهم إلى حد كبير من جانبه أيضاً مستقل عن شروط العلم المقتضية تاريخياً بوجه عام. إن علم اللغة الأوربى والنحو الوليدى لم يغادرا مطلقاً فى كل صياغتهما مجال الأشياء

الموثوق بها. هكذا فقط يمكن أن يفهم القول الفصل التشومسكى الجديد بالملاحظة عن أوجه الهجوم على حقائق ثابتة (انظر من ١١٠ فى الأصل) *.

وعلى النقيض من ذلك صارت اللغة بالنسبة للنحاة الجدد والبلومفيلديين غريبة أساساً . فبالنسبة للبلومفيلديين كانت اللغة بناءً على مواجهة لغات الهنود (الأمريكيين) شيئاً غير معروف مطلقاً، وهو ما عبر عنه فى رؤيتهم الخاصة بالتنوع غير النهائى للغات الذى يناقض كل المناقضة الميول الكلية (العالمية) للنحو التوليدى. ويمكن أن ينظر فى هذا السياق إلى سعيهم المبالغ فيه بشكل عجيب إلى حد ما أيضاً نحو منهج آلى صارم. وإنى على اقتناع تام بأنه يسهل الأمر بالإشارة المستمرة إلى الاقتصار على التوزيعية الأمريكية، فالتوزيعية (وبوجه عام الآلية) لايلزم الحكم عليها حسب تقيدها، بل حسب الموقف العلمى الإلزامى الذى كان هذا التقيد تعبيره المشروط زمنياً فقط. فالمرء لايتغلب على الآلية بقفزة إلى المثالية . ١٢٩

٥ - ٥ التطور بعد نموذج المعيار

لقى تطور النحو التوليدى بكتاب تشومسكى ، جوانب النظرية النحوية ، نهاية معينة، لأن هذا الكتاب ظل إلى اليوم هو التمثيل المتكامل الأخير لنظرية بأكملها داخل الإطار التوليدى – التحويلى. فبعد ١٩٦٥ أجريت على نظرية نموذج المعيار تعديلات فى اتجاهات شديدة التباين . ويذكر هنا اتجاهان بوجه خاص، وقعا فى تناقض متزايد باستمرار : اتجاه من يسمون ، علماء الدلالة التوليديين ،واتجاه ،المفسرين السطحيين ، .

ويذكر لاكوف Lakoff خاصة ممثلاً للاتجاه الأول بينما يعد أشهر ممثل للاتجاه الثانى هو تشومسكى نفسه. ومن الأهمية بمكان أن نسجل أن كلا الاتجاهين لم يعد يحافظ على نموذج المعيار فى صورة سنة ١٩٦٥ . وحتى نوضح النواة الجوهرية للتغيرات التى أجريت، ومن ثم نواة التناقض أيضاً بين كلا الاتجاهيين

---

* لم تتعرض أصول دى سوسير وبلومفيلد وتشومسكى لنقد مماثل فى إطار رؤية مغايرة تماماً لما درج عليه مؤرخو علم اللغة كما حدث هنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتأكد لنا أن آراء علماء اللغة الشرقيين وبخاصة الروس جديرة بالمناقشة، لأنهم لاتقل عن غيرها عمقاً ودقة، ومازال هناك حاجة ماسة إلى معرفتها معرفة مفصلة فى أصولها كما أشرت من قبل.

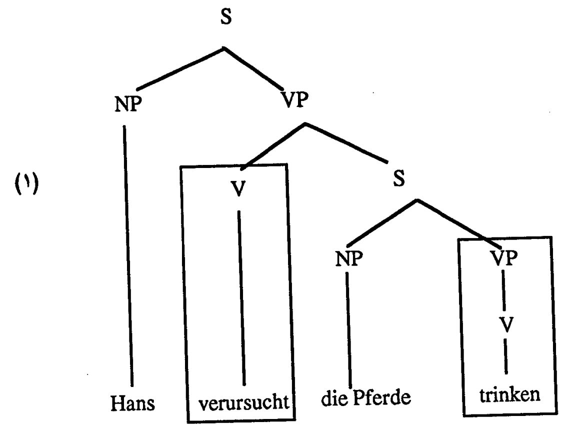
يعرض هنا مرة أخرى نموذج المعيار فى صورة تخطيطية (استناداً إلى تشومسكى ١٩٧٢ أ و ب و ج . لاكوف ١٩٧١) :

يكمن اشتقاق جملة بواسطة نحو تحويلى فى تخصيص تتابع علامات مركبية , P_n , ... , P_1، حيث إن P_n هى بنية السطح المفسرة فونولوجياً ، وحيث إن P_i بنيت من خلال تطبيق قاعدة تحويلية على العلامة المركبية السابقة P_{i-1} ويصلح كذلك أن P_1 بداية بمعنى أن P_1 لم تبن من خلال تطبيق تحويل من P_0 أو بعبارة أخرى لايوجد P_0 بحيث ينتج عن تطبيق تحويل ما $P_1 = P_{0+1}$.

ومع التحويلات يفرق بين كلتا الفئتين الفرعيتين للتحويلات المعجمية والتحويلات النحوية. ويصور مثال هامش ١١ (آخر الكتاب) كيف يوضع تحت تلك الفصائل للعلامات المركبية الأولى التى لم يعد يستمر فى مدها من خلال قواعد إعادة الكتابة، عناصر معجمية تسرى بينها قيود معينة، أى يجب أن «يناسب بعضها بعضاً» . ويتكون نهج الاستبدال المعجمى المعقد هذا من عدد من التحويلات التى يحل محل بنية فرعية Q للعلامات المركبية الأولية (مثل N) عنصر معجمى I ١٣٠ (مثل Brief (رسالة)) . ومن المهم أن يلاحظ أنه على نحو ما تصور التحويلات المعجمية فى نموذج المعيار لايمكن أن تتكون البنية الفرعية المستبدلة دائماً إلا من فصيلة واحدة ، أى ليس من تفرعات . و نوضح الإمكانية الأخيرة بعد قليل بمثال :

يمكن أن يحلل العنصر المعجمى الألمانى >tränken<(أشرب) على أنه ›يجعل س يشرب ‹ . وهكذا يمكن أن تمثل جملة >Hans tränkt die pferde< (هانز يشرب الخيول) على النحو التالى تقريباً :

(١)



هانز يجعل الخيول تشرب = (هانز يُشرب الخيول) *

يجب فى النحو التوليدى الذى يعين للجملة ، هانز يشرب الخيول ، بنية عميقة فى الصورة السابقة تقريباً، ألايرد العنصر العجمى ، يشرب ، فى موضع فصيلة مفردة فقط بل فى موضع تفريعان تحتية معقدة للغاية تحيط بالأطراف فى الرسم الشجرى السابق . ولما كانت تلك العمليات بالنسبة للتحويلات المعجمية غير محددة فى نموذج المعيار فإنه يمكن تبعاً لنظرية نموذج المعيار (١) ألاتوجد أيضاً بنية عميق لجملة ، هانز يشرب الخيول ، . ويفترض فى نموذج المعيار أن التحويلات المعجمية تعمل إلى حد ما وحدة واحدة "en bloc" قبل كل التحويلات النحوية، ويعنى ذلك أنه يوجد فى التتابع P_n , ... ,P_1 . المركب P_j بحيث تبنى كل العلامات المركبية P_i مع j ، i من خلال تطبيق تحويل معجمى من P_{i-1} وكل العلامات المركبية P_k مع $k > j$ من خلال تطبيق تحويل نحوى. ربما يكون المركب P_j هو البنية العميقة التى يحددها التفسير الدلالى للجملة :

* لم أنقل الرسم الشجرى إلى العربية لأن الترجمة فيها تغيرات عن الجملة الأصلية، ولابد من إظهار التغيير فى الرسم، مما يؤدى إلى اختلاف المثال وشرحه. وأظن أنه يقصد بالفعل verursuchen معنى العلة أو الجعل أو التعدية بوجه عام .

$P_1 \ldots P_j \ldots P_n$

S	P

[التفسير الفونولوجى] [التفسير الدلالى]

[تفسير الرموز P_1 = البنيـة الأولى ، P_j = البنية العميقة و P_n = البنيـة السطحية (الأخيرة)، P_i = البنيـة مع تحويل معجمى و P_k = البنيـة مع تحـويل نحوى]

وهكذا يحصل المفهوم الأكثر حدساً ابتداً ، البنية العميقة ، على تعريف تقنى دقيق. ١٣١

وقد كان من أهم التحفيزات لمستوى تمثيل خاص للبنية العميقة أنه على هذا المستوى يمكن أن تحدد العلاقات النحوية بين عناصر جملة ما بشكل مباشر. ولذا فإن العلاقات النحوية فى الجمل التالية متطابقة تماماً :

(2) Hans hat dem Vater ein Buch geschenkt.

(٢) أهدى هانز لأبيه كتاباً .

(3) Es war der Vater, dem Hans ein Buch geschenkt hat.

(٣) كان أب أهداه هانز كتاباً .

(4) Von Hans wurde dem Vater ein Buch geschenkt.

(٤) أُهْدِى كتابٌ من هانز لأبيه *.

(5) Ein Buch hat Hans dem Vater geschenkt.

(٥) كتاباً أهدى هانز لأبيه

(6) Dem Vater wurde von Hans ein Buch geschenkt.

(٦) للأب أُهْدِى من هانز كتابٌ **.

* أبقيت على الجملة المترجمة بهذه الصورة الركيكة حتى تنقل قصد المؤلف بدقة.

** فعلت الشئ نفسه مع هذه الجملة أيضاً ، فثمة اختلاف جوهرى فى البناء للمجهول فى اللغتين العربية والألمانية، وهو جواز الإبقاء على الفاعل المحذوف فى العربية موجوداً فى الألمانية يسبقه الحرف (von) ، ويترجم إلى العربية بعدة صور ركيكة لامجال للتفصيل فيها، ولكن لو حذف مع الفاعل وحدث تغير بسيط آخر لصارت الجملتان مقبولتين فى العربية ، أى أُهْدِى كتابٌ للأب . وأُهْدِى كتابٌ لوالد هانز .

ويوضح اعتبار التطابق العلاقات النحوية من خلال تمثيل موحد للبنية العميقة للجمل من (٢) إلى (٦) .

أما التعديل الجوهرى على هذا النموذج على هذا النموذج على نحو ما أجراه المفسرون السطحيون يكمن فى ألا يظن أن التفسير الدلالى S تحدده كاملا البنية العميقة P_j، بل تحدده على الأقل بشكل جزئى جوانب من البنية السطحية P_n.ويبرز هذا بوجه خاص عند تحليل جملة ما حسب بنية محتواها المعلوماتى .

ففى كل جملة تبرز أجزاء تنقل المعلومة الخاصة والمحورية والجديدة عن الأجزاء التى لاتعبر إلا عن شرط للجملة (معروف فى الغالب) . يتحدث المرء هنا عن بؤرة عن جهة، وعن فرض مسبق من جهة أخرى. وبشكل أكثر دقة تحدد الفروض المسبقة بأنها ذلك الشرط الذى يجب أن يصدق . ومن ثم يمكن أن يكون الخبر المقدم صادقاً أو كاذباً .

مثال ذلك :

فمع جملة ، < Hans hat einen Brief geschrieben > قد كتب هانز رسالة، يشترط أن هانز قد كتب شيئاً بوجه عام. وفقط حين يصدق ذلك ، يمكن أن يخضع الخبر وهو ، أن الأمر يدور فى ذلك حول رسالة ،، لاختبار الصدق. ولذا يمكن أن يرد على الجملة السابقة بالإثبات (، نعم ، صحيح ، كانت رسالة ،) أو بنفى مصوب (، لا ، كان كتاباً ،) – ولكن فى كلتا الحالين يصدق الشرط القائل، إن هانز قد كتب شيئا ، فلو لم يصدق لكانت ردود الفعل المثبتة والمنفية أيضاً بالنظر إلى الخبر ،أن هانز قد كتب رسالة ، ، هراء *.

– وتتحدد بؤرة الجملة لغوية بوجه عام من خلال كونها مركز تنغيم الجملة، ١٣٢ ومنحنى نبر الجملة . قارن بين :

* لايختلف هذا التحليل قيد أنملة عن تحليل البنيويين التشيك وبخاصة لدى دانش المعروف من خلال المصطلحات Topic - Comment أو Thema - Rhema أو Bekanntes - neues الخ.

(7) Hans hat einen BRIEF geschrieben.

(٧) قد كتب هانز رسالةً *.

(8) HANS hat einen Brief geschrieben .

(٨) هانز قد كتب رسالة .

ففى الألمانية يسهم ترتيب الكلمات أيضاً بقوة فى وظيفة تحديد البؤرة . ولذا فإن بؤرة الجملة (٥) هى بوضوح المفعول المنصوب المتقدم < ein Buch > (كتاباً)، بينما فى الجملة (٦) يعد المفعول غير المباشر المتقدم < dem Vater > (للأب) بوضوح هو البؤرة . وطبقاً لذلك فإنه ربما كان الفرض المسبق للجملة (٥) أن هانز قد أهدى للأب شيئاً ، وللجملة (٦) أن هانز قد أهدى لشخص ما كتاباً . وهكذا ربما كانت ردود الفعل اللغوية التى لم يوضع فى كل منها صدق الفرض المسبق موضع تساؤل هى :

(9) Nein,es war ein Fernseher (für [5])

(٩) لا ، كان تلفزيون (بالنسبة لـ [٥])

(10) Nein, es war seine Mutter (für [6])

(١٠) لا ، كانت أمه (بالنسبة لـ [٦])

وعلى العكس من ذلك لو كانت (٩) لـ (٦) وكانت (١٠) لـ (٥) لكانت هراءً وردود فعل غير طبيعية . وذلك يبين أن الجمل (٢) - (٦) لها إمكانات متباينة بالنسبة لبنيتها الفرض المسبق / والبؤرة على الرغم من أنها قد اشتقت من بنية عميقة واحدة وهى ذاتها . وحين يطلب المرء الآن من نظرية دلالية أن تلحق الجمل تفسيراً أيضاً فيما يتعلق بإمكانات البؤرة الخاصة بها، فإنه يعقب ذلك أن التفسير الدلالى على الأقل من هذا الجانب لايتبع جوانب البنية العميقة بل بنية السطح .

** ربما كان من الأفضل أن أضع كلمة رسالة فى بداية الجملة ليظهر قصد المؤلف من أن النبر وقع عليها فتكون : رسالةً قد كتب هانز . ولكنى التزمت بالموقع الذى تحتله الكلمة المنبورة فى الجملتين كما هى الحال فى الأصل .

ومن الأمثلة الغزيرة المحفزة على هذه الفكرة التى قدمها تشومسكى (١٩٧٢ب) يمكن أن تحدد بإيجاز كما يلى :

بالنسبة للجملة (١١) يدخل فى الاعتبار ، حالة ألايكون لها تنغيم بارز بوجه خاص أو معالم نبر، كلا المركبين (١٢) و (١٣) بؤرة لها :

(11) John is certain to win.

(١١) جون متأكد من الفوز .

(12) to win (vgl. No, John is certain to loose)

(١٢) من الفوز (قارن ، لا ، جون متأكد من الخسارة) .

(13) certain to win (vgl , No, John is likely not even to be nominated)

(١٣) متأكد من الفوز (قارن ، لا ، جون ليس من المحتمل أن يكون مؤهلاً للترشيح)

البنية العميقة للجملة (١١) يجب أن يكون لها تقريباً الشكل :

([John win] is certain)　　　　([مكسب جون] مؤكد)

وبعبارة أخرى ، فى البنية العميقة يجب أن يتحدد أن جزء الجملة < John >win < هو المسند إليه للمسند < is certain < . وكما يمكن أن يرى ذلك بدقة دائماً، فى كل حال لاتطابق البؤرة مطلقاً مركباً مغلقاً للبنية العميقة : فالمكون < win < يتبع دائماً مكوناً آخر غير < certain < .وينتج عن ذلك أيضاً أن البؤرة لايمكن أن تحدد على مستوى البنية العميقة، بل على مستوى البنية السطحية فقط.

١٣٣

وبذلك وجب أن يتعدل نموذج المعيار على نحو يمكن أن يخطط على النحو التالى :

P_1 ... P_j .... P_n

S　P

ويورد تشومسكى فى (١٩٧٢ أ و ب) بوجه خاص حججاً لهذا، النموذج الموسع لنظرية المعيار، والسمة الجوهرية فى هذا النموذج هى أن ما يؤدى دوراً مركزياً فى الجدل حول علم الدلالة التوليدى المتحدث عنه فيما يلى الإبقاء على بنية عميقة نحوية ووضع التحويلات النحوية الناتج عن ذلك بوصفها قواعد التى تربط مستويين محددين نحوياً بعضهما ببعض .

وفى تنافس مع نظرية المعيار هذه تطورت، كما قيل، نظرية الدلالة التوليدية التى يمكن أن تلخص أهم خصائصها فى النقاط الثلاثة التالية (مراجع حول تطور الدلالة التوليدية : ج . لاكوف ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧١ أ وما كولى McLawley ١٩٦٨، وفيلمور ١٩٦٨) :

١ - يمثل معنى جملة ما بالعلاقة المركبية الأولية P_1، التى تتطابق إذن بهذا المعنى مع S فى نموذج المعيار . ولما كانت قواعد إنتاج العلامة المركبية الأولية هى القواعد التوليدية حقاً (على العكس من القواعد التفسيرية) يوصف هذا النموذج بأنه يقوم على أساس - الدلالة فى مقابل نوعى نموذج المعيار اللذين يقومان على أساس- النحو.

٢ - بينما ينقل، فى نموذج المعيار ونموذج المعيار الموسع أيضاً، المكون الدلالى العلامة - المركبية النحوية إلى لغة دلالية خاصة، مصطلحاتها البدائية مفاهيم كلية، يمثل فى علم الدلالة التوليدى معنى جملة ما فى مكون علامة مركبية. وقد قدمت من قبل فيما سبق مثال التحليل لـ >tränken< (أشرب) التى يمكن أن تعطى معنى، يجعل إنساناً ما يشرب. وهكذا تمثل الدلالة التوليدية >tränken< أيضاً على نحو ما وضح فى البنية (١) تقريباً *. وعلى العكس من ذلك فإن هذه فى نموذج المعيار هى مهمة المعجم، أن يحدد المعنى أو الخواص الدلالية للفعل >tränken< فى هذا المعنى . ١٣٤

* راجع الرسم الشجرى السابق رقم (١) الذى حاول المؤلف أن يظهر فيه الدلالة العميقة للفعل (أَشْرَبَ -- يُشْرِبُ) وليس (شَرِبَ -- يَشْرَبُ) ، التى يتضمنها معنى الفعل وفى صيغة الفعل نفسه علامة نحوية دالة عليه.

٣ - لايفترض بين P_1 (البنية الأولى) و P_n (البنية الأخيرة) أى مستوى تمثيل مستقل آخر من نوع البنية العميقة . وينقل التمثيل الدلالى لجملة ما ، الشكل المقصود، بواسطة التحويلات مباشرة إلى الشكل اللغوى الصريح. وبذلك تفقد التحويلات وضعها بوصفها عمليات نحوية محضة، وتصير بوجه عام للغاية قواعد تقيم علاقة بين «المعنى» و « الصوت » ، المدلول والدال لجملة ما بعضهما ببعض ؛ فى الحقيقة علاقة مباشرة، بينما فى نوعى نموذج المعيار لاتقام علاقة بين المعنى والشكل اللغوى الصرع بعضهما ببعض إلا بواسطة مكون نحوى مستقل . وهكذا يمكن أن يقدم التخطيط التالى النظرية الدلالة التوليدية .

$$P_1 = S \ldots P_n$$

p

قد رأينا فيما سبق أن البنية العميقة كانت تحدد بأنها تلك العلامة - المركبية التى تطبق قبل بنائها كل التحويلات المعجمية، وليس أية تحويلات نحوية بعد. ودليل الفكرة التوليدية - الدلالية وهو أنه فى التتابع $P_1 .... P_n$ لايمكن أن توضع أية بنية دلالية يجب تبعاً لذلك أن ينتهى بعرض أنه ليس كل التحويلات المعجمية وحدة واحدة تجرى قبل كل العمليات النحوية ، بل على الأقل تجرى بعض تحويلات معجمية بعد تحويلات نحوى معينة . وفى هذا الحال ربما لم يعد يحدد P_j (البنية العميقة) بمفهوم نظرية المعيار.

وقدم علماء الدلالة التوليدية أمثلة كثيرة بغرض هذا العرض بدقة . وسوف أورد هنا بإيجاز سلسلة حجاج ج. لاكوف (١٩٧١) التى تعد فى الحقيقة معقدة إلى حد ما، ولكنها مصورة حقاً لكيفية الحجاج فى علم الدلالة التوليدى .

يلاحظ المرء كلتا الجملتين التاليتين مع كلتا الأداتين الدالتين على الكم Many (كثير) و few (قليل) :

(14) Many men read few books.

(١٤) رجال كثيرون يقرأون كتباً قليلة .

(15) Few books are read by many men.

(١٥) قُرِأتْ كتبٌ قليلة من قبل رجال كثيرين *.

وعلى الرغم من أن (١٥) البناء للمجهول البسيط للجملة (١٤)، فإن كلتا الجملتين ليست متماثلتين فى المعنى. ويمكن أن ترادف تقريباً الجملة (١٤) الجملة (١٦) والجملة (١٥) الجملة (١٧) : ١٣٥

(16) There are many men who read few books

(١٦) يوجد رجال كثيرون ، قرأوا كتباً قليلة .

(17) There are few books that many men read.

(١٧) توجد كتب قليلة، قرأها رجال كثيرون .

هذه الجملة المترادفة توضح أنه يجب أنه توجد على مستوى التمثيل الدلالى بين few , many العلاقات التالية تقريباً : بالنسبة للجملتين (١٤) و (١٦) يصح أن تتبع many الجملة الرئيسة العليا أكثر من few ، بينما بالنسبة للجملتين (١٥) و(١٧) يصح أن تتبع few الجملة العليا، وهكذا فإن هذه تسيطر على الجملة. ويعكس هذه العلاقات فى الجمل (١٦) و (١٧) مباشرة وجود جملة الصلة. (تظهر فى الجمل الانجليزية وليس فى الجمل العربية لأن الموصوف نكرة، فلا تأتى بعده جملة صلة). ومع ذلك ففى الجملتين (١٤) و (١٦) لم تعد توجد جمل صلة تابعة ويبدو أن علاقات الحكم قد صارت غير شفافة. ولكن يمكن أن يتحدد أنه فى الجملتين (١٤) و(١٥) الاسم الدال على الكم، الذى يحكم الاسم الدال على الكم الآخر فى البنية الدلالية الأساسية، يتقدم على هذا (الأخير) فى الأبنية المشتقة فى (١٤) و (١٥) . ويعنى هذا أن علاقة الحكم للأبنية الأساسية تنعكس فى الأبنية المشتقة، بوصفها علاقة متقدم، فى حالة ألا تعبر علاقة الحكم الأساسية تعبيراً مباشراً، أى من خلال جمل صلة. ويعد ذلك شرطاً عاماً، ومن المحتمل أن يكون سارياً عالمياً لتتابع العلامات المركبية، أى لايحتاج أن يعمل حساباً لها بتحويلات خاصة .

* لاشك أن الترجمة هنا حرفية، قد لايستسيغها القارئ العربى، لأنها برغم بنائها للمجهول يظهر فيها الفاعل الواجب حذفه فى النظام النحوى العربى بعد (من قبل ، على يد ، بواسطة ، عن طريق ...) وكلها وسائل حرفية إذ البنية العربية الصحيحة هى : قرأت كتب قليلة، فقط ، ولكن ذلك يفقد المثال الغرض الذى جيء به من أجله .

هذا الشرط لايسرى فقط على العلاقة المتبادلة بين كلمتين دالتين على الكم ، بل يمكن أن يوسع أيضاً إلى العلاقة مثلاً بين not وكلمة دالة على الكم . فمن المحتمل أن يصلح هذا الشرط بوجه عام لكل محمولين منطقين. ويمكن بصورة غير شكلية أن يصلح الشرط على النحو التالى :

(١٨) الشرط ج :

يسرى على البنية الأساسية أن يحكم المحمول المنطقى ل١ المحمول المنطقى ل٢ ، ولكن ليس فى البنية المشتقة، لأن ل١ يجب أن يتقدم فى البنية المشتقة ل٢ .

ويمكن أن يتحقق من صدق هذا الشرط ج مرة أخرى من خلال الأمثلة التالية:

(19) I persuaded Bill not to date many girls .

(١٩) أقنعت بل بأن لا يواعد بنات كثيرات .

(20) I did'nt persuade Bill to date many girls .

(٢٠) لم أقنع بل بأن يواعد بنات كثيرات .

حسب قول لاكوف فإن الجملة (١٩) بالنسبة لابن اللغة الانجليزى لها معنى واحد دلالياً ، ويمكن أن تعنى الجملة (٢١) فقط، بينما للجملة (٢٠) معنيان، ويمكن أن تعنى الجملة (٢٢) والجملة (٢٣) :

١٣٦

(٢١) أقنعت بل بأن عدد البنات اللائى تواعد معهن ينبغى أن لايكون كبيراً.

(٢٢) إنها ليست الحال التى أقنعت بل فيها أن عدد البنات اللائى تواعد معهن ينبغى أن يكون كبيراً.

(٢٣) لم توجد بنات كثيرات، أقنعت بل بأن يتواعد معهن .

فيما يدور الأمر حوله هنا هو العلاقة المتبادلة بين: not و many و persuade ففى الجملتين (١٩) و (٢٠) not متقدمة على many ، وتبعاً للشرط (ج) يجب أن تحكم not إذن فى التمثيلين الأساسيين many . وعلى النقيض من ذلك ليست واضحة

على هذا النحو العلاقة بين persuade و many . فالجملة [٢٠] مشتقة إما من بنية أساسية، فيها تتبع many جملة أعلى من persuade (كماوضح فى [٢٣])، وإما من بنية ، فيها تتبع persuade جملة أعلى من many (كما وضح فى [٢٢]) .ففى الحال الأولى لدى المرء العلاقة المتدرجة not - many - persuade ، وهكذا تحكم not هنا many مباشرة ، وتكون النتيجة المعنى (٢٣). وفى الحال الثانية لدى المرء العلاقة المتدرجة not - persuade - many، فتحكم not هنا persuade مباشرة، وتكون النتيجة المعنى (٢٢) . أما بالنسبة للجملة (١٩) فعلى العكس من ذلك لايمكن أن توضع إلا بنية أساسية واحدة، فيها تتبع persuade جملة أعلى من many. وذلك ينتج عن حقيقة أنه فى الجملة (١٩) not يحكمها persuade بوضوح و many من جانبها يحكمها not تبعاً للشرط (ج) . وهكذا فالعلاقة persuade - not - many وحدها ممكنة للجملة (١٩) . إذن الجملة (١٩) جملة غير غامضة ، والجملة (٢٠) غامضة.

- يلاحظ المرء الآن الجملة التالية :

(24) I dissuaded Bill from dating many girls.

(٢٤) نصحت بل بالعدول عن مواعدة بنات كثيرات .

عنصر النفى هنا هو – dis، بحيث يوجد التتابع NEG - persuade - many، وهو ما يوازى الجملة (٢٠). وطبقاً لذلك لزم أن تكون الجملة (٢٤) أيضاً غامضة على نحو مماثل للجملة (٢٠) تماماً. ولكن تلك بالنسبة لابن اللغة الانجليزى حسب لاكوف ليست الحال، أو على الأقل المتحدث للهجته. فالجملة (٢٤) تسلك بالأحرى مسلك الجملة (١٩)، أى أن الفعل dissuade يطابق بالأحرى التتابع persuade - not أكثر من التتابع not - persuade أو بتعبير آخر، للفعل الانجليزى dissuade (نصح بالعدول عن) معنى <überreden, daß nicht ...> (أقنع بأن لا ...) ، وليس معنى <nicht überreden, daß..> (لم يقنع بأن ...) . وهكذا لايمكن أن يوضع العنصر المعجمى persuade فى علامة مركبية إلا حين يجب أن يكف –

الشرط (ج) عن العمل (حيث يكون ذلك دائماً أيضاً فى الاشتقاق). ومن جهة أخرى تبين الأمثلة السابقة (١٤) و (١٥) أن الشرط (ج) يجب أن يستمر فى العمل حين أُنجز البناء للمجهول. وينتج عن ذلك أن التحديد المعجمى للفعل dissuade لايمكن أن يجرى إلا بعد (!) التحويل النحوى للبناء للمجهول، ولكنه بذلك لم يعد ممكنا ١٢٧ تحديد أى علامة - مركبية لها خواص البنية العميقة فى نموذج المعيار ، فلا يوجد مستوى تمثيل للبنية العميقة. وقد طور علماء الدلالة التوليديون أيضاً سلسلة حجاج مشابهة تماماً لأفعال أخرى كثيرة، من بينها الفعل remind (يذكر، ينبه) الذى يجب أن يمثل فى البنية الدلالية بأن ، س يدركُ أنّ ص يشبه ع (قارن John reminds me ، of a gorilla = I perceive that John is similar to agorilla .)

يذكرنى جون بالغوريللا = أدرك (ألاحظ) أن جون يشبه الغوريللا . انظر حول ذلك بوستال Postal١٩٧٠) .

من الأهمية البالغة أن حذف البنية العميقة من الدلالة التوليدية إلى حد ما يبرر بأدلة قياسية، قد حذف بها هاله Halle فى مجال الفونولوجيا المستوى الفونيمى بمفهوم التوزيعية الكلاسيكية (انظر الباب الخامس ، المبحث الأول). وحجة هاله التى أوردت فى هذا الكتاب غير مفصلة تنتهى إلى أن وضع مستوى فونيمى بين المستوى المورفولوجى والمستوى الصوتى يجبر على إيراد الاطراد الصوتى هو نفسه مرتين. وتحتج الدلالة التوليدية الآن بمفهوم منطقى بدقة ضد وضع مستوى خاص للبنية العميقة. وفى كلا نوعى النموذج المعيار تعد التحويلات النحوية عمليات نحوية محضة، مستقلة وغير تابعة كلية للقواعد الدلالية. فالنحو يحدد ما يوجد فى لغة معطاة من جملة نحوية جيدة السبك بينما يتحدد فى المكون الدلالى المخصص كيف تفهم جملة مقدمة. والآن يحتج علماء الدلالة التوليدية بأن تلك الاطرادات اللغوية ، التى تحدد نحوية جملة ما، تحدد فى الوقت نفسه أيضاً كيف تفهم هذه الجملة ، فربما كان الفصل بين النحو والدلالة، وضع مكون نحوى مستقل غير مبرر تجريبياً. وسوف أقدم لذلك مثالاً فى ج . لاكوف (١٩٧١م) :

فى الانجليزية توجد قاعدة تقديم الظرف التى تحول الجملة (٢٥) إلى (٢٦) :

(26) Sam smoked pot last night.

(٢٥) دخن سام المارجوانا الليلة الماضية .

(26) Last night, Sam smoked pot.

(٢٦) الليلة الماضية ، دخن سام المارجوانا .

وتعمل هذه القاعدة أيضاً حين تتبع الجملة كلها (٢٥) جملة أعلى (مثلاً، ١٣٨
(أظن >I think<)) :

(27) I think Sam smoked pot last night .

(٢٧) أظن أن سام دخن المارجوانا الليلة الماضية.

(28) Last night, I think Sam smoked pot.

(٢٨) الليلة الماضية، أظن أن سام دخن المارجوانا .

وفى (٢٨) أيضاً عدل الظروف جملة › سام دخن الماروجوانا ‹ وليس جملة › أظن ‹. وعلى العكس من ذلك توجد أفعال لاتجيز ذلك التقدم، مثل mention : (يذكر) :

(25) I mentioned that Sam will smoke pot tomorrow.

(٢٩) ذكرت أن سام سوف يدخن المارجوانا غداً .

(30) Tomorrow, I mentioned that Sam will smoke pot.

(٣٠) غداً ، ذكرت أن سام سوف يدخن المارجوانا.

الجملة (٣٠) غير نحوية. ونشير إلى قاعدة تقدم الظرف إلى جوار شروط مقيدة فيما يتعلق بأفعال مثل mention بإيجاز بأنها R (ق) ومن خلال (ق) يتحدد أن جملة (٣٠) غير نحوية وإذا نظرنا الآن فى الجمل التالية :

(31) I mentioned that Sam smoked pot last night.

(٣١) ذكرت أن سام دخن المارجوانا الليلة الماضية .

(32) Last night , I mentioned that Sam smoked pot .

(٣٢) الليلة الماضية ذكرت أن سام دخن البارجوانا .

وفى الحقيقة الجملة (٣٢) نحوية، ومع ذلك بناءً على القاعدة (ق) يمكن للظرف › الليلة الماضية ‹ ألا يعدل الجملة › سام دخن المارجوانا ‹ بل يعدل الجملة ›ذكرت‹ فقط . فالجملة (٣٢) ليست مماثلة لمعنى جملة (٣١) . وبذلك تفى القاعدة (ق) خلاف الوظيفة النحوية المحضة (عزل جملة [٣٠] بوصفها غير نحوية) فى الوقت نفسه أيضاً وظيفة تحديد كيف تفهم جملة معطاة. والفصل بين القواعد النحوية والقواعد الدلالية ؛ وضع نحو مستقل، ربما أدى إلى وجوب إيراد القاعدة (ق) فى النحو مرتين .

وقد دافع تشومسكى عن إبقاء بنية عميقة، ومن ثم عن نحو مستقل ضد علماء الدلالة التوليديين بأدلة أن نظرية الدلالة التوليدية لاتختلف عن نظرية المعيار إلا اختلافاً شكلياً ، وفيما يتعلق بالمحتوى لكل منهما فهما متكافئتان (= ما يشبه ذلك لدى كاتز Katz ١٩٧٠) . ويمكن أن تعمل نظرية المعيار الموسعة حساباً لتلك الحالات التى أوردها علم الدلالة التوليدى ، التى تناقض نظرية المعيار القديمة مناقضة جدية. هنا سأنهى عرض ذلك الخلاف المستمر إلى الوقت الحاضر، وسأعود مرة أخرى فيما يلى فقط إلى الجانب المهم فى الدلالة التوليدية .

حددت بلاشك مدرسة النحو التوليدى (فيها دائماً تشعبات أيضاً) حتى منتصف الستينيات المشهد اللغوى عالمياً. وكان على مدارس أخرى - تصنيفية أن تخضع تصوراتها تحت ضغط النقد التوليدى لتعديلات واسعة*، إلى حد أنه كان النحو التوليدى بمفهوم سلبى أيضاً مركز علم اللغة فى الستينيات. وبخاصة أن النحو التوليدى كانت له جاذبية كبيرة بالنسبة لممثلى علم اللغة التطبيقى الموجه بدرجة

١٣٩

* من أهم هذه النظريات: النظرية التجميمية لدى بايك ، والنظرية الطبقاتية لدى لامب ، ونظرية نحو الحالات لفيلمور. ولايتسع المقام لتفصيلات حولها. والأجدر أن نشير إلى أنه ، قد حدثت تطورات كبيرة لنظرية تشومسكى، وبخاصة النظرية التى قدمها فى ١٩٨٠ وما بعدها وعرفت باسم نظرية الحكم النحوى والربط، ويمكن الرجوع إلى تفاصيل حولها فى كتاب د. محى الدين حميدى : الألسنية واللغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية لنظرية الحكم والربط على اللغة العربية، بل حدثت تطورات أخرى فى السنوات الأخيرة عرفت باسم تحليل المكونات الصغرى.

أكبر إلى الجانب العملى ، وفى الحقيقة من المؤكد إلى حد ما أن سبب ذلك موقفه العقلى، أى من خلال زعمه بالواقع النفسى للنحو. ويتأمل المرء مثلاً أنه فى مجال تعليم اللغات الأجنبية قد ساد لمدة عقدين تقريباً التعليم من خلال التدريبات (pattern drill) القائم على أساس بنيوى كلاسيكى ومن ثم سلوكى أيضاً. وتبعاً للأسس السلوكية يُنْظَر فى ذلك إلى ما هو نفسى للمتعلم على أنه صندوق أسود. فى جانب منه أخفى إثارة على أمل أن يصدر السلوك الصحيح بعد فترة على الجانب الآخر. وعلى النقيض من ذلك فإن نحواً يمهد بواقع نفسى إمكانيةً أن ينظم بتدريبات تطورت عن ذلك النحو، العمليات الداخلية لما هو نفسى، العمليات فى الصندوق الأسود (black box) نفسه وأن يوجه تطورها تعليمياً . ولذا وجد النحو التوليدى بخاصة فى ألمانيا فى تعليم اللغة اهتماماً كبيراً. (أما كون مفاهيم النحو التوليدى قد أسئ فهمها هنا على نحو ساذج غالباً واستعملت استعمالاً غير صحيح فهذا موضوع آخر) .

وإذا لم يعد من الممكن للمرء، برغم الشعبية المستمرة ، وحتى المتزايدة للنحو التحويلى فى مجالات استخدام علم اللغة أو مجالات قريبة من علم اللغة فقط، أن يقول إن النحو التوليدى أو أنواعه ما تزال إلى اليوم تحتل المركز المطلق للجهود اللغوية، فإن ذلك ليس بسبب أن قد بدأت نظرية بديلة مكتملة وناضجة على ما يبدو فى التمييز. إن الأمر يدور بالأحرى حول تحول أساسى متدرج للاهتمام اللغوى ، حول قيام تساؤلات تجبر علم اللغة على للجدل مع نظريات وعلوم لم يوليها المرء حتى الآن فى مرحلة استقلال علم اللغة إلا اهتماماً ضئيلاً . ويمكن أن تختصر هذه الأسئلة الجديدة موضوعياً تحت مصطلح › البراجماتية ‹ وإن لم يفد هذا المصطلح بسبب اتساع دلالته كثيراً. وإذا كان النحو هو ذلك الجزء من علم اللغة الذى يدرس العلاقات بين العلامات بعضها ببعض ، والدلالة هو ذلك الجزء الذى يدرس العلاقات بين العلامة والمدلول ما فإن البراجماتية تبحث العلاقات بين العلامات

ومستخدمى العلامات *. ويمكن أن يوضح هذا التحديد لبراجماتية، الذى يمكن أن ١٤٠ ينتج عن رؤية واسعة للتساؤلات والمشكلات تحت هذا العنوان : ماذا يقصد مستخدم اللغة حين يستخدم هذا التعبير اللغوى أوذاك، فيما يستخدم هذا التعبير اللغوى أو ذاك، ما العلاقات التى أنشئت بين المشاركين فى الاتصال عبر تلك التعبيرات اللغوية ، تحت أى شروط يمكن أن يوفق ذلك الإنشاء للعلاقة، ما القيود العامة التى يمكن أن تصاغ لهذا النوع من الشروط ؟

ويمكن أن يبدو ابتداء كأن المعالجة لتلك الأسئلة قد مورست ببساطة بوصفها بناءً لنظرية الأداء والكلام فقط التى وقفت إلى جوار نظرية اللغة الكلاسيكية الموجهة بشكل محض إلى النظام دون أن تؤثر فيها. ومع ذلك فمن الجدير بالملاحظة أن كثيراً من اللغويين اللذين توجهوا إلى مجموعات التساؤلات البراجماتية يهدفون إلى التغلب على المقابلة الجامدة - هنا النظام اللغوى، هناك مستخدم اللغة - وأنه قد سلكت بذلك فى الحقيقة أرض فقدت المعايير الكلاسيكية لعلم لغة بنيوى قائم على تلك الأنواع من المقابلات، كانت له قمته المؤقتة فى تطور النحو التوليدى، وثاقة صلتها. إن ذلك بدهى فقط حين يتخلى فى تتبع تلك الطرائق عن موقف استقلال علم اللغة، ويسعى المرء لوضع علم اللغة بشكل حازم فى إطار علم الاجتماع تقريباً - على نحو ما يقول ماس Maas مثلاً - حين يسعى إلى إدراك اللغة بوجه خاص على أنها شكل للفعل الاجتماعى الإنسانى، ويستند فى ذلك إلى نظرية عامة للفعل . وهكذا فإذا كان علم اللغة الحالى يأمل فى الانفصال عن العلوم الأخرى فإنه يبدو أنه

---

* يقدم فان دايك فى كتابه «علم النص» الذى ترجمته إلى العربية فصلاً كاملاً عن البراجماتية من ص ١١٤ : ١٥٦ ، ويرى فى مقدمته أن البراجماتية تختص بوصفها علماً بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها فى عمليات الاتصال بوجه عام . هذا العلم الذى بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى. فقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضاً. .. ويرى كذلك أنه فى الأصل كانت البراجماتية مكونا من المكونات الثلاثة لعلم العلامات (أى أنه مكون إلى جوار المكونين الآخرين (النحو والدلالة) ، وتعد البراجماتية فى حد ذاتها ابتداءً وصفاً للعلاقات بين العلامات ومستخدمى العلامات ص ١١٤ ، ١١٥ : انظر التفاصيل بعد ذلك .

لابد الآن من هذه الجهة من إنجاز انقلاب ، ومن المنطقى أن يستعمل علم اللغة أخيراً أوجه إرث العلوم المجاورة المهمة الآن أيضاً القريبة فى الحقيقة من علم اللغة إلى حد أنه من الغريب أنه كيف ظلت أعمال من أوجه الإرث هذه غير مذكورة كلية تقريباً فى المؤلفات الكلاسيكية لعلم اللغة. إنى أفكر هنا بوجه خاص فى إرث الفلسفة اللغوية البريطانية، والبراجماتية الأمريكية الكلاسيكية، وفى علم النفس السوفيتى المذكور فى الإضاءة، بل أيضاً فى علم الدلالة وعلم البراجماتية المنطقى *.

أحد الكتب الحديثة المقروءة فى الغالب والأكثر تأثيراً، التى تنتظم فى سياق التساؤلات البراجماتى هو كتاب سيرل /Searle (١٩٦٩) ، إذ يطور سيرل إثر إرث ١٤١ محدد للفلسفة اللغوية وبخاصة لدى أوستن Austin، نظرية عن أفعال الكلام، أهم جانب منها تحليل ما تسمى الأفعال الانجازية. فالأفعال الإنجازية illokutive Akte هى التى لها علاقة قوية بإنشاء علاقات بين المشاركين فى الاتصال، بالقوة التواصلية "communicative force" لفعل كلامى. وربما كانت تلك الأفعال الإنجازية النمطيةهى الطلب والوعد والرجاء والسؤال والشكر وما أشبه. وكون القوة التوصلية لاتشتق مباشرة من شكل المنطوق المستخدم فى الفعل الكلامى، يمكن أن يتضح فى أن المرء يمكن أن ينجز بالصيغة النحوية للأمر وصيغة الاستفهام وصيغة الخبر فعل الطلب : « اخفض صوت الراديو » ، و « أليس صوت الراديو مرتفعاً قليلاً ؟ » ، و « إنه هنا مرتفع جداً ». فليست صيغة المنطوق وحدها وثيقة الصلة

---

* تصعب الموافقة على هذا الرأى للمؤلف، إذ إن تأثر النحاة الجدد بالوضعية المنطقية القديمة والجديدة واضح كما أشرنا فى هوامش سابقة، وكذلك تأثر علماء فقه اللغة المقارن من قبلهم من أمثال شلايشر بنظرية دارون، حتى دى سوسير كأن متأثراً بنظرية دور كايم الأجتماعية، وبلومفليد بالسلوكية وسابير بالأنثروبولوجيا وهيلمسليف بأعمال الفلاسفة والمناطقة مثل كارناب، وتشومسكى نفسه كما بينا تأثر بهومبولت وديكارت، ولكن يبدو أن المؤلف يتوافق مع رأيه العام الذى أبداه من قبل ، وهو بإيجاز وجود فروق كبيرة بين الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية فى أصولها وبين ماورد لدى علماء اللغة إلى حد قوله بتحريف هذه الأسس فى أعمالهم . وهو موقف فيه نظر، وأرى الموقف على نحو آخر، إذ إن تأثر علماء اللغة بهذه الأسس يناقض دعواهم باستقلال علم باللغة ، وهو مالم يحدث أبداً حتى فى أكثر مراحله الشكلية.

بنجاح منطوق منها، بل بوجه خاص أيضاً الشروط التى لها علاقة بالمشاركين فى الاتصال أنفسهم وعلاقتهم المتبادلة (مثال ذلك : مع المنطوق ، إنه هنا مرتفع جداً ، قد قُدِّم شرط أن المتكلم لديه فى الحقيقة حساسية تجاه شدة الصوت العالية، ولكن إذا كان المتكلم أصم فإنه يصعب لمنطوقه، إذا قصد به تخفيض صوت الراديو ، أن يحقق النجاح المنشود، بل بالأحرى يحس بأنه غير معقول) . تلك الأفعال التى تستخدم فى اللغة المعطاة لوصف أفعال إنجازية (فى الألمانية مثلاً : يطلب ، يسأل يشرح الخ.) يطلق عليها أفعالاً أدائية performative Verben *.

وإذا ما أمكن التوقف مع تحليلات سيرل المفردة كما يراد، فإنه يمكن أن تظهر دعواه بأن نظرية عن الأفعال الكلامية هى جزء من نظرية لغوية، أمراً مثيراً للدهشة، - وقد مررت بمفهوم الأفعال الإنجازية والأفعال الأدائية هنا فى الحقيقة مروراً خاطفاً فقط ، لأنه يمكن أن يبين بذلك أن انقلاب علم اللغة الموصوف هنا لم يبدأ فجأة بأية حال ودون اتصال بعلم اللغة المستقل الحالى فى اتجاه علم يعالج مرة أخرى علاقة اللغة بالإنسان المتكلم (، بالشخص المتكلم - كما سمى لدى دى

---

* رأى أوستن أن الفعل الكلامى مركب من ثلاثة أفعال تؤدى فى الوقت نفسه الذى ينطق فيه بالفعل الكلامى، فهى ليست أفعالاً ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحداً وراء الآخر. بل هى جوانب مختلفة لفعل كلامى واحد ولاينفصل أحدهما عن الآخر إلا لغرض الدارسة فحسب وهى:

١ - الفعل اللفظى أو القولى locutionory act

٢ - والفعل الغرضى أو الإيجازى illocutionary act

٣ - والفعل التأثيرى أو الاستلزامى perlocutionary act

وقدم كذلك تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس ما أسماه بقوتها الانجازية فجعلها خمسة أصناف هى: ١ - أفعال الأحكام، ٢ - القرارات ، ٣ - أفعال التعهد، ٤ - أفعال السلوك، ٥ - أفعال الإيضاح ... انظر تفصيل ذلك فى كتاب أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ، ترجمة عبد القادر قينينى، الفصل ١١،٨ ومقالة د. نحلة : نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، وقد حدث تطوير أساسى للنظرية عن يد سيرل فقام بتعديل تقسيم أوستن إلى أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازى والتأثيرى، ولكنه جعل الأول قسمين : الفعل النطقى والفعل القضوى ... وطور كذلك شرط الملاءمة ، وبين أن هناك (على الأقل) اثنى عشر بعد أيختلف بها كل فعل انجازى عن الآخر، وجعل الأفعال الإنجازية خمسة أصناف هى : ١ - الإخباريات ، ٢ - التوجيهات ، ٤ - الالتزاميات ، ٤ - التعبيرات ، ٥ - الإعلانيات .

سوسير) ويمكن أن يتضح ذلك بمثال تحليل لغوى على نحو ما أجرى داخل علم الدلالة التوليدى (انظر د. لاكوف R.Lakoff ١٩٦٨).

ثمة ظاهرة معروفة تماماً فى النحو اللا تينى وهى أن صيغة الاحتمال venias لها ثلاثة معانى : « ينبغى أن تأتى » ، و« يمكنك أن تأتى » ، و« من المحتمل أن تأتى ». ومن المعروف كذلك الحقيقة القائلة إن أفعال الأمر والتمنى فى اللاتينية وتعبيرات الإمكانية تطالب بصيغة الاحتمال للفعل التابع لها. ومن ثم فإنه بالنسبة للنظرية التوليدية – الدلالية ليس ثمة ما هوطبيعى أكثر من أن يلحق بالصيغة السطحية Venias ثلاثة تمثيلات أساسية مختلفة، ظهر فيه >tu veni-< (أنت تأتى) مرة متضمنة فى الجملة الأساسية >ego impero< (أنا آمر) ، وأخرى فى >ego volo< (أنا أريد) وثالثة فى >potest fieri< (من المحتمل أن .

١٤٢

وتقتضى هذه الجمل العليا الموضوعة بشكل مجدد تحويل >tu veni< إلى صيغة احتمال مطابقة ، ثم تحذف تحويلياً، بحيث ينتج عن ذلك الصيغة الثلاثية الغامضة venias.

ويلاحظ الآن أن كلا الفعلين impero و volo هما فعلان أدائيان، ويعنى ذلك أن الإمكانات الإنجازية لصيغة venias تتحدد فى الأبنية الأساسية ، ولكن استخدام impero و volo ابتداءً لم يحفز إلا نحوياً (بسبب صيغة الاحتمال) . بيد أن ذلك يوضح كيف يجعل تحليل معمق، ومايزال بادى الأمر موجهاً بشكل محض إلى النظام اللغوى، الاشتمال على جوانب براجماتية أمراً حتمياً . ولذا يمكن أن يعنى ذلك بوجه عام أن الطرائق الفكرية الحديثة الحالية فى علم اللغة قد أعدت بلاشك فى إطار علم لغة مستقل.

ويمكن أن يقال الأمر ذاته فضلاً عن ذلك أيضاً إذا اقتضت الضرورة بالنسبة للطرائق النفسية اللغوية لبيفر T.Bever . فإن بيفر الذى قدم فى رأيى أدلة جوهرية للغاية فى الوقت الحاضر ضد الادعاء اللغوى، على نحو ما بلورها فى فرضية الكفاءة الأداء ، يعمل – خلافاً لعلماء براجماتين كثيرين – بشكل نفسى تجريبى صارم . لقد

انطلق بيفر أيضاً حسب معرفتى باستمرار من النموذج الكلاسيكى للنحو التوليدى، ولم يوفق إلا فى أثناء تتبع فرضية التساوق، إلى تلك الآراء التى قادته أخيراً إلى حكم فظ استشهد به فى الإضاءة حول قيمة التفسير ، لنحو لغوى قائم على أوجه الحدس، بالنسبة للإمكانات العادية للسلوك اللغوى.

ويبدو لى أن أعمال بيفر التجريبية الرائعة تعد أغنى من كل الأعمال والطرائق الحالية من جهة منظورها وأفضلها رسوخاً، تلك التى تسعى إلى إطار جديد لعلم اللغة. بيد أنه لذلك من المفيد فى هذا الكتاب الذى لايبغى إلا معالجة القضايا الأساسية فى علم اللغة، أن يحجم عن مزيد من العرض والمناقشة .

الهوامش

١ - كان نحو النحاة الجدد قد ظل نشطاً فى ألمانيا مدة طويلة فى القرن العشرين، بينما لم ترسخ أقدام اتجاهات علم اللغة الحديثة إلا بصعوبة (قارن المقدمة). ولايجوز للمرء أن يعد هذا التطور فى الحقيقة سلبياً فقط، فقد حافظ الباحثون من النحاة الجدد حقيقة مثل بهاجل Behaghel (انظر بهاجل ١٩٢٦) دائماً أيضاً على التوجيه الصارم للمادة والموقف المضاد للميتافزيقيا، وشكلوا قوة مضادة صحية ضد المثالية الجديدة التى اتسعت بسرعة فى علم اللغة الألمانى. فقد كانت هناك دجماتية Dogmatismus محضة ، عابت على أتباع النحاة الجدد دائماً مذهبهم الوضعى الساذج بشكل غريب فقط دون أن يراعوا فى رأيى الوظيفة المفيدة لهذه الوضعية على الأقل فى ألمانيا.

٢ - « ... إنها على الأرجح وجهة النظر التى ابتدعت الموضوع ... » (ص٩).

٣ - هذا «النطق المزدوج» يرفع اللغة الإنسانية عن «لغات» حيوانية، فوظيفة التقسيم المزدوج واضحة : يوجد فى اللغات من جهة تنظيم الكميات دائماً ألوف مؤلفة من الدوال فى مقابل من ٤٠:٦٠ رمزاً مميزاً . وهكذا يعد تخزين الدوال بوصفها تكوينات لهذه العناصر المميزة القليلة نسبياً أكثر اقتصاداً فى الحقيقة فيما يتعلق بكفاءة المخ. من أنه لو كان تخزين الدوال بوصفها وحدات لايمكن تحليلها . - وقد وضع مارتينيه Martinet مبدأ النطق المزدوج فى المنتصف تماماً من علم اللغة الخاص به (انظر ضمن ما تنظر : مارتينيه ١٩٦٨) .

٤ - تعد وظيفية علماء براغ فضلاً عن ذلك دون القيود البنيوية أيضاً ضعيفة إلى حد ما ، فإن الإنسان المتواصل لغوياً دائماً فقط، وليس الإنسان الفاعل اجتماعياً هو الحل.

٥ - إن توازى كلتا المقابلتين النظام : النص، والوحدة الجدولية (الصرفية) والوحدة الزفقية (النحوية) هو بلاشك بمفهوم دى سوسير : فى الحقيقة لايماثل النص عند هيلمسليف الكلام عند دى سوسير ولكنه يقترب منه حقاً ، فقد كان لدى دى

سوسير فى الواقع دائماً ميل إلى النظر إلى الوحدات النحوية على أنها ظواهر للكلام. وصار ذلك واضحاً للغاية حين ألحق الوحدة النحوية على الإطلاق ، الجملة بشكل واضح إلى حد ما بالكلام .

٦ - لايعنى هذا المخطط أنه عند ملاحظة المنهج الآلى لايمكن أن ينتج عن كم المواد دائماً إلا وصف نظامى وحيد . فمن الممكن أن توجد عدة تنظيمات فى الغالب - درس لقنه تشاو chao (١٩٣٤) للتوزيعيين . ولا يهدم هذا فى الحقيقة مبدأ الآلية ، إذ يمكن للغوى أن يوضح دائماً شروط التنظيم الذى اختاره والطرائق المطبقة.

٧ - يعد نقد بلو مفيلد لدى سوسير (١٩٢٣) ذا دلالة كبيرة جداً فى هذا السياق ، حيث قَوَّم هذا (الأخير) المقابلة : اللغة - الكلام تقويماً إيجابياً بشكل واضح ، ولكنها فسرت على نحو مميز للغاية تفسيراً سلوكياً وتجريبياً .

٨ - لم يلغ هذا القيد أساساً هناك أيضاً ، حيث تحولت التوزيعية من المنطوق بوصفه أكبر وحدة لغوية إلى تحليل النصوص وأشكال الخطاب (انظر هاريس Harris ١٩٦٣) . ١٤٤

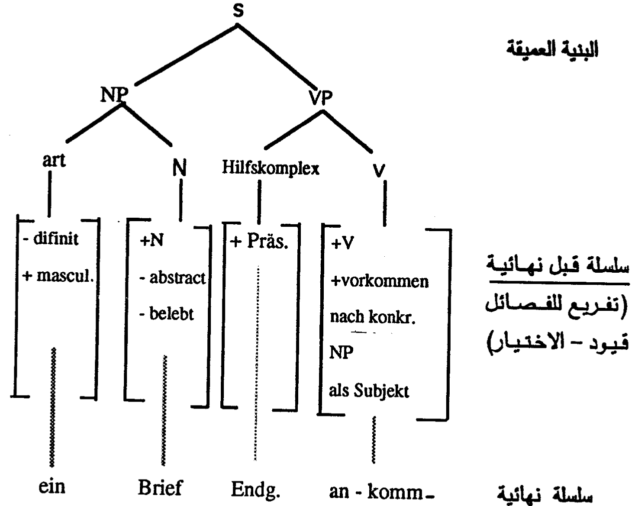
٩ - ليس لمثل هذه القيود أية علاقة بعلم الدلالة ، فهى بلاشك يمكن أن تصاغ بوصفها قيود توزيع محضة . وفيما بعد فقط عمل النحو التوليدى هنا على أساس دلالى .

١٠- لم يدرك تشومسكى مطلقاً بساطة النظرية بوصفها معياراً شكلياً محضاً على نحو ما كان لدى هيلمسليف بل بوصفها معياراً تجريبياً بمعنى أن بساطة نحو ما يجب أن يحدد إلى درجة أن القول الأبسط عن اللغة ينجز تعميمات صحيحة تجريبياً أكبر من القول الأقل بساطة. (قارن تشومسكى ١٩٦٥ ، ص٣٧ ومابعدها) .

١١- مثال لتحليل جملة حسب نموذج المعيار (غير شكلى) :

الجمل هى : " Ein Brief kommt an " , (تصل رسالة)

" Es kommt ein Brief an " (إنه تصل رسالة) .



وضع الوحــــدات النحوية التى تنسجم مع أوجه التخصيص فى السلسلة قـــبل النهـــائيـــة)

التحويلات:

ت ١ : فصل السابقة عن أصل الفعل

ت٢ : إضافة النهاية إلى الفعل

ت٣ : تقديم العنصر الزائد " Es " .

ت٤ : نقل المسند إليه

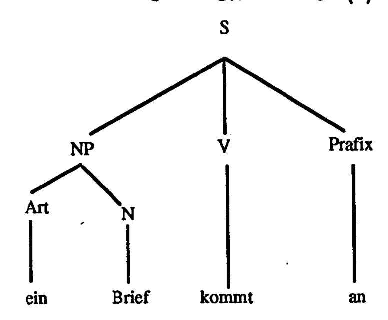
تفسير الرموز :

(S = جملة، NP = مركب اسمى ، وVP= مركب فعلى ، N = اسم ، وV= فعل، Art = أداة تعريف / تنكير ، Hilfskomplex = مركب مساعد)

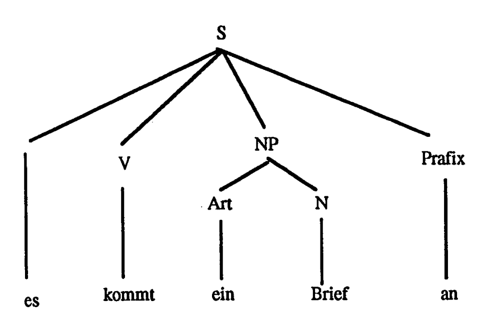
(difinit - - - معرفة (أى نكرة)، mascul + = + مذكر، abstract - - - مجرد (أى محسوس)، وbelebt- - - حى (أى غير حى) ، وPräs= مضارع + v + vorkommend nach konkr. NP als Subjekt) (+ فعل + وارد بعد المركب الاسمى المحسوس بوصفه مسنداً إليه).

١٤٥

البنية السطحية (١) من خلال تطبيق ت١ ، وت٢ :



البنية السطحية (٢) من خلال تطبيق ت١، وت٢ ، وت٣ ، وت٤ .



قائمة المصطلحات

A

Abbild	صورة
Abrakadabra	فوضى
Absicht	قصد (ج . قصود)
Abstraktion	تجريد
Adāquatheit	كفاية
Akkusativisierung	نوع من التعدية (تحويل المفعول غير المباشر إلى مفعول مباشر) .
Aktionsfeld	مجال الفعل
Akzeptabilität	مقبولية
Akzentkonturen	معالم النبر
Akzentsetzung	وضع النبر (تأكيد)
algebraische kalkül	حساب تحليلى جبرى
Allophone	ألوفون (متغير صوتى)
Analogie	قياس
Analysisprocedure	إجراء تحليل
Animismus	حيوية المادة
Antimentalismus	اللاعقلانية / اللاذهنية
Appellfunktion	وظيفة استدعاء (مناشدة)
appropriatness	مناسبة / ملائمة
aposteriori	استدلالى
apriori	قبلى / بدهى

(= apriorisch)	
Äquivalenzklassen	فئات / أقسام متكافئة
arbiträr	اعتباطى / عشوائى / جزافى
Arbitrarität	اعتباطية / عشوائية / جزافية .
Argumentation	حجاج / جدل
Aspect	جانب / جهة
Aspiration	نَفَسية
Association	ارتباط / ترابط
assaziativ	مترابط
Atomismus	المذهب الذرى
Altpositivismus	الوضعية القديمة (الأولى)
Ausnahmlosigkeit	لا استثناء / لاشذوذ
Ausdrucksform	شكل التعبير
Ausdrucksfunktion	وظيفة التعبير
Ausdruckssubstanz	مادة التعبير
ausnahmlose Lautgesetze	قوانين صوتية مطردة
Äusserung	منطوق
(= utterance)	
Aussprechbarkeit	إمكانية النطق
Autonomie	استقلال
autonomus	مستقل بذاته / ذاتياً

B

Bedeutungsfaktor	عامل دلالى
bedeutungsunterschied	فارق دلالى
beliebig	اعتباطى / عشوائى / جزافى
Beliebigkeit	اعتباطية / عشوائية / جزافية
behaviorismus	السلوكية
behavioristische Rahmen	إطار سلوكى
Beschränkung	قيد
Betätigungssatz	جملة حركة
Bewusstsein	الوعى
der Bezeichnende	المشير
das Bezeichnete	المشار إليه
Binarismus	ثنائية
Bündel von Merkmalen	حزمة من السمات

C

communicative force	قوة تواصلية
concept	فكرة / تصور
consistent	مؤسس / تأسيس
content	محتوى / مضمون
contentplane	مستوى المحتوى / المضمون
(= Inhaltsebene)	
corpus	مادة البحث

D

Daseinform	وجود
(= Existenz)	
Darstellungsfunktion	وظيفة عرض
Deskription	وصف
deskriptive Adäquatheit	كفاية وصفية (واصفة)
diachrone	تعاقبى / تاريخى
Diachronie	تعاقبية / تاريخية
(= diachronisch)	
diakritisches Zeichen	علامة إشارية
Dichotomie	ثنائية
differentielle Relation	علاقة اختلاف
Dinghaftigkeit	مادية
discovery procedures	إجراءات اكتشاف
distinctive features	سمات فارقة / فاصلة / مميزة
distinctive Funktion	وظيفة فارقة / فاصلة / مميزة
distinktive Oppostion	مقابلة فارقة
distributionelle Eigenschaft	خاصية توزيعية
distributionelle Klasse	فئة / قسم توزيعى
distributionelles Verhältnis	علاقة توزيعية
Distributionalismus	التوزيعية
Diversität	تفاوت

E

Eigenname	عام (اسم خاص)
Eigenpersönlichkeit	ذاتية
Eigenschaft	خاصية
Einfachheitsprinzip	مبدأ البساطة
Energeia	نشاط (طاقة) ابداعية
Eklektizimus	مذهب التوفيق / الانتقائية
Ergon	أداة/ وسيلة
Erkenntnistheorie	نظرية المعرفة
erklärende Adäquatheit	كفاية تفسيرية / شارحة
Ersatzstimulus	مثير بديل
Erscheinungsform	ظاهرة / مظهر
Erzeugtes	مولد
Erzeugung	توليد / إنتاج
exhaustiv	كامل / كلى
exotische Sprache	لغة دخيلة
expressionplane	مستوى التعبير
(= Ausdrucksebene)	
Exterioritat	الظاهر الخارجى

F

fait social	واقعة اجتماعية
Flexibilität	مرونة

forma formans	تشكل مكون
Formalität	شكلية
formallogischer Apparat	جهاز شكلى منطقى
Formants	مكونات
freie Variation	تنوع حر

G

Gedächtnisbeschränkung	قيد الذاكرة
geistige kraft	قدرة (طاقة) عقلية
Gemeinbesitz	حوزة / ملكية جماعية
genetische Auflösung	حل جينى
genetische Erklärung	تفسير جينى (وارثى)
genuin	فطرى / غرزى / طبيعى
gesetzmässiger Wandel	تغير حتمى
Gesetzmässigkeit	حتمية / التزام بالقواعد / عدم انتهاكها
Gleichheit	متشابه
glosseme	أصغر عنصر فى تحليل هيلمسليف (مكون من بليريم وكينيم)
Grammatikalität	نحوية

H

Handel	فعل
Handlungskontext	سياق الفعل

Historismus	تاريخية
homogenes System	نظام متجانس
Hypostasierung	تشخيص
	(تحول المجرد إلى مادى)

I

Idealismus	مثالية
Identifikationsprinzip	مبدأ تحديد الهوية (التعيين)
identisch	مطابق / مماثل
Indices	مؤشرات
Individualsprache	لغة فردية
Inhaltsform	شكل المحتوى
Inhaltssubstanz	مادة المحتوى
Inhaltsleer	فارغ من المحتوى / المضمون
innateness	فطرية
Innenwelt	عالم داخلى
innere Sprachform	شكل لغوى داخلى
inneres Regelgefüge	بنية قاعدية داخلية .
innersystematische Funktion	وظيفة نظامية داخلية
Instrumentalität	أدواتية / وسيلية
Instrumentcharakter	طبيعة أداتية (اللغة)
Intention	مقصد (ج . مقاصد)
interne Beziehung	علاقة داخلية .
interindividuell	بين (داخل) الأفراد

Internaliziernung (= Internalisation)	إضفاء صفة الذاتية
interpretativ	تفسيرى
Intuition	حدس
intuitiv	حدسى
intuitives Vorwissen	معرفة حدسية مسبقة
Intonationskonturen	معالم التنغيم
Ikone	ايقونة
Ikonischer charakter (der Sprache)	طبيعة ايقونة (للغة)
illocutionary act	فعل غرضى / إنجازى
illokutive Akt	فعل إنجازى
immanente Beziehung	علاقة داخلية
Immanenz	داخلية / باطنية / محايثة
Immanenzprinzip	مبدأ الداخلية / الباطنية / المحايثة
Immaterialitat	لامادية
Implikation	تضمين

K

Kategoriensystem	نظام الفصائل
Kausalgesetzmässigkeit	حتمية سببية
Klassenalgebra	جبر الفئات

Klassifikationsverfahren	نهج التصنيف
Klassifizierung (= classification)	تصنيف
Kollektivgeist	عقل جمعى
Kollektivsprache	لغة جمعية
Kompetenz	كفاءة (لغوية)
Komplemertäre Distribution	توزيع تكاملى
Komposition	تأليف
Kontinuum	سلسلة متصلة
Kontrollsystem	نظام ضبط (ضابط)
kombination	ائتلاف
Kombinationsmöglichkeit	إمكانية الائتلاف
Kommunikation	تواصل
Kommatationstest	اختبار الإحلال (التبادل)
Korrelation	ارتباط
Kulturgut	تراث ثقافى
Kulturwelt	عالم ثقافى

L

Langue	اللغة المعنية / اللسان
Lautsprache	لغة صوتية (منطوقة)
Lautwandel	تغير صوتى
lesart (= reading)	قراءة

lexikalesche Kategorien	فصائل معجمية
Lexikoneinheit	وحدة معجمية
lineare Anordnung	ترتيب أفقى
locutionary act	فعل لفظى / قولى
logische Empirizismus	التجريبية المنطقية
Logosglaubigkeit	الاعتقاد فى الكلمة
Lokation	موقع / محل

N

naive realism	واقعية ساذجة
Nationalkultur	ثقافة قومية
Neupositivismus	الوضعية الجريدة
Nominalismus	مذهب الاسمية

M

materiell	مادى
Mathematizität	وجهة رياضية
Mechanismus	آلية / ميكانيكية
Mentalismus	المذهب العقلانى
mentalistische Rede	كلام / خطاب عقلى
Mitteilungsfunktion	وظيفة إخبار / إبلاغ
Modifikation	تعديل
Morphem	مورفيم (وحدة صرفية وظيفية)

morphemics	مورفيمية
Morphophonemik	مورفوفونيمية
morphophonemische Regeln	قواعد مورفوفونيمية
multifunktionales System	نظام متعدد الوظائف
mutatis mutandis	مع تغيرات ضرورية
Mythologismen	ميثولوجيات

O

Oberflächenstruktur	بنية سطحية
Objektivität	موضوعية
Objektunabhängigkeit	استقلال الموضوع
Okonomie	اقتصاد
Onomasiologie	علم العلاقات الدلالية
Onomastik	دراسة الأعلام
Onomatopoetika	الأصوات المحاكية للطبيعة
oppositionale Beziehung	علاقة تناقض مقابلة
Oppositionsgefüge	تكوين تقابلي
Ordnung	نظام
Organonmodell	نموذج الأورجانون (لبولر)

P

Paradigma	وحدة صرفية / جدولية
Parallelismusprinzip	مبدأ التوازى

Parallelitätsprinzip	مبدأ التوازى
Parameter	مقياس (متغير)
parole	كلام
(=Sprechen)	
pattern Begriff	مفهوم النموذج
predictive power	قوة تقديرية
Performanz	أداء (لغوى)
performative Verben	أفعال أدائية
perlocutionary act	فعل تأثيرى / استلزامى
permutation	إعادة الإحلال
Phanomen	ظاهرة
phanomeninherent	ملازم للظاهرة
Phanomenologie	الظاهراتية
phanomenologisch	ظاهراتى
Phoneme	فونيمات (وحدات صوتية وظيفية)
Phonemfolgen	تتابعات فونيمية
Phoneminventar	محتوى فونيمى
Phonetik	علم الأصوات
(- Sprechaktlautlehre)	
Phonologische Einheit	وحدة فونولوجية
phonologisches Weltbild	صورة العالم الفونولوحية
Phonology	الفونولوجيا
	(علم الأصوات الوظيفى/علم وظائف الأصوات)

Physikalismus — فيزيائية

potentiell — محتمل

Prädikation — الحمل

Praktikabilität — عملية / إجرائية / استخدامية

Präsupposition — فرض مسبق

Produktivität — إنتاجية

Projektionsregeln — قواعد الإسقاط

Prozess — عملية

(= text) — (= نص لدى هيلمسليف)

Psychologismus — مذهب/الاتجاه نفسى

Publikationsorgan — مجلة للنشر (باسم جماعة معينة)

R

Reactionsmuster — نموذج رد الفعل

real — حقيقى

Realität der Sprache — واقع اللغة

Realisierung — تحقيق

Regelsystem (=Sprache) — نظام قاعدى (= اللغة)

Regelmässigkeit — اطراد / حتمية

Regelverstoss — مخالفة / انتهاك للقاعدة

Reizerfahrung — خبرة / معرفة بالإثارة

rekursiver Regelapparat — جهاز قاعدى إرجاعى

relationaler Term — مصطلح علاقى / علائقى

Repräsentationsebene	مستوى التمثيل
Repräsentierbarkeit	إمكانية التمثيل

S

Schallereignis	واقعة صوتية
Schriftsprache	لغة كتابة (مكتوبة)
Schrifftzeichen	علامية كتابية
Segmentation	تجزئة
Selektionsbeschränkung	قيد اختيار
semantische Interpretation	تفسير دلالى
Semasiology	علم دلالة المفردات
Semiology	علم العلامات
Semiotics	علم العلامات (الرموز)
short cut	طريقة مختصرة
Signifiant	الدال
Significance	دلالة / معنى
Significas	علم العلامات (الرموز)
Signification	دلالة / معنى
Sianificatum	المدلول
signifié	المدلول
signfied	المدلول
signifier	دال
Solidaritätsfunktion	وظيفة تضامن / تآزر / دعم

das Soziale	خاصية اجتماعية
soziale Institution	مؤسسة اجتماعية
(= langue)	(= اللغة لدى دى سوسير)
Spannkraft	قوة / حيوية متدفقة
Sprechutterance	منطوق كلامى
Spekulation	تأمل
Sprachbenutzung	استعمال لغوى
Sprachbesitz	حوزة / ملكية / إرث لغوى
Sprachgemeinschaft	جماعية لغوية
Sprachgut	تراث لغوى
Sprachinhalt	مضمون لغوى
Sprachkraft	طاقة / قوة لغوية
Sprachperzeption	إدراك لغوى
Sprachverschiedenheit	تنوع / اختلاف لغوى
Sprachvollzug	إنجاز لغوى
Sprachwelt	عالم لغوى / اللغة
Sprechakt	نشاط / فعل / كلام
Sprechtätigkeit	نشاط كلامى
Standardmodell	نموذج المعيار
stimulus - response	مثير – استجابة
Stimulusfreiheit	التحرر من المثير
Strafiticational Grammar	نحو طبقى
a structure sui generis	بنية مستقلة بذاتها

Strukturalismus	البنيوية
strukturalistische Komponente	مكون بنيوى
strukturell	تركيبى
Substantiv	مادى / جوهرى
Substanz	مادة / جوهر
Substitutionsverfahren	نهج الاستبدال
Symbol (= zeichen)	رمز
synchrone (synchronisch)	وصفى / تزامنى
Synchronie	تزامنية / وصفية
Syntagma	وحدة نحوية / أفقية
System	نظام
(= langue)	(= اللغة لدى هيلمسليف)
systematisierende	نظامى
systematisierung	وضع فى نظام / تنظيم
Systemcharakter	طبيعة النظام
systemimmanente Betrachtung	نظرة داخلية للنظام
Systemology	نظامية

T

Tagmeme	التجميم (وحدة التحليل الأساسية لدى بايك)
Tagmemics	التجميمية
Tätigkeit	نشاط
taxonomisch	تصنيفى

terminal String	سلسلة أخيرة / طرفية
Thematik	موضوع مطروح
	(/ فن طرح الموضوع)
theoretische Konstruktion	بنية / تركيب نظرى
Tiefenstruktur	بنية عميقة
Transformation	تحويل
Transformationsapparat	جهاز التحويل
transzendentale Subjektivität	ذاتية متعالية / متسامية

U

überindividuell	متجاوز للفرد / جماعى
Überzeugungskraft	قوة الإقناع
Unabhängigkeit	عدم التبعية / الاستقلال
Uniformität	انتظام
Universalismus	عالمية / شمولية / كلية
Unmotiviertheit	اللاتحفيز
Untrennbarkeit	عدم إمكانية الفصل
Unveränderlichkeit	عدم التغيير
Unverständlicheit	عدم الفهم / التفهم
Unwiederholbarkeit	عدم إمكان التكرير
Umgebung	محيط
(= environment)	
Urpositivismus	وضعية قديمة / أصلية

Ursprache	اللغة الأصل / الأم
Usage	استعمال
Usus	عرف / استعمال

V

valeur	قيمة
Variabilität	تنوع
Varianten	بدائل / متغيرات
Verallgemeierung	تعميم
Vergangenheit	المضى
Verhalten	سلوك
Verhaltensstrategie	استراتيجية السلوك
Verschiedenheit	اختلاف / تنوع
Verteilungsverhaltnisse	علاقات توزيعية
Verzierurg	زخرفة / حلية
virtuell	مفترض
Volkgeist	عقل / روح الشعب
Vorbedingung	شرط مسبق
Vorkommen (= occurrence)	وقوع (حدوث)
Vorkommensbeschränkungen	قيود الورود (التوارد)
Vorstellung	تصور

W

Weltanschauung	رؤية العالم
Weltansicht	رؤية العالم
Werk (= Ergon)	عمل
Wert (= valeur)	قيمة
Wesenhaftigkeit	جوهرية
widersprachsfrei	لاتعارض فيها
Willkür	اعتياطى / تعسفى
Willkürlichkeit	اعتياطية / تعسفية
Wirklichkeit	واقع / حقيقة
Wirksamkeit	تأثير
Wortschatz	ثروة لغوية

Z

Zeichenbestimmung	تحديد العلامة
Zeichensubstanz	مادة العلامة
Zugriff	قبض / ضبط
Zwischenwelt	عالم بينى

قائمة المراجع

Andrade, M. J.: Some Questions of Fact and Policy Concerning Phonemes. In: Language 12 (1936). S. 1–14
Bally, Ch.: L'arbitraire du signe. Valeur et signification. In: Le Français Moderne 8 (1940). S. 193–206
Behaghel, O.: Die Alten und die Jungen. In: Germanisch-Romanische Monatsschrift (1926)
Beneš, E./Vachek, J.: Die Prager Schule – Erbe und Gegenwart. In: Beneš/Vachek (Hrsg.): Stilistik und Soziolinguistik. Beiträge der Prager Schule zur strukturellen Sprachbetrachtung und Spracherziehung. Berlin 1971
Benveniste, E.: Nature du signe linguistique. In: Acta Linguistica 1 (1939)
– Sémiologie de la langue. In: Semiotica 1 (1969)
Bever, T. G.: The Cognitive Basis for Linguistic Structure. In: Hayes, J. R. (Hrsg.): Cognition and the Development of Language. New York 1970
– The Influence of Speech Performance on Linguistic Structure. In: Flores d'Arcais/Levelt, W. J. M (Hrsg.): Advances in Psycholinguistics. Amsterdam – London 1970 a
– The Integrated Study of Language Behavior. In: Morton (1971)
Bierwisch, M.: Poetik und Linguistik. In: Sprache im technischen Zeitalter 15 (1965)
– Strukturalismus, Geschichte, Probleme und Methoden. In: Kursbuch 5 (1966)
– Semantics. In: Lyons, J. (Hrsg.): New Horizons in Linguistics. Penguin Books 1970. S. 166–184
Bloch, B.: A Set of Postulates for the Phonemic Analysis. In: Language 24 (1948). S. 3–46
– Leonard Bloomfield. In: Language 25 (1949). S. 94 ff.
Bloomfield, L.: Review of Saussure. In: Modern Language Journal 8 (1923). S. 317–319
– A Set of Postulates for the Science of Language. In: Language 2 (1926). S. 153–164
– Obituary of Weiss. In: Language 7 (1931). S. 219–221
– Language or Ideas? In: Language 12 (1936). S. 89–95
– Obituary of Prokosch. In: Language 14 (1938). S. 310–313
– Meaning. In: Monatshefte für Deutschen Unterricht 35 (1943). S. 101–106
– Language. 10. Aufl. London 1969
– Linguistic Aspects of Science. 10. Aufl. Chicago – London 1969
Brugmann, K./Delbrück, B.: Grundriß der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen. Straßburg 1886 bis 1900
Bühler, K.: Sprachtheorie. Die Darstellungsfunktion der Sprache. 2. Aufl. Stuttgart 1965
Burger, A.: Signification et valeur du suffixe verbal français - ę -. In: Cahiers Ferdinand de Saussure 18 (1961). S. 5–15
Carnap, R.: Der logische Aufbau der Welt. Berlin 1928
– Logische Syntax der Sprache. Wien 1934

Carroll, J. B.: The Study of Language. Cambridge (Mass.) 1953
Chao, Y. R.: The Non-uniqueness of Phonemic Solutions of Phonetic Systems. In: Bulletin of the Institute of History and Philology, Academia Sinica IV, 4 (1934). S. 363–397
Chomsky, N.: Three Models for the Description of Language. In: I. R. E. Transactions on Information Theory 3 (1956). S. 113 ff.
– Syntactic Structures. The Hague 1957
– A Transformational Approach to Syntax. In: Hill, A. A. (Hrsg.): Proceedings of the Third Texas Conference on Problems of Linguistic Analysis in English, 1958. Austin 1962. S. 124–158
– Review of Skinner. In: Language 35 (1959). S. 26–58
– On the Notion »Rule of Grammar«. In: Proceedings of the 12th Symposium in Applied Mathematics (1961). S. 6–24
– Formal Properties of Grammars. In: Luce/Bush/Galanter (1963). S. 323–418
– Current Issues in Linguistic Theory. The Hague 1964
– Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge (Mass.) 1965
– Topics in the Theory of Generative Grammar. In: Sebeok (1966). S. 1–60
– Cartesian Linguistics. New York 1966 a
– Language and Mind. New York, Chicago, San Francisco, Atlanta 1968
– Some Empirical Issues in the Theory of Transformational Grammar. In: Chomsky (1972) (= Chomsky 1972 a)
– Deep Structure, Surface Structure and Semantic Interpretation. In: Chomsky (1972) (= Chomsky 1972 b)
– Studies on Semantics in Generative Grammar. The Hague 1972
– /Halle, M.: The Sound Pattern of English. New York 1968
– /Halle, M./Lukoff: On Accent and Juncture in English. In: Halle/Lunt/MacLean (Hrsg.): For Roman Jakobson. The Hague 1956. S. 65–80
– /Miller, G.: Introduction to the Formal Analysis of Natural Languages. In: Luce/Bush/Galanter (1963). S. 269–322
Cohen, M.: Pour une sociologie du langage. Paris 1956
Čyževskyj, D.: Phonologie und Psychologie. In: Travaux du Cercle Linguistique de Prague 4 (1931). S. 3–22
Daneš, F.: The Relation of Centre and Periphery as a Language Universal. In: Travaux Linguistiques de Prague 2 (1966). S. 9–21
– One Instance of Prague School Methodology: Functional Analysis of Utterance and Text. In: Garvin (1970)
– /Vachek, J.: Prague Studies in Structural Grammar Today. In: Travaux Linguistiques de Prague 1 (1966). S. 21–31
Delbrück, B.: Grundfragen der Sprachforschung mit Rücksicht auf W. Wundts Sprachpsychologie erörtert. Straßburg 1901
Doroszewski: Quelques remarques sur les rapports de la sociologie et de la linguistique: Durkheim et F. de Saussure. In: Journal de Psychologie 30 (1933). S. 82–91
Durkheim, E.: Regeln der soziologischen Methode. 3. Aufl. Neuwied – Berlin 1970 (= Soziologische Texte 3)
Esper, E. A.: Mentalism and Objectivism in Linguistics. New York 1968
Fillmore, C. J.: Deictic Categories in the Semantics of »come«. In: Foundations of Language 2 (1966). S. 219–227

Fillmore, C.: The Case for Case. In: Bach/Harms (Hrsg.): Universals in Linguistic Theory. New York 1968
Fischer-Jørgensen, E.: The Commutation Test and Its Application to Phonemic Analysis. In: Halle/Lunt/MacLean (Hrsg.): For Roman Jakobson. The Hague 1956. S. 140–151
Fodor, J. A./Bever, T. G.: The Psychological Reality of Linguistic Segments. In: Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior 4 (1965). S. 414–420
Frei, H.: Langue, parole et différenciation. In: Journal de psychologie normale et pathologique (1952). S. 137–157
Garvin, P. L. (Hrsg.): A Prague School Reader on Esthetics, Literary Structure and Style. 3. Aufl. Washington 1964
– (Hrsg.): Method and Theory in Linguistics. The Hague 1970
Gipper, H.: Gibt es ein sprachliches Relativitätsprinzip? Untersuchungen zur Sapir-Whorf-Hypothese. Frankfurt a. M. 1972. (= Conditio humana)
Gleason, H.: An Introduction to Descriptive Linguistics. New York 1955
Glinz, H.: Deutsche Syntax. 2. Aufl. Stuttgart 1967. (= Sammlung Metz 43)
Godel, R.: Les sources manuscrites du cours de linguistique générale. Geneva 1957
– F. de Saussure's Theory of Language. In: Sebeok (1966). S. 479–493
– La théorie du signe aux termes du système. In: Cahiers Ferdinand de Saussure 22 (1966 a). S. 53–68
– (Hrsg.): A Geneva School Reader in Linguistics. Bloomington 1969
Gross, M./Lentin, A.: Mathematische Linguistik. Eine Einführung. Berlin 1971
Halle, M.: The Sound Pattern of Russian. The Hague 1959
– Phonology in a Generative Grammar. In: Word 18 (1962). S. 54 bis 72
Harris, Z. S.: Review of Trubetzkoy's »Grundzüge der Phonologie«. In: Language 17 (1941). S. 345–349
– Morpheme Alternants in Linguistic Analysis. In: Language 18 (1942). S. 169–180
– From Morpheme to Utterance. In: Language 22 (1946). S. 161–183
– Distributional Structure. In: Word 10 (1954). S. 146–162
– Co-occurrence and Transformation in Linguistic Structure. In: Language 33 (1957). S. 283–340
– Discourse Analysis. The Hague 1963 (= Papers on Formal Linguistics 2)
– Structural Linguistics. 7. Aufl. Chicago – London 1966
Hartmann, P.: Zur Theorie der Sprachwissenschaft. Assen 1961
– Zur Theoretisierung der Linguistik. In: Pilch/Richter (1970)
Helbig, G.: Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Unter dem besonderen Aspekt der Grammatik-Theorie. München 1971
Herrlitz, W.: Historische Phonologie des Deutschen. Teil I: Vokalismus. Tübingen 1970 (= Germanistische Arbeitshefte 3)
Hjelmslev, L.: Langue et parole. In: Cahiers Ferdinand de Saussure 2 (1943). S. 29–44
– The Structural Analysis of Language. In: Studia Linguistica 1 (1947). S. 69–78
– Prolegomena to a Theory of Language. 2. Aufl. Madison 1963
– Essais Linguistiques. Paris 1971 (= Arguments 47)

Hockett, Ch. F.: A Note on ›Structure‹. In: International Journal of American Linguistics 14 (1948). S. 269–271
– Review of ›Recherches Structurales‹. In: Intern. Journ. of Americ. Ling. 18 (1952). S. 86–99
– Two Models of Grammatical Description. In: Word 10 (1954). S. 210–231
– A Manual of Phonology. Baltimore 1955. (= Memoir 11 of the Intern. Journ. of Americ. Ling.)
– A Course in Modern Linguistics. New York 1958
– Language, Mathematics and Linguistics. The Hague 1967
– The State of the Art. The Hague 1968
Holt, J.: Etudes d'aspect. Aarhus 1943 (= Acta Jutlandica 15,2)
Horálek, K.: Les fonctions de la langue et de la parole. In: Travaux Linguistiques de Prague 1 (1966). S. 41–46
Householder, F. W.: On some Recent Claims in Phonological Theory. In: Journal of Linguistics 1 (1965). S. 13–34
– [Rejoinder]. In: Journal of Linguistics 2 (1966). S. 99–100
Jakobson, R.: Remarques sur l'évolution phonologique du russe, comparée à celle des autres langues slaves. (= Travaux du Cercle Linguistique de Prague 2 [1929])
– Prinzipien der historischen Phonologie. In: Trav. du C. Ling. de Prague 4 (1931). S. 247–267
– Zur Struktur des russischen Verbums. In: Charisteria Guil. Mathesio. Prague 1932. S. 74–84
– Observation sur le classement phonologique des consonnes. In: Proceedings of the Third International Congress of Phonetic Sciences. Ghent 1938. S. 34–41
– Linguistics and Poetics. In: Sebeok (Hrsg.): Style in Language. Cambridge (Mass.) 1960. S. 350–377
– A la recherche de l'essence du langage. In: Problèmes du langage. Editions Gallimard 1966. S. 22–38
– Efforts towards a Mean-Ends Model of Language in Interwar Continental Linguistics. In: Vachek (1967). S. 481–485
– /Fant, G./Halle, M.: Preliminaries to Speech Analysis. 7. Aufl. Cambridge (Mass.) 1967
– /Halle, M.: Fundamentals of Language. The Hague 1956
Johansen, S.: Glossematics and Logistics. In: Acta Linguistica 6 (1951). S. 17–30
Joos, M. (Hrsg.): Readings in Linguistics I. The Development of Descriptive Linguistics in America 1925 bis 1956. Chicago–London 1957
Katz, J. J.: Mentalism in Linguistics. In: Language 40 (1964). S. 124 bis 137
– Philosophie der Sprache. dt. Frankfurt a. M. 1969 (= Theorie 2)
– Interpretative vs. Generative Semantics. In: Foundations of Language 6 (1970). S. 220–259
– /Fodor: The Structure of a Semantic Theory. In: Language 39 (1963). S. 170–210
– /Postal: An Integrated Theory of Linguistic Description. Cambridge (Mass.) 1964
Kuryłowicz, J.: La notion de l'isomorphisme. In: Recherches Structurales. Copenhague 1949. (= Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague 5)

Lakoff, G.: Instrumental Adverbs and the Concept of Deep Structure. In: Foundations of Language 4 (1968)
– On Generative Semantics. In: Steinberg, D. D./Jakobovits, L. A. (Hrsg.): Semantics. New York 1971
– Linguistik und Natürliche Logik. dt. Frankfurt/M. 1971 a
Lakoff, R.: Abstract Syntax and Latin Complementation. M.I.T. Press 1968
Lamb, S.: Epilegomena to a Theory of Language. In: Romance Philology 19 (1966). S. 531–573
– Prolegomena to Theory of Phonology. In: Language 42 (1966 a) S. 536–573
Leont'ev, A. A.: Symsl kak psichologičeskoe ponjatie. In: Psichologičeskie i psicholingvističeskie problemy vladenija i ovladenija jazykom. Moskva 1969
– Psicholingvističeskie edinicy i poroždenie rečevogo vyskazyvanija. Moskva 1969 a
– Psichologičeskaja struktura značenija. In: Semantičeskaja struktura slova. Moskva 1971
Leontjew, A. N.: Probleme der Entwicklung des Psychischen. Berlin 1967
Leskien, A.: Die Deklination im Slawischen, Litauischen und Germanischen. Leipzig 1876
Lévi-Strauss, C.: Anthropologie structurale. Paris 1958
Luce/Bush/Galanter (Hrsg.): Handbook of Mathematical Psychology Bd. II. New York 1963
Luria, A. R.: Die höheren kortikalen Funktionen des Menschen und ihre Störungen bei örtlichen Hirnschädigungen. Berlin 1970
Malmberg, B.: Notes sur le signe arbitraire. In: Hammerich/Jakobson/Zwirner (Hrsg.): Form & Substance. Akademisk Forlag 1971
Martinet, A.: Au sujet des Fondements de la Théorie Linguistique de Louis Hjelmslev. In: Bulletin de la Société de Linguistique de Paris 42 (1946). S. 19–42
– Économie des changements linguistiques. Bern 1955
– Grundzüge der Allgemeinen Sprachwissenschaft. 5. Aufl. Stuttgart 1971. (= Urban-Taschenbücher 69)
– Synchronische Sprachwissenschaft. Studien und Forschungen. München 1968
Mathesius, V.: Die funktionale Linguistik. In: Beneš/Vachek (Hrsg.): Stilistik und Soziolinguistik. Beiträge der Prager Schule zur strukturellen Sprachbetrachtung und Spracherziehung. Berlin 1971. S. 1–18
McCawley, J. D.: The Role of Semantics in Grammar. In: Bach/Harms (Hrsg.): Universals in Linguistic Theory. New York 1968
Miller, G.: Some Psychological Studies of Grammar. In: American Psychologist 17 (1962). S. 748–762
– Language and Psychology. In: Lenneberg, E. (Hrsg.): New Directions in the Study of Language. Cambridge (Mass.) 1966
– /Galanter/Pribram: Plans and the Structure of Behavior. New York 1960
Mounin, G.: Saussure ou le structuraliste sans le savoir. Paris 1968
Morton, J. (Hrsg.): Biological and Social Factors in Psycholinguistics. Cambridge (Mass.) 1971
Nida, E.: Morphology. The Descriptive Analysis of Words. 2. Aufl. 1949. (= University of Michigan Publications in Linguistics 2)

Osthoff, H./Brugmann, K.: Vorwort zu Morphologische Untersuchungen auf dem Gebiete der indogermanischen Sprachen I. Leipzig 1878
Pavlov, V. M.: Jazykovaja sposobnost' čeloveka kak ob'ekt lingvističeskoj nauki. In: Teorija rečevoj dejatel'nosti. Moskva 1968
Parain, B.: Recherches sur la nature et les fonctions du langage. Paris 1942
Paul, H.: Prinzipien der Sprachgeschichte. 7. Aufl. Tübingen 1966
Perlmutter, D.: Deep and Surface Structure Constraints in Syntax. Holt, Rinehart and Winston 1971
Pike, K. L.: Grammatical Prerequisites to Phonemic Analysis. In: Word 3 (1947). S. 155–172
– Language in Relation to a Unified Theory of the Structure of Human Behavior. 1–3. Glendale (Cal.) 1954 bis 1960
– Towards a Theory of the Structure of Human Behavior. In: Hymes, D. (Hrsg.): Culture and Society. New York 1964.
Pilch, H./Richter, H. (Hrsg.): Theorie und Empirie in der Sprachforschung. Basel 1970. (= Bibliotheca Phonetica, No. 9)
Postal, P. M.: Limitations of Phrase Structure Grammars. In: Fodor/Katz (Hrsg.): The Structure of Language. Englewood Cliffs 1964.
– Constituent Structure. Bloomington 1964 a
– Aspects of Phonological Theory. London, Evanston, New York 1968
– On the Surface Verb *Remind.* In: Linguistic Inquiry 1 (1970)
Putnam, H.: The ›Innateness Hypothesis‹ and Explanatory Models in Linguistics. In: Synthese 17 (1967). S. 12–22
Reichling, A.: Het Woord. Nijmegen, Berkhout 1935
Ross, J. R.: Constraints on Variables in Syntax. Ph. D. dissertation M.I.T. 1967
Sapir, E.: Language. New York 1921
Šaumjan, K.: Problems of Theoretical Phonology. The Hague 1968
Saussure, F. de: Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes. Paris 1887 (Nachdruck von 1879)
– Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft. 2. Aufl. Berlin 1967
– Cours de linguistique générale. Édition critique par R. Engler. Bd. 1. Wiesbaden 1968
Schaff, A.: Sprache und Erkenntnis. Wien 1964
Schultink, H.: Hjelmslev's Empirical Principle. In: Hammerich/Jakobson/Zwirner (Hrsg.): Form & Substance. Akademisk Forlag 1971
Searle, J.: Speech Acts. An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge 1969
Sebeok, T. A. (Hrsg.): Current Trends in Linguistics III. Theoretical Foundations. The Hague 1966
Sèchehaye, A./Bally, Ch./Frei, H.: Pour l'arbitraire du signe. In: Acta Linguistica 2 (1940 bis 1941). S. 165–169
Siertsema, B.: A Study of Glossematics. Critical Survey of its Fundamental Concepts. 2. Aufl. The Hague 1965
Sørensen, H. C.: Fondements épistémologiques de la glossématique. In: Langages 6 (1967). S. 5–11
Spang-Hanssen, H.: Glossematics. In: Mohrmann/Sommerfelt/Whatmough (Hrsg.): Trends in European and American Linguistics 1930 bis 1960. 3. Aufl. Utrecht–Antwerpen 1966
Swadesh, M.: Twaddell On Defining the Phoneme. In: Language 11 (1935). S. 244–250

Togeby, K.: Structure immanente de la langue française. Copenhague 1951 (= Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague 6)
Trnka, B.: On the Linguistic Sign and the Multilevel Organisation of Language. In: Travaux Linguistiques de Prague 1 (1966). S. 33–40
– Linguistics and the Ideological Structure of the Period. In: Vachek (1966), S. 152–165 (= Trnka 1966 a)
Trubetzkoy, N.: Grundzüge der Phonologie. 4. Aufl. Göttingen 1967
Twaddell, W. F.: On Defining the Phoneme (= Language Monograph 16, 1935)
– Answers to Andrade's Questions. In: Language 12 (1936). S. 294 bis 297
Uldall, H. J.: Outline of Glossematics. Part I: General Theory. Copenhague 1957. (= Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague 10,1)
Ungeheuer, G.: Logischer Positivismus und moderne Linguistik (Glossematik). Uppsala 1959
Vachek, J.: The Linguistic School of Prague. Bloomington–London 1966
– Prague Phonological Studies Today. In: Travaux Linguistiques de Prague 1 (1966 a). S. 7–20
– (Hrsg.): A Prague School Reader in Linguistics. 3. Aufl. Bloomington–London 1967
Verhaar, J. W. M.: Method, Theory and Phenomenology. In: Garvin (1970)
Weinreich, U.: Explorations in Semantic Theory. In: Sebeok (1966)
Weisgerber, L.: Muttersprache und Geistesbildung. Göttingen 1929
– Grundzüge der inhaltbezogenen Grammatik. 3. Aufl. Düsseldorf 1962. (= Von den Kräften der deutschen Sprache 1)
– Die sprachliche Gestaltung der Welt. 3. Aufl. Düsseldorf 1962 a. (= Von den Kräften der deutschen Sprache 2)
– Die vier Stufen in der Erforschung der Sprachen. Düsseldorf 1963 (= Sprache und Gemeinschaft. Grundlegung 2)
– Zur Grundlegung der ganzheitlichen Sprachauffassung. Aufsätze 1925 bis 1963. Hrsg. von H. Gipper. Düsseldorf 1964
– Das Menschheitsgesetz der Sprache. 2. Aufl. Heidelberg 1964 a
– Die Sprachgemeinschaft als Gegenstand sprachwissenschaftlicher Forschung. Köln und Opladen 1967
Wells, R.: De Saussure's System of Linguistics. In: Word 3 (1947). S. 1–31
– Immediate Constituents. In: Language 23 (1947) a. S. 81–117
Wunderlich, D.: Die Rolle der Pragmatik in der Linguistik. In: Der Deutschunterricht 22 (1970). S. 5–41
– Pragmatik, Sprechsituation, Deixis. In: LiLi 1 (1971). S. 153–190
Wygotski, L. S.: Denken und Sprechen. Wien 1969 (= Conditio humana)
Zwirner, E./Zwirner, K.: Grundfragen der Phonometrie. Berlin 1936